مصادر
نهج البلاغة
وأسانيده

تأليف
السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب

الجزء الثالث

دار الأضواء
بيروت - لبنان

الطبعة الثالثة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

دار الأضواء

الغبيرة - شارع عبد الله الحاج - بناية الروضة
ص.ب: ٢٥/٤٠ - برقياً: الغبيرة - حسنكو

مما قيل في الكتاب

(١)

القى إلي هذا الكتاب الكريم من سماحة العالم الاستاذ
الشيخ محمد سعيد دحدوح الحلبي دام مجده ننشره مشفوعاً
بالشكر الجزيل ، والثناء الجميل .

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد سعيد دحدوح

حلب ـ النوحية ، زقاق المصبنة

٢٥ شوال ١٣٨٨ هـ ـ ١٣ / ١ / ١٩٦٩ م .

بسمه تعالى وله الحمد ، وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وعلى آله
البررة الطيبين ، وصحابته المتقين .

أخي ووليي في الله تعالى السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب وفقه الله
لما فيه رضاه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخي : إن الإنسان حينما يحب انساناً ؛ وحينما يهيم بشخص يجب ان
يعرف جميع صفاته ، ويعلم كل أحواله ، وإذا لم يمكنه ذلك وأراد ان

يعرفُ الحقيقة النصوح سأل عنه أعرف الناس به ، وأقربهم منه ؛ حتّى يكون على بينة من أمره . وأن علياً سلام الله عليه له محبون — والحمد لله — وله مبغضون — والعياذ بالله — وهذا شأن كلّ عظيم ، وقد أصاب من أحبه ذلك ، والشريف الرضي — طيب الله ثراه — حينما ألف كلام أمير المؤمنين وجمع نهجه قام جماعة من الناس ليطفئوا هذا النور[1] بأفواههم ، ويأبى الله الا ان يتم نوره ، وقام جماعة آخرون — في كل عصر — لنصرة علي ، وبيان حقه ، وإظهار محامده وفضائله ، ولا عجب إذا كنتم من هؤلاء لأنكم غصن من تلك الدوحة الطاهرة ، وفنن من هاتيك الشجرة الطيبة الّتي (أصلها ثابت وفرعها في السماء) فقد قمتم بعمل تؤجرون عليه ، وتشكرون دائماً وأبداً بما قدمتم لأبناء الجيل الصاعد من حقائق واضحة ، وحجج دامغة تبين أن الشريف الرضي حاشاه أن يفتري على علي عليه السلام وهو ابنه أو أن ينسب اليه ما لم يقله وهو المتأدب بأدبه ، ولكنَّ بعض الناس المتغرضين أبت نفوسهم إلّا ان تبدو ، وأبى نفاقهم إلّا ان يظهر ؛ فافتروا على الشريف الرضي كما افتروا من قبله على الامام علي . وجئت أنت — ايها السيد الشريف — تبرىء السيد الشريف ، وتبين (ما حاق بالذين مكروا) وتدحض شبههم الواهية ببيان الحكيم ، وكلام المطّلع البليغ الضليع فلله درك ؛ وعلى الله جزاؤك .

وقد سمعت بكتابك عن طريق مجلة (العربي) وسألت عنه رجل السيادة والعلم السيد هادي فياض وهو اكرمه الله ارسله إلي ، فلك الشكر على ما قدمت وله الشكر على ما أهدى . هذا وقد ذكرت أن له أجزاءاً فرجائي

---

(١) لعل سماحته يشير إلى ما ورد في الزيارة الجامعة : « كلامكم نور وامركم رشد » .

أرسال ما صدر ، او يصدر بعد الأول ؛ وهنا احب ان الفت نظر سيدنا ان من جملة من الف عن الشريف الرضي الكاتب والشاعر السوري اديب التقي البغدادي فقد اخرج سنة (١٣٨٠) إلى عالم التأليف مؤلفاً سمّاه (الشريف الرضي) عصره ، حياته ، منازعه ، أدبه بـ (٣٧٤) صفحة ، فرجائي ان تطلع عليه ، وتشير اليه في الطبعة الثانية — إن شاء الله — فانه على ما أرى كتاب قيّم بتحليل جميل ؛ ومطاف خبير بتاريخ ذلك الشريف... وفي الختام دم لمحبكم .

محمد سعيد دحدوح

(٢)

أبى الخطيب العبقري الاستاذ الكبير الدكتور الشيخ
أحمد الوائلي أن يكتفي بما قدمه من المساعدة المادية
حتى عرض مساهمته الأدبية فتفضل بهذا التاريخ (١).

فضيلة الخطيب الاستاذ السيد عبد الزهراء المحترم ،
تحية وتقدير .

وبعد : تلقيت هديتكم الثمينة الجزءين الأول والثاني من كتاب (مصادر نهج البلاغة) وبعد الاطلاع عليهما قدرت جهدك ، وحسن انتقائك في المادة ، وذوقك في الاسلوب ، ورجوت من الله تعالى أن يجعله من ذخائرك (يوم لا ينفع مال ولا بنون) .

وتقبل بالختام تحياتي مذيلة بتاريخ الكتاب ، وشكراً .

أيا عبدَ زهراء بنت النبي — وتلك العبودية المستساغه
لقد صغت من رائعات العقود — وأبدعت في رصفه والصياغه
بكل صحيح وتاريخـــه — (وسمت مصادر نهج البلاغه)

١٩٦٨

أحمد الوائلي

---

(١) كما أن له الفضل الأكبر ، والصنع الجميل في إخراج الكتاب كاملا بطبعته الثانية كما ترى ، فعلى الله سبحانه أجره ، وعلي شكره وان كنت واثقا انه لا يريد مني (جزاء ولا شكورا).

(٣)

تفضل الاستاذ الفاضل السيد طاهر أبو رغيف برسالتين حول الكتاب نكتفي بنشر واحدة منهما مع الشكر الجزيل .

سيدنا المبجل العلامة السيد عبد الزهراء الحسيني المحترم

السلام عليكم ورحمة الله .

« وأبلغ خطاباً فالبلاغة سلمت لكفيك منها مقودا وعنانا »

... وبعد تطلع وانتظار تسلمت « مصادر نهج البلاغة وأسانيده » الذي بشرت به انديتنا منذ عامين ، فرحت اتلو سوراً من بيانك الذي كان قبساً من بلاغة علي عليه السلام ، واستعرض صوراً من الأسانيد التي دحضت بها شبهات المرجفين ، فكان ما قدّمت من عرض ، وما شرحت من إيضاح في المستوى الذي لا يرقى اليه غبار الطعن ، ولا يحيط به ظلام الشبهات...

انه لجهاد كبير بطريقة مبتكرة تحققت اغراضه على يديك اذ رميت فأصبت شغاف القلب من خصومك على بعد مرماك ؛ برغم ما في طريقك

من عقبات تغلبت عليها بالصبر والمثابرة (وكان فضل الله عليك عظيماً) حيث هداك لما اختلف فيه من الحق فكنت من حزبه الذي ارتضى لتقيم الحجة على الذين اتخذوا مما تشابه من (النهج) نافذة للطعن به ؛ وسبباً لنشر الظلام من حوله ابتغاء الفتنة ليطفئوا نور الله الذي اشرق به كلام الامام عليه السلام .

ويسرني بهذه المناسبة أن أقدم لك التهنئة لما أحرزت من فوز في المجال الذي كنت مدخراً له كما نوّه بذلك الامام الحجة الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء نور الله ضريحه والسلف الصالح الذين سألوا الله تعالى أن يختار عبداً يجد فيه عزماً وحزماً لحمل هذا العبء الثقيل فكنته والحمد لله .

البصرة ١ شهر رمضان المبارك : ١٣٨٨ .

طاهر ابو رغيف

(٤)

تفضل العلامة الخطيب السيد علي الهاشمي دام علاه بهذا التاريخ ، وله مني الثناء والدعاء .

للسيد الندب سفــر بدا ليجلــو الدياجر
(مصادر) منه وافــت عباقــة كالأزاهــر
لكل حبر صحيــح به (الصحاح) تفاخر
(نهج البلاغة) نهــج لكــلّ نــاهٍ وآمــر
وحجـــة تتجــلّى منه لأهــل المنابر
يا رائد الفضل أرخ (فقــل بخير المصادر)

١٣٨٨

الكاظمية — على الهاشمي الخطيب

(٥)

وردتنا من الكاتب الشهير الدكتور مهدي محبوبة هذه الرسالة وسبق أن تفضل بمثلها فله بما تفضل سابقاً ولاحقاً وافر الشكر .

لحضرة العالم الفاضل والخطيب البارع السيد عبد الزهراء الحسيني المحترم،

استوحيت من الأمل حقيقة ، ومن التتبع والبحث واقعاً ملموساً عندما أوصلني المطاف إلى عظيم سفركم، وجليل بحثكم (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) وكنت له كالصّادي في حمارة الصيف ، اريد الارتشاف من مائه الزلال ، وقد طلبته في كثير من المكتبات فلم اوفق للحصول عليه ، حتّى اوليتموني به ، ولما تصفحته اوردني بحق إلى ما أَصبو اليه فهو خلاصة جهد الباحث المتطلع الهادف العارف لما فيه من الأدلة المادية المقنعة التي تزيل الشك ، وتبدد الأوهام . وقد يزيد ما توصلتم اليه التتبع لاستخراج ما في بطون المخطوطات الكثيرة التي ابتلعتها مكتبات الشرق والغرب ، وكمثل : لا زالت جارتنا تركيا تحوي من هذا التراث العظيم ما نفتقر اليه . وإن لهذا البحث الفريد جذوره الممتدة والتي تحتاج إلى كثير من الصبر والاناة للكشف عنها وقد عملتم ما بوسعكم . ونظراً لما لهذا البحث من أهمية في

تاريخ الشرع الاسلامي ، والادب العلوي فلا بأس من الاسترسال بما بدأت به ، ولا بأس بغض النظر عما لم يصل اليه تتبعكم حتى تصلوا إلى إثبات ذلك لان الكتاب موضوع لذلك .

وأخيراً ارجو أن توفقوا لقطع موارد الشك لدى الجميع باستيفاء الادلة كما اوردتم ذلك مشكورين في الخطبة (الشقشقية) كما ارجو ان تكون طباعة كلام الامام عليه السلام أكثر وضوحاً ، واسمحوا لتأخر شكري واسلموا لأخيكم المخلص .

بغداد : ٢٤ شوال ١٣٨٨ : ١٢ / ١ / ١٩٦٩

الدكتور : مهدي محبوبة

(٦)

أنعم علينا الطبيب الماهر ، والأديب الشاعر الأخ الاستاذ الميرزا محمد الخليلي بهذا التاريخ . فنشكر له لطفه وعطفه :

كم شكّ في النهج قوم من مبغضٍ ومكابر
فالبعض ينسبه للـ رضي إذ كان حائر
وآخر قال هذا ملفقات الأواخر
لذاك قام الخطيب الأديب نهضة خادر
فانظر بعقلك واسأل ذوي الحجى والبصائر
فسوف ترضى ضميراً لا بل سترضى ضمائر
فاقرأ وأرخ وفاقاً (للنهج هذي المصادر)

النجف الأشرف ١٣٨٧

محمد الخليلي

كتب وتقاريظ

تفضل جماعة من العلماء والادباء بكتب قيمة ، وتقاريظ مهمة ، منثورة ومنظومة نشير إلى اسمائهم الكريمة بحسب تاريخ ورود رسائلهم مع جزيل الشكر ، وجميل الثناء :

١ ــ آية الله : السيد علي شبر ــ الكويت .

٢ ــ حجة الاسلام : السيد محمد مهدي الاصفهاني ــ الكاظمية .

٣ ــ حجة الاسلام : السيد محمد الشيرازي ــ كربلاء .

٤ ــ العلامة : السيد حمود الصراف ــ الرميثة .

٥ ــ العلاّمة الباحث الشيخ محمد حسن آل ياسين ــ الكاظمية .

٦ ــ الاستاذ السيد محمد الحيدري ــ مكتبة أهل البيت العامة ــ بغداد .

٧ ــ العلامة الشيخ محمد حيدر ــ سوق الشيوخ .

٨ ــ العلامة الشيخ علي المرهون ــ القطيف .

١٠ ــ الاستاذ قاصد ياسر الزيدي ــ الناصرية .

١١ ــ العالم الفاضل الشيخ عبود الساعدي ــ سامراء .

١٢ ــ الاستاذ السيد هاشم الشديدي ــ بلد .

١٣ ــ الاستاذ السيد جعفر السيد صادق ــ بلد .

١٤ ــ الاستاذ السيد شمس الدين الخطيب ــ بغداد .

١٥ ــ العلامة الشيخ حسن الناصري ــ الناصرية .

١٦ ــ العلامة الشيخ مهدي السماوي ــ السماوة .

١٧ ــ الخطيب الاستاذ الشيخ عبد الأمير الجمري ــ البحرين .

١٨٦ - ومن خطبة له عليه السلام

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ بِتَقْوَى ٱللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَىٰ آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ : أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ[١] ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ فَأَمْهَلَكُمْ . وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ وَإِقْلَالِ ٱلْغَفْلَةِ عَنْهُ ، وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ[٢] ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ . فَكَفَىٰ وَاعِظاً بِمَوْتَىٰ عَايَنْتُمُوهُمْ. حُمِلُوا إِلَىٰ قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّاراً ، وَكَأَنَّ ٱلْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَاراً . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ[٣] ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ . وَٱشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ

---

(١) البلاء — هنا — : الإحسان ، واعورتم : انكشفتم وبدت عوراتكم، تقول : أعور الفارس إذا بدت مقاتله .

(٢) أغفله : سها عنه وتركه .

(٣) أوحش المكان : هجره ، وأوطنه : صار بنزوله به وطناً .

ٱنْتَقَلُوا . لاَ عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱنْتِقَالاً ، وَلاَ فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ٱزْدِيَاداً . أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا ــ رَحِمَكُمُ ٱللهُ ــ إِلَى مَنَازِلِكُمُ ٱلَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا ، وَٱلَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَٱسْتَتِمُّوا نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَٱلْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ ، فَإِنَّ غَداً مِنَ ٱلْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَا أَسْرَعَ ٱلسَّاعَاتِ فِي ٱلْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ ٱلْأَيَّامَ فِي ٱلشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ ٱلشُّهُورَ فِي ٱلسَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ ٱلسِّنِينَ فِي ٱلْعُمُرِ .

هذه الخطبة رواها أبو منصور الثعالبي في (الإعجاز والإيجاز) : ص ٣١ عن غير (نهج البلاغة) بدليل التفاوت وهو أنه ورد في روايته « ونعمه عليكم » و « كيف تغفلون عما ليس يغفل عنكم » و « طمعتم فيمن ليس يمهلكم » .

١٨٧ ــ وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

فَمِنَ ٱلْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرّاً فِي ٱلْقُلُوبِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ عَوَارِيَ بَيْنَ ٱلْقُلُوبِ وَٱلصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ

مَعْلُوم ، فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ ٱلْمَوْتُ ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ يَقَعُ حَدُّ ٱلْبَرَاءَةِ ، وَٱلْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا ٱلْأَوَّلِ[١] . مَا كَانَ لِلّٰهِ فِي أَهْلِ ٱلْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسَرِّ ٱلْإِمَّةِ وَمُعْلِنِهَا[٢] . لاَ يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ بِمَعْرِفَةِ ٱلْحُجَّةِ فِي ٱلْأَرْضِ ، فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ ، وَلاَ يَقَعُ ٱسْمُ ٱلْاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ ٱلْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ .

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لاَ يَحْمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ ٱمْتَحَنَ ٱللّٰهُ قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ ، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا[٣] ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلاَمِ قَوْمِهَا .

---

(١) أي لم يزل حكم الهجرة باق .

(٢) الإمة – بكسر الهمزة – : الحالة – وبضمها – : الطاعة ، والمعنى أن الهجرة فرضت لمصلحة المكلفين ، ولا حاجة لله فيمن أسر إيمانه في بلاد الكفر أو أظهره في بلاد الإسلام .

(٣) تطأ في خطامها تتعثر به ، كناية عن ارسالها وعدم قائد يقودها ، والأحلام العقول .

هذه الخطبة رواها الثعالبي في (الايجاز والاعجاز) ص ٣٢ باختلاف بسيط . مع رواية الرضي ففيها مثلا : « فاذا كان للمرء براءة من أحد ».
وفي (النهج) : « فاذا كان لكم ... » وفيها « ما كان لأهل الاسلام مستسر » ورواية الرضي « لأهل الأرض ... » .

قال ابن ابي الحديد معلقاً على قوله عليه السلام : « إن أمرنا صعب مستصعب ... » الخ . هذه الكلمة قد قالها عليه السلام مراراً ، وقفت في بعض الكتب على خطبة من جملتها « ... إن قريشاً طلبت السعادة فشقيت ، وطلبت النجاة فهلكت ، وطلبت الهدى فضلّت » إلى ان يقول عليه السلام : « إن أمرنا صعب ... » الخ

كما نقل قوله هذا أبو جعفر محمد بن الحسن الصفار المتوفى سنة (٢٩٠) أي قبل صدور (نهج البلاغة) بمائة وعشر سنوات في (بصائر الدرجات) ص ٣١ فما بعدها من عدة طرق وجعل له عناوين خاصة وفي ص ٢٠٢ عن مسعدة بن صدقة صاحب كتاب (خطب أمير المؤمنين عليه السلام) الذي مر ذكره فيما تقدم من هذا الكتاب [١] وكذلك رواه الصدوق في (العيون) ج ١ ص ١٦٤ وفي الخصال (ج ٢ ص ١٦٤) كما تقدم مصادر قوله عليه السلام : « سلوني قبل ان تفقدوني »[٢] .

وجاء قوله عليه السلام : « إن أمرنا صعب ... » في (الغرر) ص ٨٠ على هذه الصورة : « إن أمرنا صعب مستصعب خشن مخشوشن ، سرّ مستسرّ ، مقنّع لا يحمله إلا ملك مقرب او نبي مرسل او مؤمن امتحن الله قلبه للايمان » .

---

(١) انظر ج ١ ص ٥٢ .
(٢) انظر ج ٢ ص ١٧٩ — ١٨٢ .

كما روى قوله عليه السلام : « سلوني ... » ص ١٤٠ في حرف السين بصورتين وفيهما زيادة على ما في (نهج البلاغة) .

١٨٨ — وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَحْمَدُهُ شُكْراً لِإِنْعَامِهِ ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ . عَزِيزُ ٱلْجُنْدِ عَظِيمُ ٱلْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَاداً عَلَى دِينِهِ . لاَ يَثْنِيهِ عَنْ ذٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ . فَاعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ[1] . وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ . وَٱمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ . فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيَامَةُ . وَكَفَى بِذٰلِكَ وَاعِظاً لِمَنْ عَقَلَ ، وَمُعْتَبَراً لِمَنْ جَهِلَ . وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ ، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ[2] . وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ ، وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ ، وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ

---

(١) المعقل : ما يعتصم به ؛ وذروته أعلاه .

(٢) الإرماس جمع رمس وهو القبر ، والإبلاس مصدر أبلس أي خاب ويئس .

وَإِسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ ، وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ ، وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ[1] .

فَاللهَ ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ ، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ[2] . وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا ، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا ، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا . وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا . وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[3] . وَٱنْصَرَمَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا ، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا ، فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَىٰ أَوْ شَهْرٍ ٱنْقَضَىٰ ، وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا ، وَسَمِينُهَا غَثًّا[4] . فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ . وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا ، عَالٍ لَجَبُهَا[5] سَاطِعٍ لَهَبُهَا ، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا ، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا ، بَعِيدٍ خُمُودُهَا ،

---

(١) استكاك الأسماع : صممها ، وغم الضريح : ضيق القبر وكربه ، والصفيح : الحجر ، وردمه : سده .

(٢) السنن : الطريق ، والقرن : الحبل .

(٣) اشراط الساعة : علاماتها ، وازفت : قربت ، وافراطها جمع فرط وهم الموتى السابقون ، والكلاكل جمع كلكل أي الصدر ، يقال للأمر الثقيل أناخ بكلكله .

(٤) الرث : الخلق ، والغث : الهزيل .

(٥) ضنك : ضيق ، وكلبها : شرها ، ولجبها صوتها .

ذَاكَ وُقُودُهَا ، مُخِيفٌ وَعِيدُهَا ، عَمٍ قَرَارُهَا[1] ، مُظْلِمَةٌ أَقْطَارُهَا . حَامِيَةٌ قُدُورُهَا ، فَظِيعَةٌ أُمُورُهَا « وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَراً »[2] قَدْ أُمِنَ ٱلْعَذَابُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ ، وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوَى وَٱلْقَرَارَ . ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً ، وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَاراً ، تَخَشُّعاً وَٱسْتِغْفَاراً ، وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلاً تَوَحُّشاً وَٱنْقِطَاعاً . فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآباً ، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَاباً ، وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ، فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ .

فَارْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ ، وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ . فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ[3] . وَكَأَنْ

---

(١) قال ابن ابي الحديد : وقودها ههنا – بضم الواو – ولا يجوز الفتح لأنه ما يوقد به كالحطب ونحوه وذاك لا يوصف بأنه ذاك ، اهـ وعم – بالعين المهملة – أي لايهتدى إلى قرارها لظلمته لانه عميق جداً .

(٢) الزمر : ٧١ .

(٣) مديونون : مجزيون .

قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ . فَلاَ رَجْعَةً تَنَالُونَ ، وَلاَ عَثْرَةً تُقَالُونَ ، إِسْتَعْمَلَنَا ٱللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ .

إِلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ[1] ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ ٱللَّهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيداً وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ، وَٱسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . وَقَامَتِ ٱلنِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ . وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلاً .

قال ابن ابي الحديد : « واعلم ان هذه الخطبة من اعيان خطبه عليه السلام ، ومن ناصع كلامه ونادره ، وفيها من صناعة البديع الرائعة المستحسنة البريئة من التكلف ما لا يخفى ، وقد أخذها ابن نباته فأودعها خطبه مثل قوله : « شديد كلبها ، عال لجبها ، ساطع لهبها ، متغيظ زفيرها ، متأجج سعيرها ، بعيد خمودها ، ذاك وقودها ، مخوف وعيدها ، عم قرارها ، مظلمة اقطارها ، حامية قدورها ، فظيعة امورها » فان هذه

---

(١) لزوم الأرض كناية عن القعود والسكون ، ينصحهم بعدم إثارة حرب وإشهار السلاح عند عدم توفر اسباب المغالبة .

الألفاظ كلها اختطفها ، واغار عليها واغتصبها ، وسمط بها خطبه ، وشذر بها كلامه [1]

فلو لم يكن ابن ابي الحديد اطلع عليها في غير (نهج البلاغة) لم يقل انها من اعيان خطابه الخ خصوصاً مع ملاحظة ان ابن نباته توفي سنة ٣٧٤ اي قبل صدور (النهج) بستة وعشرين عاماً [2] .

وروى الآمدي من هذه الخطبة في (الغرر) ص ٥٠ و ١٠٨ .

١٨٩ – وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ للهِ اَلْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَاَلْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَاَلْمُتَعَالِي جَدُّهُ [3] . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ اَلتُّؤَامِ [4] ، وَآلَائِهِ اَلْعِظَامِ . اَلَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى . مُبْتَدِعِ اَلْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ . وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ ، بِلَا اَقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا اَحْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ . وَلَا إِصَابَةِ خَطَأٍ وَلَا حَضْرَةِ مَلَاءٍ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، إِبْتَعَثَهُ وَاَلنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ [5] وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ اَلْحَيْنِ ،

---

(١) شرح النهج م ٣ ص ٢٢٠ .

(٢) انظر الجزء الأول من هذا الكتاب : ص ٤٥ .

(٣) الفاشي : الذائع المنتشر ، والجد : العظمة .

(٤) التؤام جمع توأم – كجعفر – وهو المولود مع غيره في بطن وهو مجاز عن النعم المقارنة

(٥) يضربون في غمرة : يسيرون في جهل وضلالة ، والضرب : السير السريع .

وَٱسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ ٱلرَّيْنِ[1] .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَى ٱللهِ حَقَّكُمْ[2] . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى ٱللهِ . فَإِنَّ ٱلتَّقْوَى فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ ، وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ[3] . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَداً إِذَا أَعَادَ ٱللهُ مَا أَبْدَىٰ ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَىٰ ، وَسَأَلَ مَا أَسْدَىٰ[4] . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا . أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَداً . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ » . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا ، وَكُظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا[5] . وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ

---

(١) الحين : الهلاك ، والرين : الذنب على الذنب حتى يسود القلب .

(٢) أي أنها واجبة عليكم فان فعلتموها وجب على الله ان يجازيكم عنها .

(٣) الجنة – بالضم – : الوقاية ، ويعني بمستودعها : الله سبحانه ويدل عليه قوله تعالى (انا لا نضيع أجر من أحسن عملا) .

(٤) أسدى : منح وأعطى .

(٥) الاهطاع : الاسراع ، والكظاظ : المدوامة والملازمة وتروى والظوا ، والالظاظ : كالالحاح وزناً ومعنى .

سَلَفٍ خَلَفاً ، وَمِنْ كُلٍّ مُخَالِفٍ مُوَافِقاً . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ، وَٱقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ . وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَٱرْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ[1] ، وَدَاوُوا بِهَا ٱلْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا ٱلْحِمَامَ . وَٱعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا[2] . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا ، وَكُونُوا عَنِ ٱلدُّنْيَا نُزَّاهاً ، وَإِلَى ٱلْآخِرَةِ وُلَّاهاً[3] . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلتَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ ٱلدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا[4] وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا . وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا ، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[5] وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ . وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ . وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ ٱلْمُتَصَدِّيَةُ ٱلْعَنُونُ[6] ،

---

(١) ارحضوا : اغسلوا ومنه ثوب رحيض ومرحوض أي مغسول .

(٢) اعتبروا بمن أضاعها من الاشقياء قبل أن تكونوا مثلهم فيعتبر بكم من اطاعها اي لازمها من الأتقياء .

(٣) صونوها : احفظوها ، وتصونوا : تحفظوا ، والنزاه جمع نازه وهو العفيف والولاه جمع واله وهو المشتاق .

(٤) شام البرق : نظر إليه اين يمطر ، والبارق السحاب .

(٥) الأعلاق : جمع علق – بالكسر – أي النفيس ، وخالب : خادع .

(٦) محروبة : منهوبة ، المتصدية : التي تعرض نفسها ، والعنون من عن الشيء إذا عرض .

وَٱلْجَامِحَةُ ٱلْحَرُونُ وَٱلْمَائِنَةُ ٱلْخَؤُونُ[1] . وَٱلْجَحُودُ ٱلْكَنُودُ ، وَٱلْعَنُودُ ٱلصَّدُودُ ، وَٱلْحَيُودُ ٱلْمَيُودُ[2] . حَالُهَا ٱنْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلُوُّهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ[3] . أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ[4] . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا[5] ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا . فَأَسْلَمَتْهُمُ ٱلْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمُ ٱلْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ ٱلْمَحَاوِلُ[6] . فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ[7] . وَعَاضٌّ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ

---

(١) الجامحة : الصعبة ، والحرون : التي تمتنع من السير عندما تقاد أو تضرب لتسير

(٢) الجحود : ناكر الحق مع العلم به والكنود : كافر النعمة ، والعنود : شديدة العناد ، والصدود : كثيرة الصد والهجران والحيود : مبالغة في الحيد وهو الميل ، والميود : من ماد إذا اضطرب

(٣) الحرب – بالتحريك – سلب المال ، والعطب الهلاك .

(٤) القيام على ساق : الاستعداد والتهيؤ فهم بين متهيء منتظر للممات وبين من هو في حالة سياق وهو الشروع في نزع الروح من البدن ، واللحاق بالماضين ، والفراق للباقين .

(٥) تحير المذاهب : حيرة الناس فيها ، وأعجزت مهاربها أي أعجزت الناس الهروب .

(٦) المحاول : المطالب .

(٧) المعقور : المجروح ، والمجزور : المقتول ، والشلو : العضو من الميت أو القتيل ، ومسفوح : مسفوك .

بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ[1] ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ . وَقَدْ أَدْبَرَتِ ٱلْحِيلَةُ وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ[2] ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَا فَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ، وَمَضَتِ ٱلدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا[3] « فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ » .

ذكر ابن ابي الحديد اختلاف الرواية في بعض كلماتها مما يدل على أنه رآها في غير (نهج البلاغة) كما روى الآمدي فقرات منها في (الغرر) ص ٨٧ في حرف الألف بلفظ إن المشددة وفي روايته زائداً على ما رواه الرضي رحمه الله : « ... دار شخوص ، ومحلة تنغيص ، ساكنها ظاعن ، وقاطنها باين ، وبرقها خالب ... الخ » وفيها أيضاً « المتصدية للعيون » ورواية الرضي « المتصدية العنون » كما روى منها في حرف العين ص ١٨٠ و ص ٢٤٥ وسيأتي في الخطبة (١٩٤) أن ما رواه الرضي هنا وما رواه هناك خطبة واحدة .

---

(١) عاض على يديه : ندماً ، وصافق بكفيه : أسفاً ، ومرتفق بخديه : اي جاعل لهما على مرفقيه فكراً وهماً ، والزاري : العائب .

(٢) الغيلة – هنا – : الشر .

(٣) ولات حين مناص : لا حرف نفي والتاء زائدة ولا يكون لات الا مع حين ، والمناص : المهرب ، وهيهات اسم للفعل ، ومعناه بعد والتاء فيها مفتوحة ، ومضت لحالها على طبيعتها لا على ما يريد اهلها .

١٩٠ـ ومن خطبة له عليه السلام

تُسَمَّىٰ ٱلْقَاصِعَة

وهي تتضمن ذم إبليس على استكباره وتركه السجود لآدم عليه السلام ، وأنَّه أَول من أَظهر العصبية وتبع ٱلْحَمِيَّة وتحذير الناس من سلوك طريقته .

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ ، وَٱخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَماً عَلَى غَيْرِهِ[1] ، وَٱصْطَفَاهُما لِجَلاَلِهِ ، وَجَعَلَ ٱللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ ، ثُمَّ ٱخْتَبَرَ بِذٰلِكَ مَلائِكَتَهُ ٱلْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ ٱلْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ

(١) الحمى : المكان المحظور الذي لا يقرب ، والحرم : المحرم .

أَجْمَعُونَ إِلاَّ إِبْلِيسَ[1] » ٱعْتَرَضَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَىٰ آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ ٱللهِ إِمَامُ ٱلْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، ٱلَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ ٱللهَ رِدَاءَ ٱلْجَبَرِيَّةِ . وَٱدَّرَعَ لِبَاسَ ٱلتَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ ٱلتَّذَلُّلِ .

أَلاَ تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ ٱللهُ بِتَكَبُّرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ ، فَجَعَلَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَدْحُوراً ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي ٱلآخِرَةِ سَعِيراً .

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ[2] . وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَىٰ فِيهِ عَلَى ٱلْمَلاَئِكَةِ . وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزاً بِالاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفْياً لِلاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَاداً لِلْخُيَلاَءِ مِنْهُمْ[3] .

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ

---

(١) ص : ٧٢ ، ٧٣ .

(٢) الخطف : الأخذ بسرعة ، والرواء : المنظر الحسن ، والعرف : الريح الطيبة .

(٣) الخيلاء – بضم الخاء المعجمة وكسرها – : الكبر .

عَمَلَهُ ٱلطَّوِيلَ وَجَهْدَهُ ٱلْجَهِيدَ[1] ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ ٱللهَ سِتَّةَ آلاَفِ سَنَةٍ لاَ يُدْرَى أَمِنْ سِنِي ٱلدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي ٱلآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ . فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى ٱللهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ[2] ؟ كَلاَّ ، مَا كَانَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ بَشَراً بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكاً إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ ٱلسَّمَاءِ وَأَهْلِ ٱلأَرْضِ لَوَاحِدٌ . وَمَا بَيْنَ ٱللهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ[3].

فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ[4] . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ ٱلْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ ٱلشَّدِيدِ ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[5] . وَقَالَ : « رَبِّ بِمَا

---

(١) احبط عمله : أبطل ثوابه ، والجهد : الجهاد ، والجهيد : المستقصى .

(٢) قال الشيخ محمد عبده : اي يسلم من عقابه ، وكأنه استعمل سلم بمعنى ذهب أو فات فأتى بعلى .

(٣) الهوادة : اللين والمحاباة .

(٤) يستفزكم : يستخفكم ، والخيل الخيالة اي الفرسان ، والرجل – بفتح الراء وسكون الجيم – اسم جمع لراجل .

(٥) فوق سهمه : سدده ليرمي به ، واغرق بالنزع : استوفى مد القوس ، وبالغ في نزعها ليكون مرماه بعيداً ، ورماكم من مكان قريب : لأنه كما جاء في الحديث « يجري من ابن آدم مجرى الدم » .

أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ »[1] قَذْفاً بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْماً بِظَنٍّ غَيْرِ مُصِيبٍ . صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ ٱلْحَمِيَّةِ[2] ، وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْجَامِحَةُ مِنْكُمْ ، وَٱسْتَحْكَمَتِ ٱلطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ ٱلْحَالُ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ[3] . ٱسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ[4] . فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ ٱلذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ ٱلْقَتْلِ[5] ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ ٱلْجِرَاحَةِ طَعْناً فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْداً لِمَقَاتِلِكُمْ[6] ، وَسَوْقاً بِخَزَائِمِ

---

(١) الحجر : ٣٩ .

(٢) كانت العرب تقول للشيء المتوهم من بعيد : هذا قذف بغيب والغيب الغائب وفي معناه ورجماً بظن غير مصيب وصدقه اي صدق .إبليس في توعد بني آدم بالاغواء،بنو آدم من ابناء الحمية الجاهلية .

(٣) المراد بالجامحة : الأنفس او الاخلاق الجامحة . والطماعية : الطمع ونجمت : ظهرت .

(٤) استفحل سلطانه : قوى ، ودلف بجنوده : تقدم بهم .

(٥) اقحموكم : ادخلوكم ، والولجات جمع ولجة – بالتحريك – الموضع الذي يستتر فيه المار من مطر ونحوه ، والورطات جمع ورطة وهي الهلكة .

(٦) أوطأوكم : جعلوكم واطئين لذلك ، والاثخان مصدر اثخن في القتل إذا اكثر منه قال ابن ابي الحديد : « واعلم انه لما ذكر الطعن نسبه للعيون ، ولما ذكر الحز وهو الذبح نسبه للحلوق ، ولما ذكر الدق وهو الصدم الشديد نسبه اضافة إلى المناخر ، وهذا من صناعة الخطابة التي علمها الله إياه بلاتعليم ، وتعلمها الناس كلهم بعده منه » .

ٱلْقَهْرِ إِلَى ٱلنَّارِ ٱلْمُعَدَّةِ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحاً ، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحاً مِنَ ٱلَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ[1] . فَاجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ وَلَهُ جَدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ[2] ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ . يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[3] . لاَ تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ . فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ ، وَحَلْقَةِ ضِيقٍ ، وَعَرْصَةِ مَوْتٍ ، وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ[4] . فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ[5] مِنْ نِيرَانِ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَأَحْقَادِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ ٱلْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي ٱلْمُسْلِمِ مِنَ

---

(١) الخزائم : جمع خزامة وهي حلقة من شعر توضع في وترة انف البعير فيشد فيها الزمام ، وورى الزند : خرجت ناره وهذا أورى من هذا اكثر اخراجاً للنار .

(٢) الحسب ما يعده الانسان من مفاخر آبائه ، ووقع في حسبكم : عابه ، ومثله ودفع في نسبكم .

(٣) أجلب بخيله ورجله : استحثها والمراد نوته ، ويقتنصونكم : يتصيدونكم ، والبنان أطراف الأصابع وهو جمع واحدته بنانة .

(٤) العزيمة : قوة الارادة ، وحومة الذل : موضعه ، والعرصة — بوزن الضربة — كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، والجولة : الموضع الذي تجول فيه .

(٥) ما كمن : ما استتر .

خَطَرَاتِ ٱلشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[1] . وَٱعْتَمِدُوا وَضْعَ ٱلتَّذَلُّلِ عَلَى رُؤُسِكُمْ ، وَإِلْقَاءِ ٱلتَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ ٱلتَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ . وَٱتَّخِذُوا ٱلتَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[2] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُوداً وَأَعْوَاناً ، وَرَجْلاً وَفُرْسَاناً . وَلاَ تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ٱبْنِ أُمِّهِ[3] مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ ٱللهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ ٱلْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ ٱلْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ ٱلْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ ٱلْغَضَبِ ، وَنَفَخَ ٱلشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ ٱلْكِبْرِ ٱلَّذِي أَعْقَبَهُ ٱللهُ بِهِ ٱلنَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ ٱلْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ .

أَلاَ وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي ٱلْبَغْيِ[4] ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلهِ بِٱلْمُنَاصَبَةِ[5] ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِٱلْمُحَارَبَةِ.

---

(١) الخطرات جمع خطرة وهي ما يعرض على البال ، والنخوة : الكبر والعظمة ، والنزغات والنفثات : الوساوس وتقدم معناها غير مرة .

(٢) والمسلحة : جماعة من الفرسان يكونون في أطراف البلاد تعد للحماية والدفاع .

(٣) اي ابن آدم الذي قتل أخاه ، وإنما قال ابن امه لان الأخوين من الام اشد حنواً ومحبة .

(٤) امعنتم في البغي : بالفتح فيه من امعن في الارض إذا ذهب بعيداً .

(٥) المصارحة : المكاشفة ، والمناصبة المعادات .

فَاللهَ اللهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ[1] الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ[2] ، ذُلُلاً عَلَى سِيَاقِهِ ، سُلُساً فِي قِيَادِهِ[3] . أَمْراً تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ . وَكِبْراً تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ[4] .

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمْ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ[5] ، وَجَاحَدُوا اللهَ مَا صَنَعَ

---

(١) الملاقح جمع ملقح مصدر من لقحت ملقحاً كشربت مشرباً، والشنآن – بفتح النون وتسكينها – البغض ، والمراد من نفخ الشيطان ووسوسته وتسويله، ويقال للمتطاول إلى ما ليس له قد نفخ الشيطان في انفه .

(٢) أعنقوا : اسرعوا ، والحنادس الظلم ، والمهاوي جمع مهواة – بالفتح – وهي الهوة التي يتردى فيها الصيد ، والمراد بها المهالك .

(٣) ذللا اي سهلا ، ومثله سلسا وزناً ومعنى ، وانّما قسم ذللا وسلساً بين سياقه وقياده لأن المستعمل في كلامهم سقته فوجدته ذلولا شموساً ، وقدته فوجدته سلساً او صعباً .

(٤) تشابهت القلوب ، اي ان الحمية والفخر والكبر والعصبية ما زالت القلوب متماثلة متشابهة فيها ، والقرون جمع قرن الامة من الناس ، وتضايقت الصدور به اي كثر حتى امتلأت به وضاقت عنه .

(٥) الهجينة – هنا – القبيحة ، نسبوا ما في الانساب من القبح بزعمهم إلى ربهم كأن يقول الانسان لآخر انا من القوم الفلانيين وانت من القوم الفلانيين وليس الذنب المزعوم في ذلك إلى الانسان لأن الله جعله منهم .

بِهِمْ مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لآلاَئِهِ . فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ ٱلْعَصَبِيَّةِ . وَدَعَائِــمُ أَرْكَانِ ٱلْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ ١ . فَاتَّقُوا ٱللهَ وَلاَ تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَاداً ، وَلاَ لِفَضْلِهِ عِنْدَكُمْ حُسَّاداً ٢ . وَلاَ تُطِيعُوا ٱلأَدْعِيَاءَ ٱلَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ ٱلْفُسُوقِ وَأَحْلاَسُ ٱلْعُقُوقِ ٣ . ٱتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلاَلٍ . وَجُنْداً بِهِمْ يَصُولُ عَلَى ٱلنَّاسِ . وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ . إِسْتِرَاقاً لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولاً فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثاً فِي أَسْمَاعِكُمْ ٤ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ ؛ وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ ٱلأُمَمَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَصَوْلاَتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلاَتِهِ ، وَٱتَّعِظُوا بِمَثَــاوِي خُدُودِهِــمْ ،

---

(١) جاحدوه : اي انكروا صنعه اليهم ، واعتزاء الجاهلية ان يهتف فيقول يالفلان .

(٢) لان البغي والكبر يقتضيان زوال النعمة ، وحلول النقمة .

(٣) المراد بالادعياء هنا ادعياء الاسلام ، والمراد بالمرض هنا النفاق او مرض القلوب. والأحلاس : جمع حلس كساء رقيق يجعل على ظهر البعير ثم قيل لكل ملازم لأمر هو حلس ذلك.

(٤) تراجمة جمع ترجمان – بضم التاء وفتحها – والنفث تقدم معناه ، وتروى « نثاً » من نث الحديث إذا افشاه .

وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ[1] ، وَٱسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ ٱلْكِبْرِ[2] كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ ٱلدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ ٱللهُ فِي ٱلْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَلٰكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرَّهَ إِلَيْهِمُ ٱلتَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ ٱلتَّوَاضُعَ . فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ ، وَعَفَّرُوا فِي ٱلتُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَكَانُوا أَقْوَاماً مُسْتَضْعَفِينَ. وَقَدِ ٱخْتَبَرَهُمُ ٱللهُ بِالْمَخْمَصَةِ ، وَٱبْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ[3] . وَٱمْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ[4] . فَلَا تَعْتَبِرُوا ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطَ بِالْمَالِ وَٱلْوَلَدِ[5] جَهْلاً بِمَوَاقِعِ ٱلْفِتْنَةِ وَٱلْاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ ٱلْغِنَى وَٱلْاقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَاتِ بَلْ

---

(١) المثلات : العقوبات ، والمثاوي ، جمع مثوى وهو المنزل ، ومنازل الخدود ، مواضعها من الارض ، ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب .

(٢) لواقح الكبر : ما يحدثه في النفوس من التعاظم .

(٣) المخمصة : الجوع ، والمجهدة : التعب .

(٤) ومخضهم بالمكاره : حركهم وتروى ومحصهم – بالحاء والصاد المهملتين – اي طهرهم.

(٥) نهى عليه السلام ان يعتبر رضا الله وسخطه بالعطاء والمنع فان ذلك جهل بمواقع الفتنة والاختبار .

لاَ يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ .

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلاَمُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ ٱلصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا ٱلْعِصِيُّ[1] فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ :

« أَلاَ تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ ٱلْعِزِّ وَبَقَاءَ ٱلْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ ٱلْفَقْرِ وَٱلذُّلِّ ، فَهَلاَّ أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ »[2] إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَٱحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ ٱلذِّهْبَانِ ، وَمَعَادِنَ ٱلْعِقْيَانِ[3] ، وَمَغَارِسَ ٱلْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ ٱلسَّمَاءِ وَوُحُوشَ ٱلْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ ٱلْبَلاَءُ ،

---

(١) مدارع جمع مدرعة – بكسر الميم – وهي الكساء ، والعصي جمع عصا .

(٢) اساور جمع اسورة جمع سوار – بكسر السين – .

(٣) الذهبان – كرغفان – الذهب ، وقال ابن ابي الحديد : الذهبان بكسر الذال – والعقيان : الذهب وانما جاء بلفظين لمعنى واحد لاختلاف معنى الكنوز والمعادن .

وَبَطَلَ ٱلْجَزَاءُ ، وَٱضْمَحَلَّتِ ٱلْأَنْبَاءُ[1] ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ ٱلْمُبْتَلِينَ ، وَلاَ ٱسْتَحَقَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ ٱلْمُحْسِنِينَ ، وَلاَ لَزِمَتِ ٱلْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا . وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرى ٱلْأَعْيُنُ مِنْ حَالاَتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ ٱلْقُلُوبَ وَٱلْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ ٱلْأَبْصَارَ وَٱلْأَسْمَاعَ أَذًى[2] .

وَلَوْ كَانَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لاَ تُرَامُ وَعِزَّةٍ لاَ تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ ٱلرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ ٱلرِّحَالِ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى ٱلْخَلْقِ فِي ٱلْاعْتِبَارِ ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلاِسْتِكْبَارِ ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ[3] ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ

---

(١) لسقط الوعد والوعيد وبطلا ، واضمحلت : تلاشت ، والانباء جمع نبأ وهو الخبر ، اي الانباء التي يخبر الانبياء بها اممهم .

(٢) اي إن من يسمى مسلماً و مؤمناً حينئذ تكون تسميته مجازاً لا حقيقة لأنه ملجأ إلى الايمان بما يشاهده .

(٣) اي اقل تأثيراً في القلوب من الاعتبار اي الاتعاظ ، واشد توغلا في الكبر لان الايمان هنالك يكون عن رغبة او رهبة ولم يكن خالصاً لله سبحانه .

ٱلاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ ، وَٱلاسْتِسْلاَمُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لاَ تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ .

وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوى وَٱلإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ أَلاَ تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ إِلَى ٱلْآخِرِينَ مِنْ هذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لا تَضُرُّ وَلاَ تَنْفَعُ ، وَلاَ تُبْصِرُ وَلاَ تَسْمَعُ . فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَاماً . ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَراً ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَراً[1] . وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْراً . بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[2] ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ . لاَ يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلاَ حَافِرٌ وَلاَ ظِلْفٌ[3] .

---

(١) اوعر بقاع الأرض : اصعبها ، ومكان وعر – بالتسكين– صعب المسالك او المقام ونتائق من قولهم : ضيعة منتاق اي كثيرة الريع .

(٢) القطر : الجانب ، ورمال دمثة سهلة وكلما كان الرمل سهلا كان ابعد عن ان ينبت

(٣) وشلة : قليلة الماء ، ومنقطعة : متباعدة ، والمراد بالخف الابل ، والحافر الخيل والحمير والبغال ، والظلف الغنم والبقر ، ولا يزكو : لا يسمن .

ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمَلْقَى رِحَالِهِمْ[1]. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ. مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ[2]، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ[3]. وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ[4]، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، ابْتِلَاءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً، وَاخْتِبَاراً مُبِيناً، وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً، جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ،

---

(١) يثنوا اعطافهم: يقصدوه، والمثابة: اي يثاب اليه ويرجع نحوه مرة بعد اخرى والنجعة بالأصل: طلب الكلأ ثم كل مقصد ينتفع منه منتجعاً. وملقى الرحال: محطها.

(٢) ثمار الافئدة: سويداؤها، والمفاوز: الفلوات، والقفار: جمع رقفراء وهي الأرض التي لا نبات فيها ولا ماء. وسحيقة: بعيدة. والمهاوي: المساقط، والفجاج جمع فج وهو الطريق بين الجبلين والعميق ما بعد من اطراف المفاوز.

(٣) يهزوا مناكبهم اي يحركهم الشوق نحوه حتى يسافروا إليه وكنى عن السفر بهز المناكب، وذللا حال منهم، ويهلون يرفعون اصواتهم بالتلبية، وتروى «ويهللون» اي يرفعون اصواتهم بالتهليل.

(٤) الرمل السعي بين المشي والهرولة.

وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ[1] ، جَمِّ ٱلْأَشْجَارِ ، دَانِي ٱلثِّمَارِ ، مُلْتَفَّ ٱلْبُنَا ، مُتَّصِلِ ٱلْقُرَى ، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ ، وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ[2] ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ ٱلْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ ٱلْبَلَاءِ . وَلَوْ كَانَ ٱلْإِسَاسُ ٱلْمَحْمُولُ عَلَيْهَا ، وَٱلْأَحْجَارُ ٱلْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاءَ ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذٰلِكَ مُصَارَعَةَ ٱلشَّكِّ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ ٱلرَّيْبِ مِنَ ٱلنَّاسِ[3] ، وَلٰكِنَّ ٱللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ ٱلشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ ٱلْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ ٱلْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ . وَلِيَجْعَلَ ذٰلِكَ أَبْوَاباً

---

(١) المشاعر : معالم النسك ، وسهل وقرار في مكان سهل يستقرون به

(٢) جم الأشجار كثيرها ، وداني الثمار قريبها ، وملتف البنا اي مشتبك العمارة ، وبرة الواحدة من البر وهو الحنطة ، والارياف جمع ريف وهو الخصب والمرعى ، ومغدقة: ذات ماء كثير .

(٣) تروى « مضارعة الشك » ومعناه ، مقارنة الشك ، ودنوه من النفس ، ومعتلج الريب اضطرابها .

فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ .

فَاللَّهَ اللَّهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ[1] مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ . فَمَا تُكْدِي أَبَداً ، وَلاَ تُشْوِي أَحَداً ، لاَ عَالِماً لِعِلْمِهِ ، وَلاَ مُقِلاًّ فِي طِمْرِهِ[2] . وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ[3] بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ[4] ، وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاَءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً ، وَالْتِصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ

---

(١) تساور القلوب : تواثبها وتقاتلها ، وما تكدي ماترد من اكدى حافر الفرس إذا بلغ الكدية اي الأرض الصلبة .

(٢) لا تشوي احداً : لا تخطى المقتل وتتعداه إلى غيره ، والطمر : الثوب الخلق .

(٣) قال ابن ابي الحديد ما زائدة مؤكدة اي وعن هذه المكائد حرس الله عباده المؤمنين فعن متعلقة بحرس اه .

(٤) اي حرسهم بهذه الأعمال عن تلك المكائد فجعل التسكين والتخشيع علة للحراسة ونصب اللفظات على انها مفعول لاجله .

(٥) تخفيض القلوب : حطها من الاعتلاء ، والخيلاء التكبر ، وعتاق الوجوه : كرائمها .

بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً ، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَذَلُّلاً . مَعَ مَا فِي ٱلزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذلِكَ إِلَى أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَٱلْفَقْرِ .

ٱنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ ١. وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَداً مِنَ ٱلْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلاَّ عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ ٱلْجُهَلاَءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ٢ بِعُقُولِ ٱلسُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ . فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لاَ يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ وَلاَ عِلَّةٌ. أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ .وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ: أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ .

وَأَمَّا ٱلْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ ٱلْأُمَمِ ٣ فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ ٱلنِّعَمِ . فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلاَداً وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ٤ » فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ مِنَ ٱلْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ ٱلْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ ٱلْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ ٱلْأُمُورِ

---

(١) القمع : القهر ، والنواجم جمع ناجمة وهي ما يظهر ويطلع من الكبر وغيره والقدع – بالدال المهملة – الكف ، والطوالع كالنجوم .

(٢) التموية : التلبيس ، وتليط : تلتصق .

(٣) المترفة : جمع مترف وهو الذي اطغته النعمة .

(٤) سبأ : ٣٥ .

ٱلَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا ٱلْمُجَدَاءُ ،وَٱلنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ ٱلْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ ٱلْقَبَائِلِ١ بِٱلْأَخْلَاقِ ٱلرَّغِيبَةِ ، وَٱلْأَحْلَامِ ٱلْعَظِيمَةِ ، وَٱلْأَخْطَارِ ٱلْجَلِيلَةِ ، وَٱلْآثَارِ ٱلْمَحْمُودَةِ٢ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ ٱلْحَمْدِ مِنَ ٱلْحِفْظِ لِلْجِوَارِ ، وَٱلْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ ، وَٱلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَٱلْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَٱلْأَخْذِ بِٱلْفَضْلِ ، وَٱلْكَفِّ عَنِ ٱلْبَغْيِ ، وَٱلْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَٱلْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَٱلْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَٱجْتِنَابِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ٣ . وَٱحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِٱلْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ ٱلْمَثُلَاتِ بِسُوءِ ٱلْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ٤ . فَتَذَكَّرُوا فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ ، وَٱحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ ، وَزَاحَتِ ٱلْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ٥ ، وَمُدَّتِ

---

(١) تفاضلت فيها : تزايدت ، والمجداء جمع ماجد والمجد الشرف ، والنجداء جمع نجيد وهو الشجاع ، واليعاسيب : الرؤساء ، واليعسوب في الأصل امير النحل .

(٢) الرغيبة : الخصلة المرغوبة ، والاحلام : العقول ، والاخطار : الاقدار .

(٣) الذمام – بالكسر – ما يذم الرجل على تضييعه وكظم الغيظ ، حبسه وهو قادر على امضائه ، والغيظ : الغضب .

(٤) المثلات : العقوبات ، وذميم الأفعال : ما يذم منها .

(٥) تفاوت حاليهم : اختلافهما ، وزاحت بعدت ، وله اي لاجله .

ٱلْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ ، وَٱنْقَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ ، وَوَصَلَتِ ٱلْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ ٱلاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ ، وَٱللُّزُومِ لِلأُلْفَةِ ، وَٱلتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَٱلتَّوَاصِي بِهَا ، وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ ، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ[1] . مِنْ تَضَاغُنِ ٱلْقُلُوبِ ، وَتَشَاحُنِ ٱلصُّدُورِ ، وَتَدَابُرِ ٱلنُّفُوسِ ، وَتَخَاذُلِ ٱلأَيْدِي ، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ ٱلتَّمْحِيصِ وَٱلْبَلاَءِ[2] . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلاَئِقِ أَعْبَاءً ، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلاَءً ، وَأَضْيَقَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَالاً . ٱتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ عَبِيداً فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ فَلَمْ[3] تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ . لاَ يَجِدُونَ حِيلَةً فِي ٱمْتِنَاعٍ ، وَلاَ سَبِيلاً إِلَى دِفَاعٍ . حَتَّى إِذَا رَأَى ٱللهُ

---

(١) الحض : الحث ، والتحاض : ان يحث بعضهم بعضاً ، والفقرة : واحدة فقر الظهر ، ويقال لمن اصابته مصيبة شديدة قد كسرت فقرته ، والمنة – بضم الميم – القوة .

(٢) الضغن : الحقد وشحن الصدر امتلاه بالاحقاد . وتخاذل الايدي : عدم التناصر ، والتمحيص : التطهير والتصفية .

(٣) الاعباء : الاثقال ، واجهد العباد : اتعبهم ، والفراعنة : العتات وكل عات فرعون وساموهم : الزموهم ، والمرار : شجر مر واستعير شرب المرار لكل من يلقى شدة .

جِدَّ ٱلصَّبْرِ[1] مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذى فِي مَحَبَّتِه ، وَٱلإِحْتِمَالِ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِه جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجاً ، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكاً حُكَّاماً ، وَأَئِمَّةً أَعْلَاماً ، وَبَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ .

فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً ، وَٱلْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً ، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً ، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً ، وَٱلسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً ، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً[2] ، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً . أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَاباً فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ ، وَمُلُوكاً عَلَى رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ . فَانْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَازِبِينَ قَدْ خَلَعَ ٱللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِه ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِه[3] . وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ

---

(١) جد الصبر : اشده .

(٢) الاملاء : الجماعات ، واحده ملأ ، ومترادفة : متعاونة ، نافذة أي ثاقبة .

(٣) تشعبوا : صاروا شعوباً وقبائل مختلفين ، تفرقوا متحزبين : اي تفرقوا مع تحزبهم، وغضارة النعمة : الطيب اللين منها .

عِبَراً لِلْمُعْتَبِرِينَ .

فَاعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلاَمُ . فَمَا أَشَدَّ ٱعْتِدَالَ ٱلْأَحْوَالِ[1] ، وَأَقْرَبَ ٱشْتِبَاهَ ٱلْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ ٱلْأَكَاسِرَةُ وَٱلْقَيَاصِرَةُ أَرْبَاباً لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ ٱلْآفَاقِ[2] ، وَبَحْرِ ٱلْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ ٱلدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ ٱلشِّيحِ ، وَمَهَافِي ٱلرِّيحِ[3] ، وَنَكَدِ ٱلْمَعَاشِ ، فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ[4] ، أَذَلَّ ٱلْأُمَمِ دَاراً ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَاراً . لاَ يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ

---

(١) اي ما اشبه الأشياء بعضها ببعض .

(٢) يحتازونهم : يبعدونهم ، والمراد بريف الآفاق الشام .

(٣) منابت الشيح : ارض العرب والشيح : نبت معروف يكثر فيها ومها في الريح : التي تهفو فيها اي تهب وهي الفيافي والصحاري .

(٤) نكد العيش : ضيقه ، وعالة : فقراء ، والدبر : مصدر دبر البعير إذا عقره القتب ، والوبر للبعير كالصوف للضان ، والشعر للمعز ، والمراد : انهم صاروا قبائل رحل.

يَعْتَصِمُونَ بِهَا[1] ، وَلاَ إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا . فَالْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَالْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَالْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءِ أَزْلٍ[2] ، وَإِطْبَاقِ جَهْلٍ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْؤُدَةٍ[3] ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ .

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ اللّهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولاً ، فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ . كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا[4] . فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ[5] . قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ[6] ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ . وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ

---

(١) اي لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون إليه ، ويعتصمون بمناصرة دعوته .
(٢) الازل : الضيق .
(٣) الموؤدة : المثقلة بالتراب اي البنات التي كانت تدس في الجاهلية بالتراب .
(٤) التفت بهم : جمعتهم وجعلتهم جميعاً في بركاتها العائدة إليهم .
(٥) فكهين : ناعمي البال ، مطمئني النفوس ، معجبين بما أصابهم .
(٦) تربعت : اقامت .

فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى ٱلْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرَضِينَ . يَمْلِكُونَ ٱلْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ . وَيُمْضُونَ ٱلْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ . لاَ تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ[1] ، وَلاَ تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ .

أَلاَ وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ ٱلطَّاعَةِ . وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ ٱللهِ ٱلْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ ٱلْجَاهِلِيَّةِ[2]. فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱمْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هذِهِ ٱلْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هذِهِ ٱلْأُلْفَةِ ٱلَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا ، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا ، بِنِعْمَةٍ لاَ يَعْرِفُ أَحَد مِنَ ٱلْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ ، وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ ٱلْهِجْرَةِ أَعْرَاباً[3] ، وَبَعْدَ

---

(١) القناة : الرمح . وعدم غمز القناة كناية عن القوة والصلابة .

(٢) الثلمة : الخلل في الحائط .

(٣) الاعراب من آمن برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اهل البادية ولم يهاجر اليه وهم ناقصوا المرتبة عن المهاجرين لانهم لم يسمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يخالطوا العلماء من اصحابه فهم اجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله .

ٱلْمُوَالاَةِ أَحْزَاباً . مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ ٱلْإِسْلاَمِ إِلاَّ بِٱسْمِهِ ، وَلاَ تَعْرِفُونَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ إِلاَّ رَسْمَهُ تَقُولُونَ ٱلنَّارَ وَلاَ ٱلْعَارَ[1] ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا[2] ٱلْإِسْلاَمَ عَلَى وَجْهِهِ ، ٱنْتِهَاكاً لِحَرِيمِهِ ، وَنَقْضاً لِمِيثَاقِهِ ٱلَّذِي وَضَعَهُ ٱللهُ لَكُمْ حَرَماً فِي أَرْضِهِ وَأَمْناً بَيْنَ خَلْقِهِ . وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ ٱلْكُفْرِ ، ثُمَّ لاَ جَبْرَائِيلُ وَلاَ مِيكَائِيلُ وَلاَ مُهَاجِرُونَ وَلاَ أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلاَّ ٱلْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَكُمْ وَإِنَّ عِنْدَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ ٱللهِ وَقَوَارِعِهِ ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ .

فَلاَ تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلاً بِأَخْذِهِ ، وَتَهَاوُناً بِبَطْشِهِ ، وَيَأْساً مِنْ بَأْسِهِ . فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَرْنَ ٱلْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلاَّ لِتَرْكِهِمُ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ

---

(١) والنار والعار منصوبتان باضمار فعل اي ادخلوا النار ولا تلتزموا العار وهي كلمة جارية مجرى المثل يقولها ارباب الحمية ، وإلى ذلك اشار الحسين عليه السلام بقوله يوم عاشوراء

الموت اولى من ركوب العـــار والعـــار اولى من دخول النـــار

والله من هذا وهذا جاري

(٢) تكفئوه : تكبوه .

ٱلْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ ٱللهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي ، وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي .

أَلاَ وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ أَلاَ وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ . وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ[١] . وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ[٢] . وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ ؛ وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّراً[٣] .

أَنَا وَضَعْتُ فِي ٱلصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ ٱلْعَرَبِ[٤] ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ

---

(١) الناكثون : اصحاب الجمل ، والبغاة : اصحاب معاوية ، والمارقة : الخوارج ودوخت : ذللت .

(٢) الردهة : شبه نقرة في الجبل يجتمع فيها الماء، واختلف الشارحون في تعيينه واقوى اقوالهم انه ذو الثدية رئيس الخوارج وجد مقتولا في ردهة ، والصعقة : الغشية : تصيب الانسان ، ووجبة القلب خفقانه ، ورجة الصدر : اهتزازه .

(٣) اديلن منهم : امحقهم ، والتشذر : التفرق .

(٤) الكلاكل : الصدور يريد اكابرهم ، والنواجم : الظاهرة الرفيعة : يريد الاشراف .

رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ ، وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلِيدٌ يَضُمُّنِي إِلَىٰ صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَىٰ فِرَاشِهِ ، وَيَمُسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[1]. وَكَانَ يَمْضَغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلاَ خَطْلَةً فِي فِعْلٍ[2] . وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلاَئِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلاَقِ ٱلْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ[3] يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلاَقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[4] فَأَرَاهُ وَلاَ يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلاَمِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ ، وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ .

---

(١) عرفه – بالفتح – رائحته الذكية .
(٢) الخطلة : واحدة الخطل، كالفرحة واحدة الفرح. والخطل: الخطأ ينشأ عن عدم الروية .
(٣) الفصيل ولد الناقة .
(٤) حراء بكسر الحاء جبل على القرب من مكة .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللهِ مَا هٰذِهِ ٱلرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ هٰذَا ٱلشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ ، إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلاَّ أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ ، وَلٰكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ .

وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلاَ أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْراً إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ لَكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ

أَنَّكُمْ لاَ تَفيئُونَ إلىَ خَيْرٍ[1] ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقلِيبِ[2] ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلأَحْزَابَ. ثُمَّ قَالَ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِه : يَاأَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ . فَوَٱلَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لاَنْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ[3] أَجْنِحَةِ ٱلطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ ٱللهِ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً ، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا ٱلأَعْلَى عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّم ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي ، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِـه فَلَمَّا نَظَرَ ٱلْقَوْمُ إِلىَ ذٰلِكَ قَالُوا — عُلُوّاً وَٱسْتِكْبَاراً — : فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذٰلِكَ ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِياً ، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِـهِ فَقَالُوا كُفْراً

---

(١) لا تفيئون : لا ترجعون .

(٢) القليب — كأمير — البئر . والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش ، والاحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه .

(٣) القصف : الصوت الشديد .

وَعُتُوّاً ـ فَمُرْ هذَا ٱلنِّصْفَ فَلْيَرْجِـعْ إلَىٰ نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ . فَقُلْتُ أَنَا : لاَ إِلهَ إِلاَّ ٱللهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ ٱلشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ ٱللهِ تَعَالَىٰ تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلاَلاً لِكَلِمَتِكَ . فَقَالَ ٱلْقَوْمُ كُلُّهُمْ : بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ ، عَجِيبُ ٱلسِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلاَّ مِثْلُ هذَا (يَعْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لاَ تَأْخُذُهُمْ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لاَئِـمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا ٱلصِّدِّيقِينَ ، وَكَلاَمُهُمْ كَلاَمُ ٱلْأَبْرَارِ ، عُمَّارُ ٱللَّيْلِ وَمَنَارُ ٱلنَّهَارِ[1] ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ . يُحْيُونَ سُنَنَ ٱللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ . لاَ يَسْتَكْبِرُونَ وَلاَ يَعْلُونَ ، وَلاَ يَغُلُّونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ ، قُلُوبُهُمْ فِي ٱلْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي ٱلْعَمَلِ[2] .

الخطبة القاصعة أطول خطب أمير المؤمنين عليه السلام على ما ذكره

---

(١) سيماهم : علامتهم .

(٢) يغلون : يخونون . وقلوبهم في الجنان الخ اي قلوبهم ملتذة بمعرفة الله واجسادهم نصبة بالعبادة .

الشارحون لها، وهي في عدة فصول في المواعظ والزواجر، والنهي عن التكبر والتعصب وأمثالهما من الرذائل التي كانت قد فشت بين شبان اهل الكوفة فوعظهم بهذه الخطبة وهو راكب على ناقة تقصع بجرتها (اي تملأ فاها عما في جوفها ثم ترده إلى جوفها) [1] .

واذا صح هذا فلا وجه للوجوه التي ذكرها ابن ابي الحديد في تسميتها فقد قال : يجوز ان تسمى هذه الخطبة القاصعة من قولهم : قصعت الناقة بجرتها ، وهو أن تردها إلى جوفها أو تخرجها من جوفها فتملأ فاها . فلما كانت الزواجر والمواعظ في هذه الخطبة مرددة من أولها إلى آخرها شبهها بالناقة التي تقصع الجرة ، ويجوز ان تسمى القاصعة لانها كالقاتلة لابليس واتباعه من اهل العصبية . من قولهم : قصعت القملة إذا هشمتها وقتلتها ، ويجوز ان تسمى القاصعة لان المستمع لها المعتبر بها يذهب كبره ونخوته ، فيكون من قولهم : قصع الماء عطشه اي اذهبه وسكنه ، قال ذو الرمة بيتاً في هذا المعنى :

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها وقد تشح فلا ريّ ولا هيم

الصرائر جمع صريرة وهي العطش ، ويجوز ان تسمى القاصعة لانها تتضمن تحقير ابليس واتباعه وتصغيرهم من قولهم : قصعت الرجل إذا امتهنته وحقرته ، وغلام مقصوع اي قميء لا يشب ولا يزداد [2] .

وقد حصلت نسخة عند السيد رضي الدين علي بن طاووس ونقل عنها في «اليقين» ص ١٩٦ وقال : وجدتها منضمة – يعني هذه الخطبة – مع أخبار في فضل اهل البيت عليهم السلام قد جمعها الأقدمون وكان تاريخ كتابتها سنة ثمانين ومائتين ونقلها الشريف الرضي بدون إسناد .

---

(١) الذريعة : ٧ / ٢٠٤ .

(٢) شرح النهج م ٣ ص ٢٢٥ .

كما روى الكليني في « فروع الكافي » : ج ٤ ص ١٦٨ فصلا من هذه الخطبة يبتدىء من قوله عليه السلام (ولو اراد الله جل ثناؤه بأنبيائه) إلى (ذللاً لعفوه) . وكذلك الصّدوق في « الفقيه » : ج ١ ص ١٥٢ .

كما نقل الزمخشري في الجزء الأول من « ربيع الابرار » ص ١١٣ مخطوطة الاوقاف فصلا من هذه الخطبة من قوله عليه السلام (فافتخر على آدم بخلقه) إلى قوله (حمى حرمه الله على العالمين) .

ورواها الماوردي في « اعلام النبوة » : ص ٩٧ كما روى ما يشتمل على قصة الشجرة ، وحكى ذلك عن اهل النقل .

وأما أمر الشجرة التي دعاها رسول الله ﷺ فالحديث الوارد فيها كثير مستفيض قد ذكره المحدثون في كتبهم ، وذكره المتكلمون في معجزات الرسول ﷺ ، والأكثرون رووا الخبر فيها على الوضع الذي جاء في خطبة امير المؤمنين ، ومنهم من يروي ذلك مختصراً ، انه دعا شجرة فاقبلت تخد اليه الأرض خداً ، وقد ذكر البيهقي في كتاب « دلائل النبوة » حديث الشجرة ، ورواه ايضاً محمد بن اسحق بن يسار في كتاب « السيرة والمغازي » على وجه آخر[1]. وأشار اليها البوصيري في البردة بقوله:

جائت لدعوته الاشجار ساجدة تمشي اليه بلا ساقٍ على قدم

١٩١ — ومن خطبة له عليه السلام

رُوِيَ أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلاً عَابِداً ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ صِفْ

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٣ ص ٢٥٦ .

لِي ٱلْمُتَّقِينَ حَتي كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ . فَتَثَاقَلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمْ قَالَ : يَا هَمَّامُ ٱتّقِ ٱللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا وَٱلَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهذَا ٱلْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَحَمِدَ ٱللَّهَ وَأَثْنى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلىَ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمْ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ ٱلْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لأَنَّهُ لاَ تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلاَ تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ ٱلْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ ٱلصَّوَابُ ، وَمَلْبَسُهُمُ ٱلاقْتِصَادُ[1] ، وَمَشْيُهُمُ ٱلتَّوَاضُعُ . غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ . نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلاَءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ[2] . وَلَوْلاَ ٱلأَجَلُ ٱلَّذِي كُتِبَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ

---

(١) اي ليس بالثمين جداً ولا بالحقير جداً ، وفسرها بعضهم بأن الاقتصاد وهو الأخذ بمقدار الحاجة صار كالثوب لهم لالتزامهم به» .

(٢) اي إنهم طابوا نفساً في الرخاء والشدة كطيب انفسهم بأحوالهم في الرخاء والنعمة

أَرْوَاحُهمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقاً إِلَى ٱلثَّوَابِ ، وَخَوْفاً مِنَ ٱلْعِقَـابِ . عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ ، وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ . قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ ،وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ . وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ . صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً . تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ[1] يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ . أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا . وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا . أَمَّا ٱللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلاً . يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ[2] . فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعاً ، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقاً ، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ . وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ

---

(١) تجارة مربحة خبر لمبتدأ محذوف تقديره تجارتهم تجارة مربحة، ومربحة : أي افادت ربحاً .

(٢) يستثيرون : يستخرجون دواء لادواء نفوسهم ، وامراض صدورهم وتروى « يستشيرون » كاستشارة مرضى الأبدان للاطباء .

وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ[1] ، مُفْتَرِشُونَ لِجَبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ ، يَطْلُبُونَ إِلَى ٱللهِ تَعَالى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ . وَأَمَّا ٱلنَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ . قَدْ بَرَاهُمُ ٱلْخَوْفُ بَرْيَ ٱلْقِدَاحِ[2] يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ ٱلنَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا[3] . وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ . لاَ يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ ٱلْقَلِيلَ . وَلاَ يَسْتَكْثِرُونَ ٱلْكَثِيرَ . فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ . وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ[4] إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ : أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي . ٱللَّهُمْ لاَ تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَٱجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَٱغْفِرْ لِي مَا لاَ يَعْلَمُونَ .

فَمِنْ عَلاَمَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ،

---

(١) حانون « الخ » صفة لركوعهم وسجودهم .

(٢) القداح جمع قدح وهو السهم قبل ان يراش اي يثقف .

(٣) خولطوا : اختلت عقولهم .

(٤) مشفقون : خائفون .

وَحَزْماً فِي لِينٍ ، وإِيماناً فِي يَقِينٍ . وَحِرْصاً فِي عِلْمٍ ، وَعِلْماً فِي حِلْمٍ . وَقَصْداً فِي غِنىً[1] وَخُشُوعاً فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلاً فِي فَاقَةٍ . وَصَبْراً فِي شِدَّةٍ . وَطَلَباً فِي حَلاَلٍ وَنَشَاطاً فِي هُدًى . وَتَحَرُّجاً عَنْ طَمَعٍ[2] . يَعْمَلُ ٱلأَعْمَالَ ٱلصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُمْسِي وَهَمُّهُ ٱلشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ ٱلذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِراً وَيُصْبِحُ فَرِحاً . حَذِراً لِمَا حَذِرَ مِنَ ٱلْغَفْلَةِ . وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ ٱلْفَضْلِ وَٱلرَّحْمَةِ . إِنِ ٱسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ[3] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لاَ يَزُولُ ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لاَ يَبْقَى[4] . يَمْزِجُ ٱلْحِلْمَ بِٱلْعِلْمِ ، وَٱلْقَوْلَ بِٱلْعَمَلِ ، تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ ، قَلِيلاً زَلَلُهُ ، خَاشِعاً قَلْبُهُ ، قَانِعَةً نَفْسُهُ ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ ، سَهْلاً أَمْرُهُ ، حَرِيزاً دِينُهُ[5] مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُوماً غَيْظُهُ . ٱلْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَٱلشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

---

(١) الاقتصاد بين الاسراف والتقتير .

(٢) التحرج : التأثم .

(٣) اي استعصت عليهم انفسهم في الطاعة لم يجيبوها إلى ما تتوق اليه من المعصية .

(٤) ما لا يزول نعيم الآخرة ، والذي لا يبقى حطام الدنيا .

(٥) منزوراً اي قليلا ، حريزاً : منيعاً .

إنْ كَانَ فِي ٱلْغَافِلِينَ كُتِب فِي ٱلذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي ٱلذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ ٱلْغَافِلِينَ . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ ، بَعِيداً فُحْشُهُ[١] . لَيِّناً قَوْلُهُ . غَائِباً مُنْكَرُهُ ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلاً خَيْرُهُ ، مُدْبِراً شَرُّهُ . فِي ٱلزَّلاَزِلِ وَقُورٌ[٢] ، وَفِي ٱلْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي ٱلرَّخَاءِ شَكُورٌ . لاَ يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلاَ يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ[٣] . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لاَ يُضِيعُ مَا ٱسْتُحْفِظَ . وَلاَ يَنْسَىٰ مَا ذُكِّرَ . وَلاَ يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ[٤] . وَلاَ يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلاَ يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ . وَلاَ يَدْخُلُ فِي ٱلْبَاطِلِ . وَلاَ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ ٱللهُ هُوَ ٱلَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ . وَٱلنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ

---

(١) الفحش : القبيح من القول .

(٢) الزلازل : الشدائد .

(٣) اي لا يأثم في حبه ولا في بغضه .

(٤) النبز : العيب ، اي لا يعيب غيره بلقب يكرهه ويشمئز منه .

عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ . وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلاَ دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ .

(قَالَ) فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا[1] . فَقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ : أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ . ثُمَّ قَالَ : أَهٰكَذَا تَصْنَعُ ٱلْمَوَاعِظُ ٱلْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا ؟ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ : وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لاَ يَعْدُوهُ وَسَبَباً لاَ يَتَجَاوَزُهُ . فَمَهْلاً لاَ تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ ٱلشَّيْطَانُ عَلىَ لِسَانِكَ .

تسمى هذه الخطبة بخطبة همام وهي من خطبه عليه السلام المعروفة ، وقد رويت بأسانيد مختلفة ، وطرق شتى ، فمن رواها قبل الشريف الرضي أبان بن ابي عياش — كما في كتاب سليم بن قيس الهلالي : ص ٢١١ — ورواها الصدوق باسناد ذكره في « الأمالي » ص ٣٤٠ في المجلس الرابع والثلاثين ، الذي أملاه يوم الثلاثاء ، الثامن عشر من رجب ، سنة ثمان وستين وثلثمائة اي قبل ان يتخطى الشريف الرضي التاسعة من عمره الشريف وقبلهما ابن قتيبة روى جملة منها في كتاب الزهد من كتب « عيون الأخبار » م ٢ — ٣٥٢ ، ورواها الحرّاني في « تحف العقول » ص ١٥٩ ، إلى غير هؤلاء ، هذا قبل الرضي، أما بعده فقد رواها جماعة من العلماء بأسانيد وصور تعرف منها على أنهم لم يأخذوها عن

(١) صعق : غشي عليه ، وكانت فيها نفسه : مات .

« النهج » منهم سبط ابن الجوزي في « التذكرة » ص ١٤٨ نقلها من رواية مجاهد عن ابن عباس بصورة أخصر . وابن طلحة الشافعي في « مطالب السؤول » ج ١ ص ١٥١ من قوله عليه السلام (المؤمنون اهل الفضائل) إلى قوله سلام الله عليه (يمسي وهمه الشكر ويصبح وشغله الذكر) وزاد على رواية الرضي (أولئك الآمنون المطمئنون الذين يسقون من كأس لا لغو فيها ولا تأثيم) .

ثم رواها بصورة أخرى عن نوف قال : عرضت حاجة إلى امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فاستتبعت اليه جندب بن زهير والربيع بن خُثيم وابن اخيه همام بن عبادة بن خُثيم ، وكان من أصحاب البرانس المتعبدين ، فاقبلنا إليه فألفيناه حين خرج يؤم المسجد ، فأفضى ونحن معه إلى نفر متدننين قد أفاضوا في الاحدوثات تفكهاً ، وهم يلهي بعضهم بعضاً ، فاسرعوا إليه قياماً وسلموا عليه ، فرد التحية ثم قال : من القوم ؟ فقالوا : أناس من شيعتك يا امير المؤمنين ، فقال لهم خيراً ثم قال : يا هؤلاء مالي لا أرى فيكم سمة شيعتنا ، وحلية أحبتنا ؟ فأمسك القوم حياءً ، فأقبل عليه جندب والربيع فقالا له : ما سمة شيعتك يا امير المؤمنين ؟ فسكت فقال همام — وكان عابداً مجتهداً — أسألك بالذي اكرمكم اهل البيت وخصكم وحباكم ، لما انبئتنا بصفة شيعتك ، فقال : لا تقسم فسأنبئكم جميعاً ثم ذكر الموعظة بتفاوت يسير مع رواية الرضي ، وذكر في آخرها صيحة همام وموته وغسله وصلاة امير المؤمنين عليه السلام عليه .

وروى الكراجكي في « كنز الفوائد » : ص ٣١ مثله مسنداً .

ولهذه الخطبة عدة شروح منها :

١ — شرح خطبة همام للسيد علاء الدين كلستانه المتوفى سنة (١١١٠)[١]

---

(١) الذريعة ١٣/ ٢٢٥ .

وقد مر ان السيد علاء الدين المذكور من شراح « نهج البلاغة » كما مر انه له شرح الخطبة الشقشقية [1].

٢ ـ شرح خطبة همام للفاضل الشريف أمير آصف القزويني ، الذي كان حياً بأصفهان ايام محاصرة الافغان لها سنة (١١٣٦) وتوفي قريباً من تلك الوقعة ذكره الشيخ عبد النبي القزويني في « تتميم امل الآمل » وقال : انه شرح بطراز جديد ، وبيان سديد رأيته وقد اجاد فيه [2].

٣ ـ شرح خطبة همام للمولى محمد تقي بن مقصود علي المجلسي المتوفى سنة (١٠٧٠) ه قال ولده العلامة المجلسي في اعتقاداته : هو شرح جامع فعليك بمطالعته ، واحال عليه ايضاً في « عين الحياة » [3].

٤ ـ شرح خطبة همام للمولى محمد تقي بن حسين علي الهروي الاصفهاني الحائري المتوفي سنة (١٢٩٩) [4].

٦ ـ شرح خطبة همام ، للشيخ محمد جواد بن علي بن الشيخ جعفر التستري المتوفي (١٣٢٥) ه [5].

٧ ـ شرح خطبة همام للفاضل ابي القاسم الشهير بالعلامة بن الميرزا احمد شيخ الاسلام الاصطهباناتي [6].

٨ ـ شرح خطبة همام باللغة الكجراتيه اسمه (نعمة الهى) طبع بالهند [7]

---

(١) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٢٣٥ و ص ٣٢٣ .
(٢) الذريعة : ١٣ / ٢٢٦ .
(٣) نفس المصدر : ١٣ / ٢٢٦ .
(٤) المصدر السابق ١٣ / ٢٢٥ .
(٥) المصدر السابق : ١٤ / ٢٢٥ .
(٦) المصدر نفسه : ١٣ / ٢٢٥ .
(٧) المصدر نفسه : ١٣ / ٢٢٠ .

١٩٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ

يَصِفُ فِيهَا ٱلْمُنَافِقِينَ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ ٱلْمَعْصِيَةِ ١. وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ ٱعْتِصَاماً . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ ٱللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ ٢ ، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ . وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ ٱلْأَدْنَوْنَ ، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ ٱلْأَقْصَوْنَ ٣ . وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ ٱلْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا ، وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ ٱلدَّارِ وَأَسْحَقِ ٱلْمَزَارِ ٤ .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ . وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ ٱلنِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ ٱلضَّالُّونَ ٱلْمُضِلُّونَ ، وَٱلزَّالُّونَ ٱلْمُزِلُّونَ ٥ . يَتَلَوَّنُونَ

---

(١) ذاد عنه : حمى عنه .

(٢) الغمرة : الشدة .

(٣) التلون : التقلب من حال إلى حال ، وتألب : تجمع .

(٤) خلع الأعنة : كناية عن الخروج عن الطاعة . وضرب بطون الرواحل: كناية عن السير الحثيث ، واسحق : ابعد .

(٥) الزالون : من زل اي اخطأ ، والمزلون : من ازله اذا اوقعه في خطأ .

أَلْوَاناً ، وَيَفْتَنُّونَ ٱفْتِنَاناً١ ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ٢ . يَمْشُونَ ٱلْخَفَاءَ ، وَيَدِبُّونَ ٱلضَّرَاءَ٣ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ ٱلدَّاءُ ٱلْعَيَاءُ ٤ . حَسَدَةُ ٱلرَّخَاءِ ، وَمُؤَكِّدُوا ٱلْبَلَاءِ ، وَمُقَنِّطُوا ٱلرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ وَإِلَىٰ كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ٥. يَتَقَارَضُونَ ٱلثَّنَاءَ ، وَيَتَرَاقَبُونَ ٱلْجَزَاءَ٦ . إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا ، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا٧ ، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا . قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلاً ، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلاً : وَلِكُلِّ

---

(١) يفتنون : اي يأخذون في فنون من القول .

(٢) دوية : مريضة ، والصفاح هنا صفاح الوجوه ، ونقية لا يظهر عليها شيء من كوامن نفوسهم وما تضمره قلوبهم من الشر .

(٣) يمشون الخفاء : اي في الخفاء ، والخفاء منصوب بنزع الخافض ، والضراء : شجر الوادي الملتف ، وهذا مثل يضرب لمن يختل صاحبه ويخدعه فيقال : يدب له الضراء ويمشي له في الخمر – بالتحريك – وهو جرف الوادي .

(٤) العياء : المستعصى شفاؤه .

(٥) لهم إلى كل قلب شفيع بتملقهم وكذبهم ، والشجو : الحزن .

(٦) اي يثني بعضهم على بعض باطلا ، ويتراقبون اي يرتقب كل واحد من صاحبه جزاء مدحه وتقريظه .

(٧) الالحاف في السؤال : الاستقصاء فيه ، والعذل : اللوم والتثريب ،وكشفوا اظهروا ما خفي من العيوب .

حَيٍّ قاتلاً ، وَلِكُلِّ بابٍ مفتاحاً ، ولِكُلِّ لَيْلٍ مِصْباحاً . يَتَوَصَّلُونَ إلى ٱلطَّمَعِ بِٱلْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ ، وَيُنَفِّقُوا بِهِ أَعْلاقَهُمْ١ . يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ٢ ، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ . قَدْ هَوَّنُوا ٱلطَّرِيقَ ، وَأَضْلَعُوا ٱلْمَضِيقَ٣ . فَهُمْ لُمَّةُ ٱلشَّيْطَانِ٤ وَحُمَةُ ٱلنِّيرَانِ « أُولَئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَانِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَانِ هُمُ ٱلْخَاسِرُونَ » .

رواها صاحب (الطراز) ج ٢ ص ٣٠٨ بأخصر مما في (النهــج) وباختلاف يسير في بعض الالفاظ ، ففي (الطراز) « صفاتهم » بينما في (النهج) «صفاحهم » والاختصار والاختلاف دليل على نقلها عن غير (نهج البلاغة) .

وروى الآمدي فقرات منها في (الغرر) ص ٥٤ « احذروا اهل النفاق ..» الخ والمروي في (النهج) « واحذركم اهل النفاق .. » وص ٢٦٩ في حرف الياء من قوله عليه السلام : « يمشون الخفاء » إلى « يموهون » وروى بعد قوله عليه السلام « يقولون فيشبهون» هذه الفقرة « ينافقون في المقال » ولا توجد في (النهج) وذلك ما يجعلنا مطمئنين ان للآمدي مرجعاً غير الرضي .

---

(١) يتوصلون إلى الطمع باظهار اليأس من الناس ، والاعلاق : السلعة النفيسة :والمراد بها النفيسة عندهم .

(٢) يشبهون : يوقعون القلوب في الشبه .

(٣) قد هونوا الطريق اي سهلوه ، وتروى « هيئوا » اي هيئوه لتسلك به تمويهاتهم ، واضلعوا المضيق جعلوه ضلعاً اي معوجاً .

(٤) اللمة : الجماعة ، وحمة – بالتخفيف – السم وكنى عن احراق النار بالحمة للمشابهة بالمضرة .

١٩٣ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلاَلِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ مُقَلَ ٱلْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ١ ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ ٱلنُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ٢ . وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ ٱللهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلاَصٍ وَإِذْعَانٍ٣. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ وَأَعْلاَمُ ٱلْهُدَى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ ٱلدِّينِ طَامِسَةٌ٤ . فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ ، وَهَدَى إِلَى ٱلرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ٥ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً ، وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلاً٦ . عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى

---

(١) المقل جمع مقلة وهي شحمة العين التي تجمع البياض والسواد، ومقلت الشيء: نظرته بمقلتي .

(٢) ردع : زجر ودفع ، وهماهم جمع همهمة وهي في الأصل صوت يسمع لا يفهم محصوله ، والمراد بهماهم النفوس : افكارها ، والعرفان : المعرفة ، وكنه الشيء: نهايته واقصاه

(٣) الايقان : العلم القطعي ، والاذعان : الانقياد .

(٤) طامسة : دارسة .

(٥) القصد : العدل .

(٦) العبث : ما ليس بفعله غرض ، والهمل – بالتحريك – الإبل بلا راع ،

إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ . فَاسْتَفْتِحُوهُ وَٱسْتَنْجِحُوهُ ، وَٱطْلُبُوا إِلَيْهِ وَٱسْتَمْنِحُوهُ[١] . فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلاَ أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ . وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ . لاَ يَثْلِمُهُ ٱلْعَطَاءُ ، وَلاَ يَنْقُصُهُ ٱلْحِبَاءُ وَلاَ يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ ، وَلاَ يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ[٢] . وَلاَ يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ ، وَلاَ يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ . وَلاَ تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ . وَلاَ يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ . وَلاَ تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ . وَلاَ يُجِنُّهُ ٱلْبُطُونُ عَنِ ٱلظُّهُورِ . وَلاَ يَقْطَعُهُ ٱلظُّهُورُ عَنِ ٱلْبُطُونِ[٣] . قَرُبَ فَنَأَى ، وَعَلاَ فَدَنَا . وَظَهَرَ فَبَطَنَ ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ . وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ[٤] . لَمْ يَذْرَإِ ٱلْخَلْقَ بِٱحْتِيَالٍ ، وَلاَ ٱسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلاَلٍ[٥] .

---

(١) استفتحوه : اطلبوا منه الفتح على أعدائكم ، واستنجحوه : اطلبوا منه النجاح في أعمالكم ، واستمنحوه : التمسوا منه حوائجكم .

(٢) لا يثلمه : لا ينقص ما عنده ، والحباء : العطاء بلا مكافئة ، ويستنفذه : يذهب بجميع ما عنده ، ويستقصيه : يأخذ آخر ما عنده .

(٣) تولهه : تحيره ، وتجنه : تخفيه ، ويقطعه : يمنعه .

(٤) دان : جازى وحاسب ، ولم يحاسبه أحد .

(٥) ذرأ : خلق ، والاحتيال : التفكر في العمل ، والكلال : الملل من التعب

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّهَا ٱلزِّمَامُ وَٱلْقِوَامُ[1] . فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا ، وَٱعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَىٰ أَكْنَانِ ٱلدَّعَةِ[2] ، وَأَوْطَانِ ٱلسَّعَةِ ، وَمَعَاقِلِ ٱلْحِرْزِ وَمَنَازِلِ ٱلْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَارُ ، وَتُظْلِمُ لَهُ ٱلْأَقْطَارُ ، وَيُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ ٱلْعِشَارِ[3] . وَيُنْفَخُ فِي ٱلصُّورِ . فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ[4] ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ . وَتُدَكُّ ٱلشُّمُّ ٱلشَّوَامِخُ ، وَٱلصُّمُّ ٱلرَّوَاسِخُ . فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً ، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً[5] . فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ .

سنشير اليها في كلمة الختام إن شاء الله تعالى .

---

(١) أي إن التقوى قوام الطاعات التي تقوم عليها ، وزمام العبادات التي تمسك بها .

(٢) الأكنان جمع كن : وهو ما يكتن أي يستتر به ، والدعة : خفض العيش .

(٣) والصروم جمع صرمة وهي القطعة من الإبل ، والعشار جمع عشراء وهي الناقة التي مضى عليها عشرة أشهر من يوم إرسال الفحل عليها . و تعطل تترك مرسلة مهملة لا يلتفت إليها .

(٤) تزهق : تهلك ، والمهجة– هنا – النفس ، وتبكم : تخرس .

(٥) الشم : الجبال ، والشوامخ : العالية ، والصم : الصلبة ، والرواسخ الثابتة ، والمراد بها الجبال أيضاً . والرقراق : الخفيف ، والسملق الأرض المستوية ليس فيها شيء أرفع من شيء .

١٩٤ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بَعَثَهُ حِينَ لاَ عَلَمٌ قَائِمٌ١ . وَلاَ مَنَارٌ سَاطِعٌ ، وَلاَ مَنْهَجٌ وَاضِحٌ . أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ . وَأُحَذِّرُكُمُ ٱلدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوص ٢ ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ . سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ . وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ٣ . تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ ٱلسَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا ٱلْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ ٱلْبِحَارِ٤ . فَمِنْهُمُ ٱلْغَرِقُ ٱلْوَبِقُ٥ . وَمِنْهُمُ ٱلنَّاجِي عَلَى بُطُونِ ٱلْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ ٱلرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا . فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلَكٍ .

عِبَادَ ٱللهِ ٱلْآنَ فَاعْمَلُوا وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَٱلْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ٦ ، وَٱلْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ،

---

(١) العلم ما ينصب على المرتفعات للإهتداء به وقد مر تفسيره غير مرة وكذلك المنار .

(٢) دار شخوص : أي رحله ، يقال : شخص من وطنه أي ارتحل .

(٣) ظاعن : مسافر ، قاطن : مقيم ، بائن : بعيد .

(٤) تميد : تضطرب ، تقصفها : تضربها ، العواصف : الرياح الشديدة ، واللجج جمع لجة وهي الغمرة .

(٥) الوبق : الهالك .

(٦) لدنة : لينة أي قبل الكبر والشيخوخة .

وَٱلْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ ٱلْفَوْتِ[1] ، وَحُلُولِ ٱلْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلاَ تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

روى الآمدي بعض هذه الخطبة في حرف الألف بلفظ إن المشددة ص ٨٧ وفي روايته : « إنّ الدّنيا دار شخوص ، ومحلة تنغيص ... » الخ ورواية الشريف الرضي : « واحذركم الدنيا فانها دار شخوص ... » وروى الآمدي فيما رواه من هذه الخطبة جملاً من الخطبة التي مرت برقم(١٨٩)كما روى فقرات من هذه الخطبة مع مارواه في تلك الخطبة اي (١٨٩) فيبدوا من هذا ان ما رواه الرضي في الموضعين من خطبة واحدة كما اشرنا اليه هناك .

١٩٥ ـــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ ٱلْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[2] أَنِّي لَمْ أَرُدْ عَلَى ٱللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ[3] . وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي ٱلْمَوَاطِنِ ٱلَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا ٱلْأَبْطَالُ ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا ٱلْأَقْدَامُ نَجْدَةً

---

(١) المرهق : الذي أدرك ليقتل .

(٢) المستحفظون : العلماء والأمناء من الصحابة (رض) الذين أودعهم رسول الله صلى الله عليه وآله أمانة سره وكلفهم بحفظها .

(٣) يرمز في قوله عليه السلام لم أرد ... الخ إلى أمور وقعت من بعض الصحابة في الرد على الله ورسوله يوم الحديبية ويوم بدر ويوم وفاة عبد الله بن أبي وغيرها مما يطول المجال بذكرها وتكفل التاريخ بحفظها راجع : النص والإجتهاد للإمام شرف الدين .

أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا[1] .

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي . وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي[2] . وَلَقَدْ وَلِيتُ غُسْلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي ، فَضَجَّتِ ٱلدَّارُ وَٱلْأَفْنِيَةُ[3] مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ[4] . يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ . فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيّاً وَمَيِّتاً ؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ ، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ . فَوَٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ ٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ ٱلْبَاطِلِ[5] . أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ لِي وَلَكُمْ .

رواه المفيد في (المجالس) باختلاف يسير مع رواية الرضي [6] كما

---

(١) النجدة : الشجاعة .

(٢) قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قبض ورأسه في حجر علي عليه السلام وكان يردد هذا في كلامه في غير موطن .

(٣) ضجت الدار بالملائكة النازلين والعارجين ، والأفنية جمع فناء وهو ما اتسع امام الدار

(٤) الهينمة : الصوت الخفي .

(٥) المزلة : مكان الزلل الموجب للسقوط في الهلكة .

(٦) انظر م ١٧ من البحار ص ١٠٥ ط الكمباني .

رواه الآمدي في حرف الواو من (غرر الحكم) ص ٢٤٣ من اوله إلى قوله عليه السلام « فمن ذا أحق به منّي حياً وميتاً » وفي روايته زيادة بين قوله عليه السلام : « اكرمني الله بها » وبين « قبض ... » وهي « ولقد بذلت في طاعته جهدي ، وجاهدت اعداءه بكل طاقتي ،ووقيته بنفسي ، ولقد افضى إليّ من علمه بما لم يفض به إلى احد غيري ، ولقد قبض رسول الله ﷺ ... » الخ

١٩٦ - ومن خطبة له عليه السلام

يَعْلَمُ عَجِيجَ ٱلْوُحُوشِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ ،وَمَعَاصِيَ ٱلْعِبَادِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ ، وَٱخْتِلاَفَ ٱلنِّينَانِ فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ[1] ، وَتَلاَطُمَ ٱلْمَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً نَجِيبُ ٱللهِ ، وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللهِ ٱلَّذِي ٱبْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ[2] . فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ،

---

(١) العجيج : ارتفاع الاصوات ، والنينان جمع نون وهو الحوت، واختلافها : اصعادها ، وانحدارها .

(٢) مرامي جمع مرمى وهو القصد ، يقال : فلان مرمى قصدي اي موضعه .

وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلاَحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلاَءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ[1] ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ ٱللهِ شِعَاراً دُونَ دِثَارِكُمْ[2] ، وَدَخِيلاً دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفاً بَيْنَ أَضْلاَعِكُمْ وَأَمِيراً فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلاً لِحِينِ وُرُودِكُمْ[3] ، وَشَفِيعاً لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَناً لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَساً لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ[4] . فَمَنْ أَخَذَ بِالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ ٱلشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا[5] ، وَٱحْلَوْلَتْ لَهُ ٱلْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ؛ وَٱنْفَرَجَتْ عَنْهُ ٱلْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ ٱلصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا[6] ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْكَرَامَةُ بَعْدَ

---

(١) العشا : ضعف البصر وقد مر معناه مراراً ، والجأش : القلب .
(٢) الشعار والدثار : مر معناهما اكثر من مرة ، والدخيل : ما خالط باطن الجسد .
(٣) واميراً فوق اموركم : اي يحكم على اموركم كما يحكم الأمير على رعيته ، والمنهل : المورد
(٤) المتالف : المهالك ، ومكتنفة : محيطة . والأوار : حر النار والشمس .
(٥) عزبت : بعدت .
(٦) الانصاب : الاتعاب .

قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ ٱلرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا[1] ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ ٱلنِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ ٱلْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا[2] .

فَاتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِي نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَٱمْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ[3] ، وَٱخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا ٱلْإِسْلَامَ دِينُ ٱللَّهِ ٱلَّذِي ٱصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَٱصْطَنَعَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ ، وَأَصْفَاهُ[4] خِيَرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَىٰ مَحَبَّتِهِ ، أَذَلَّ ٱلْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ ٱلْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ[5] ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ ٱلضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ . وَسَقَىٰ مَنْ

---

(١) القحوط : القلة ، وتحدبت : عطفت .

(٢) النضوب : الانقطاع ومنه نضب الماء : إذا نفذ . ووبل المطر اي صار وابلا وهو اشد المطر واكثره ، والرذاذ : اتيانها بالرذاذ وهو الضعيف من المطر .

(٣) عبدوا : ذللوا ومنه طريق معبد اي سهل ، واخرجوا اليه من حق طاعته ، اي ادوا ما افترضه عليكم ، يقال خرجت لفلان من حقه يعني أديته .

(٤) اصطنعه على عينه : كلمة تقال لما يشتد الاهتمام به ، تقول للصانع : اصنع لي كذا على عيني اي كأنك تصنع وانا حاضر اراه بعيني واصفاه اي آثر بهخير خلقه: يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم .

(٥) محاديه جمع محاد وهو المخالف المعاند .

عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتْأَقَ ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ[1] . ثُمَّ جَعَلَهُ لاَ ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ، وَلاَ فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلاَ ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلاَ زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلاَ ٱنْقِلاَعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلاَ ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلاَ عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ[2] ، وَلاَ جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلاَ ضَنْكَ لِطُرُقِهِ ، وَلاَ وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلاَ سَوَادَ لِوَضَحِهِ وَلاَ عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلاَ عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلاَ وَعَثَ لِفَجِّهِ[3] ، وَلاَ ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلاَ مَرَارَةَ لِحَلاَوَتِهِ ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا[4] ، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا[5] ، وَأَعْلاَمٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ،

---

(١) بركنه اي بعزته ، واتاق الحياض ملأها ، والمواتح جمع ماتح وهو نازع الماء من الحوض .

(٢) العفا : الدروس والاضمحلال .

(٣) الجذ : القطع ، والضنك ، الضيق والوضح : بياض الصبح ، والعصل : الاعوجاج والوعث : الارض الرخوة التي تسيخ فيها الاقدام عند السير .

(٤) اساخ : اثبت ، والاسناخ جمع سنخ وهو الاصل .

(٥) السفار : المسافرون .

وَسَنَامَ طَاعَتِهِ . فَهُوَ عِنْدَ ٱللهِ وَثِيقُ ٱلْأَرْكَانِ ، رَفِيعُ ٱلْبُنْيَانِ ، مُنِيرُ ٱلْبُرْهَانِ ، مُضِيءُ ٱلنِّيرَانِ ، عَزِيزُ ٱلسُّلْطَانِ ، مُشْرِفُ ٱلْمَنَارِ مُعْوِزُ ٱلْمَثَارِ[1] . فَشَرِّفُوهُ وَٱتَّبِعُوهُ ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ . ثُمَّ إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِٱلْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ ٱلدُّنْيَا ٱلِانْقِطَاعُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ ٱلْآخِرَةِ ٱلِاطِّلَاعُ[2] . وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ ، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ . وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ . فِي ٱنْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا ، وَٱقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا[3] ، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَٱنْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا ، وَٱنْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا ، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا[4] ، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا ، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا . جَعَلَهُ ٱللهُ

---

(١) مشرف المنار : مرتفعه ، والمنار : العلامة يهتدى بها في الفلوات. ومعوز المثار : اي يعجز الناس اثارته وازعاجه لقوته ومتانته .

(٢) الاطلاع : الاتيان يقال : اطلع فلان علينا اي اتانا .

(٣) قامت باهلها على ساق افزعتهم ، وخشونة المهاد كناية عن شدة آلامها ، وازف : قرب ، واشراطها : علامات انقضائها .

(٤) التصرم : التقطع ، والانفصام : الانقطاع وإذا انفصمت الحلقة : انقطعت الرابطة ، وانتشار الاسباب : تبددها ، وعفاء الاعلام : اندراسها .

بَلاغاً لِرِسَالَتِهِ ، وَكَرَامَةً لأُمَّتِهِ ، وَرَبِيعاً لأَهْلِ زَمَانِهِ ، وَرِفْعَةً لأَعْوَانِهِ ، وَشَرَفاً لأَنْصَارِهِ .

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ٱلْكِتَابَ نُوراً لاَ تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ ، وَسِرَاجاً لاَ يَخْبُو تَوَقُّدُهُ[1] ، وَبَحْراً لاَ يُدْرَكُ قَعْرُهُ ، وَمِنْهَاجاً لاَ يُضِلُّ نَهْجُهُ[2] ، وَشُعَاعاً لاَ يُظْلِمُ ضَوْءُهُ ، وَفُرْقَاناً لاَ يَخْمُدُ بُرْهَانُهُ ، وَتِبْيَاناً لاَ تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ ، وَشِفَاءً لاَ تُخْشَى أَسْقَامُهُ ، وَعِزّاً لاَ تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ ، وَحَقّاً لاَ تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ . فَهُوَ مَعْدِنُ ٱلإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ[3] ، وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ وَبُحُورُهُ ، وَرِيَاضُ ٱلْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ ، وَأَثَافِيُّ ٱلإِسْلاَمِ وَبُنْيَانُهُ[4] ، وَأَوْدِيَةُ ٱلْحَقِّ وَغِيطَانُهُ[5] . وَبَحْرٌ لاَ يَنْزِفُهُ ٱلْمُسْتَنْزِفُونَ ، وَعُيُونٌ لاَ يُنْضِبُهَا ٱلْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لاَ يُغِيضُهَا ٱلْوَارِدُونَ[6] ، وَمَنَازِلُ لاَ يَضِلُّ نَهْجَهَا

---

(١) خبت النار انطفأت .

(٢) المنهاج : الطريق ، والنهج : السلوك .

(٣) بحبوحة المكان : وسطه .

(٤) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في عشب ، والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل ، والاثافي جمع اثفية واحدة من احجار ثلاثة توضع تحت القدر .

(٥) الغيطان : جمع غوط وهو المنخفض من الارض .

(٦) لا ينزفه لا يفنيه ، وينضبه : ينقصه ، والماتح : المستقى من البئر ومر معناه غير مرة ، يغيضه من اغاض الماء : نقصه .

ٱلْمُسَافِرُونَ ، وَأَعْلاَمٌ لاَ يَعْمىٰ عَنْهَا ٱلسَّائِرُونَ وَآكَامٌ لاَ يَجُوزُ عَنْهَا[1] ٱلْقَاصِدُونَ . جَعَلَهُ ٱللهُ رِيّاً لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ ٱلصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلاً مَنِيعاً ذِرْوَتُهُ ، وَعِزّاً لِمَنْ تَوَلاَّهُ وَسِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْراً لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ . وَشَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ[2] ، وَحَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ[3] . وَعِلْماً لِمَنْ وَعىٰ ، وَحَدِيثاً لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْماً لِمَنْ قَضىٰ .

ما رواه الرضي ههنا وما مر برقم (١٠٤) الذي اوله « الحمد لله الذي شرع الاسلام فسهل شرائعه »[4] من خطبة واحدة تعرف ذلك عند المقارنة .

---

(١) الآكام جمع اكة : الموضع المرتفع على المواضع حوله .

(٢) الفلج — بفتح فسكون — الفوز .

(٣) استلأم : لبس اللامة وهي عدة الحرب .

(٤) انظر ص ٢١٣ من الجزء الثاني .

١٩٧ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

يُوصي بِهِ أَصحابه

تَعاهَدُوا أَمْرَ ٱلصَّلاَةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا «كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً» أَلاَ تَسْمَعُونَ إِلَىٰ جَوَابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا : «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ» ١ وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ ٱلذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلاَقَ ٱلرِّبَقِ٢ وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّىٰ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَّةِ٣ تَكُونُ عَلَى بَابِ ٱلرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلدَّرَنِ٤ . وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لاَ تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلاَ قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلاَ مَالٍ . يَقُولُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ «رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ

---

(١) المدثر : ٤٢ .

(٢) الحت : نثر الورق من الغصن ، والربق : الحبال المعقدة .

(٣) الحمة ــ بالفتح وتشديد الميم ــ كل حفيرة ينبع فيها ماء حار يتداوى به من العلل.

(٤) الدرن : الوسخ .

بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ » وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصِباً بِالصَّلاَةِ[1] بَعْدَ ٱلتَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ « وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا » فَكَانَ[2] يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ .

ثُمَّ إِنَّ ٱلزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ ٱلصَّلاَةِ قُرْبَاناً لأَهْلِ ٱلإِسْلاَمِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً ، وَمِنَ ٱلنَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً . فَلاَ يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ[3] ، وَلاَ يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ . فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ ٱلنَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ ٱلأَجْرِ ، ضَالُّ ٱلْعَمَلِ ، طَوِيلُ ٱلنَّدَمِ .

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى ٱلسَّمَوَاتِ ٱلْمَبْنِيَّـــةِ ، وَٱلأَرَضِينَ ٱلْمَدْحُوَّةِ[4] ، وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ ٱلطُّولِ ٱلْمَنْصُوبَةِ ، فَلاَ أَطْوَلَ

---

(١) نصباً – بكسر الصاد – اي تعباً .

(٢) طه : ١٣٢ .

(٣) يتبعنها نفسه اي تذهب نفسه مع ما اعطى تعلقاً به وتلهفاً عليه .

(٤) المدحوة : المبسوطة .

وَلاَ أَعْرَضَ وَلاَ أَعْلَىٰ وَلاَ أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لاَمْتَنَعْنَ ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ ٱلْإِنْسَانُ « إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً » .

إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لاَ يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ[1] لَطُفَ بِهِ خُبْراً[2] ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْماً ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ[3] .

هذا الكلام رواه قبل الرضي ثقة الاسلام محمد بن يعقوب الكليني في كتاب الجهاد من الكافي ج ٥ ص ٣٦ .

١٩٣ ـ وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

وَٱللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَىٰ مِنِّي وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلاَ كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى ٱلنَّاسِ ؛ وَلٰكِنْ

---

(١) الاقتراف : الاكتساب .

(٢) الخبر – بضم الخاء – العلم ، والله سبحانه لطيف العلم بما يكسبه الناس اي دقيقه .

(٣) العيان : المعاينة والمشاهدة .

كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ . وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيامَةِ . وَٱللهِ مَا أُسْتَغْفَلُ بِالْمَكِيدَةِ ، وَلاَ أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ[1] .

رواه قبل الرضي الكليني في « اصول الكافي » : ج ٢ ص ٣٣٦ وص ٣٣٨ بسندين احدهما عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام والثاني عن الاصبغ ابن نباته قال : قال امير المؤمنين ذات يوم وهو يخطب على المنبر بالكوفة وذكر الكلام بأخصر مما في « النهج » .

وعند ملاحظة كلام الاصبغ نعلم ان هذا الكلام من جملة خطبة له عليه السلام .

ولعلّ من المفيد هنا ان نذكر كلمة لابي عثمان الجاحظ في فحوى كلام امير المؤمنين هذا ، قال :

« ربما رأيت من يظن بنفسه العقل والتحصيل ، والفهم والتمييز وهو من العامة ويظن انه من الخاصة يزعم ان معاوية كان ابعد غوراً ، واصح فكراً ، واجود روية ، وابعد غاية ، وادق مسلكاً ، وليس الأمر كذلك ، وساومي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه ، والمكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله .

كان علي لا يستعمل في حربه إلا ما وافق الكتاب والسنة ، وكان معاوية يستعمل خلاف الكتاب والسنة ، كما يستعمل الكتاب والسنّة ويستعمل جميع المكائد حلالها وحرامها ، ويسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى

---

(١) لا استغفل بالمكيدة : لا تجوز المكيدة علي ، ولا استغمز بالشديدة : اي لا أوهن والين للخطب الشديد .

كسرى ، وخاقان إذا لاقى وتبيل[1] ، وعلي عليه السلام يقول : « لا تبدؤهم بالقتال حتى يبدؤكم ولا تتبعوا مدبراً ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تفتحوا باباً مغلقاً » هذه سيرته في ذي الكلاع وفي ابي الاعور السلمي وفي عمرو بن العاص ، وحبيب بن مسلمة [2] وفي جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والحشو والاتباع والسفلة ، واصحاب الحرب إن قدروا على البيات [3] يبيتوا ، وإن قدروا على رضخ الجميع بالجندل وهم نيام فعلوا وإن امكن ذلك في طرفة عين لم يؤخروه إلى ساعة ، وإن كان الحرق اعجل من الغرق لم يقتصروا على الغرق ؛ ولم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق ، وإن امكن الهدم لم يتكلفوا الحصار ، ولم يدعوا ان ينصبوا المجانيق والعرادات والنقب والترنيب والدبابات والكمين [4] ولم يدعوا دس السم ولا التضريب [5] بين الناس بالكذب ، وطرح الكتب في عساكرهم بالسعايات وتوهيم الأمور ، وايحاش بعض من بعض ، وقتلهم بكل آلة وحيل ، كيف وقع الحرب وكيف دارت بهم الحال ، فمن اقتصر — حفظك الله — من التدبير على ما في الكتاب والسنة كان قد منع نفسه الطويل العريض من التدبير ، وما لا يتناهى من المكائد والكذب — حفظك الله — أكثر من الصدق ، والحرام اكثر عدداً من الحلال ، ولو سمي انسان انساناً باسمه لكان قد صدق وليس له اسم غيره ، ولو قال هو شيطان او كلب او حمار او شاة او بعير او كل ما خطر على البال لكان كاذباً في ذلك ، وكذلك الايمان والكفر ، وكذلك الطاعة والمعصية ، وكذلك الحق

---

(١) كسرى ملك الفرس ، وخاقان ملك الترك ، ووتبيل ملك الفرنج .

(٢) هؤلاء كلهم من اصحاب معاوية ، وخاصته .

(٣) البيات : الغارة ليلا بدون ان يشعر العدو بذلك .

(٤) آلات كانت تستعمل في الحصار يومذاك .

(٥) اي ايقاع الاضطراب والاختلاف بما يلقى بينهم من الكذب .

والباطل ، وكذلك السقم والصحة ، وكذلك الخطأ والصواب ، فعليٌّ كان ملجماً بالورع عن جميع القول الا ما هولله عز وجل نصاً، وممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو لله رضاً ، ولا يرى الرضا إلّا فيما يرضاه الله ويحبه ، ولا يرى الرضا إلا فيما دل عليه الكتاب والسنة دون ما يعول عليه اصحاب الدهاء والمكر والمكايد والآراء ، فلما ابصرت العوام كثرة نوادر معاوية في المكايد ، وكثرة غرايبه في الخداع وما اتفق له وتهيأ على يده ولم يروا ذلك من علي عليه السلام ظنوا بقصر عقولهم وقلة علومهم ان ذلك من رجحان عند معاوية ونقصانٍ عند علي عليه السلام ، فانظر بعد هذا كلّه هل يعدّ له من الخدع إلّا رفع المصاحف ؟ ثم انظر هل خدع بها إلا من عصى رأي علي وخالف امره ، فان زعمت إنما اردت من الاختلاف فقد صدقت وليس في هذا اختلافنا ، ولا عن غزارة اصحاب علي عليه السلام وعجلتهم وتسرعهم وتنازعهم دفعنا ، وإنما كان قولنا بالتمييز بينهما في الدهاء والنكراء وصحة العقل والرأي على انه لا نصف الصالحين بالدهاء والنكراء ، ولا نقول ما كانَ انكرَ ابا بكر بن ابي قحافة وما كانَ انكرَ عمرَ بنَ الخطاب ولا يقول احد عنده شيء من الخير كان رسول الله ﷺ ادهى العرب والعجم وانكر قريش ، وامكر كنانة لأن هذه الكلمة إنما وضعت في مدح اصحاب الارب [1] ومن يتعمق في الرأي في توكيد امر الدنيا وزبرجها ، وتسديد اركانها ، فأما اصحاب الآخرة الذين يرون الناس لا يصلحون على تدبير البشر وإنما يصلحون على تدبير خالق البشر ، فانما هؤلاء لا يمدحون بالدهاء والنكراء ، ولم يمنعوا هذا إلا ليعطوا افضل منه ، الا ترى ان المغيرة بن شعبة وكان احد الدهاة حين رد على عمرو بن العاص قوله في عمر بن الخطاب ؛ — وعمرو بن العاص احد الدهاة أيضاً — :

(١) الارب : الدهاء ، والاربي — بضم الهمزة — الداهية .

« انت كنت تفعل أو توهم عمر شيئاً ؛ فيلقنه عنك ، ما رأيت عمر مستخلياً بأحد الا رحمته كائناً من كان ذلك الرجل ، كان عمر والله اعقل من ان يخدع ، وافضل من ان يخدع » ولم يذكره بالدهاء والنكراء، هذا مع عجبه باضافة الناس ذلك اليه ، ولكنه قد علم انه إذا اطلق على الأئمة الالفاظ التي لا تصلح في اهل الطهارة كان ذلك غير مقبول منه فهذا هذا وكذلك كان حكم قول معاوية للجميع : اخرجوا الينا قتلة عثمان ونحن لكم سلم ، فاجهد كل جهد ، واستعن بمن شايعك إلى ان تتخلص إلى صواب رأي اضله عليّ حتى تعلم ان معاوية خادع وكان علي هو المخدوع ، فان قلت : قد بلغ ما اراد ونال ما احب فهل رأيت كتابنا وضع إلا على ان علياً كان قد امتحن في اصحابه وفي دهره بما لم يمتحن إمام قبله من الاختلاف والمنازعة والتشاح من الرئاسة والتسرع والعجلة ؟ وهل اوتي إلا من هذا المكان ؟ .

اولسنا قد عرفنا من هذا امره ان ثلاثة نفر قد تواطئوا على قتل ثلاثة نفر فالتمس ابن ملجم ذاك من علي ، وانفرد البرك الضريمي ذلك من عمرو بن العاص ، وانفرد الآخر وهو عمرو بن بكر التميمي بالتماس ذلك من معاوية وكان من الاتفاق او من الامتحان ان كان علي من بينهم هو المقتول ، وفي قياس مذهبكم ان تزعموا ان سلامة عمرو ومعاوية إنما كان بحزم منهما وان قتل علي كان بتضييع منه فاذ قد تبين لكم انه من الابتلاء والامتحان في نفسه بخلاف الذي قد شاهدتموه في عدوه فكل شيء سوى ذلك فانما هو تبع للنفس » [1] .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م٢ : ص ٥٧٧ .

١٩٩ – وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ ٱلْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ؛ فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدِ ٱجْتَمَعُوا عَلَىٰ مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ ١ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ ٱلنَّاسَ ٱلرِّضَا وَٱلسُّخْطُ ٢ . وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ ٱللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ : « فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » ٣ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَ ٱلسِّكَّةِ ٱلْمُحْمَاةِ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْخَوَّارَةِ ٤ .

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ مَنْ سَلَكَ ٱلطَّرِيقَ ٱلْوَاضِحَ وَرَدَ ٱلْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي ٱلتِّيهِ ٥ .

هذا الكلام روي عن امير المؤمنين عليه السلام في كتب العلماء قبل

---

(١) كنى بالمائدة عن الدنيا .

(٢) يجمعهم في العقاب والثواب الرضا والسخط لأن الراضي شريك الفاعل .

(٣) الشعراء : ١٥٧ .

(٤) خارت : صوتت ، والسكة: حديدة المحراث وإذا احميت بالنار تكون اسرع غوراً في الأرض ، والارض الخوارة : السهلة اللينة .

(٥) التيه : المفازة يتحير سالكها .

الرضي وبعده بارسال مرة واسناد اخرى منهم . :

١ ــ البرقي في « المحاسن » ص ٢٠٨ في كتاب « مصابيح الظلم » روى من هذا الكلام قوله سلام الله عليه « إنما يجمع الناس الرضا والسخط ... » مسنداً .

٢ ــ النعماني في « الغيبة » رواه بسندين (الاول) عن ابن عقدة بسنده عن ابن نباته قال : سمعت امير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة يقول : ايها الناس ، انا انف الهدى وعينه ، ايها الناس ، لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة من يسلكه ان الناس اجتمعوا على مائدة ...) إلى آخره وفيه زيادة لم يذكرها الرضي منها (الا ومن سئل عن قاتلي فزعم انه مؤمن فقد قتلني) .

(الثاني) قال : ورواه لنا محمد بن همام ومحمد بن الحسن بن جمهور ، ثم ذكر سنداً متصلا بفرات بن احنف عن امير المؤمنين عليه السلام وفيها (لا تستوحشوا في طريق الهدى لقلة اهله) كرواية الرضي رحمه الله[1] .

٣ ــ الطبري في « المسترشد » : ص ٧٦ .

٤ ــ المفيد في « الارشاد » : ص ٣٠٠ .

٢٠٠ ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ

---

(١) انظر « الغيبة » ص ٩ و (بحار الانوار) : ج ٢ ص ٢٦٦ ، وتفسير (البرهان) ج٤ ص ٢٦٠ .

فِي جِوَارِكَ ، وَٱلسَّرِيعَةِ ٱللَّحَاقِ بِكَ ، قَلَّ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي ، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي ، إِلاَّ أَنَّ لِي فِي ٱلتَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ[1] ، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ ، فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ[2] ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ ، إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ ، أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[3] إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ ، وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا[3] ، فَأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ وَاسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ ، هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ ، وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ ، وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لاَ قَالٍ وَلاَ سَئِمٍ[4] ، فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلاَ عَنْ مَلاَلَةٍ ، وَإِنْ أُقِمْ فَلاَ عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ ٱلصَّابِرِينَ .

---

(١) اي ضعف صبري وتجلدي عن فراقها لكن إتأسى بفراقي لك فأقول كل خطب بعد موتك يسير .

(٢) الفادح : المثقل ، والتعزي : التصبر ، والملحودة : الجانب المشقوق من القبر .

(٣) سرمد : لا ينقضي حتى القاك ، ومسهد : ينقضي بالسهاد وهو السهر .

(٤) هضمها : ظلمها ، والاحفاء : الاستقصاء .

(٥) القالي : المبغض ، والسئم من السئامة وهي الملالة .

«اما قول الرضي رحمه الله : «عند دفن سيدة النساء » فلأنه قد تواتر الخبر عنه ﷺ انه قال « فاطمة سيدة نساء العالمين » إما هذا اللفظ بعينه ، او لفظ يؤدي هذا المعنى »[1] .

وهذا الحديث متواتر عند الامامية ، وقد اجمعوا على صحته بل هو من جملة عقائدهم ، ولا نطيل القول بسرد رواته منهم .

واليك رواته من علماء اخواننا اهل السنة :

١ — البخاري في صحيحه : ج ٤ ص ٢٤٧ في « كتاب بدأ الخلق » في باب علامات النبوة في الاسلام بسنده عن مسروق عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : اقبلت فاطمة تمشي كأنها مشي النبي ﷺ ، فقال النبي ﷺ : « مرحباً بابنتي » ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله ؛ ثم اسرّ اليها حديثاً فبكت ، فقلت لها : لم تبكين ، ثم اسرّ اليها حديثاً فضحكت ، فقلت : ما رأيت كاليوم فرحاً اقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت : ما كنت لأفشي سرّ رسول الله ﷺ ، حتى قبض النبي ﷺ فسألتها ، فقالت : اسرّ إلي ان جبرائيل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة وإنه عارضني العام مرتين ولا أراه الا حضر اجلي وانك اول اهل بيتي لحاقاً بي » فبكيت ، فقال : « اما ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة او نساء المؤمنين » فضحكت لذلك .

ورواه البخاري ايضاً في صحيحه : ج ٨ ص ٧٩ في (كتاب الاستئذان) في باب من ناجى بين يدي الناس ومن لم يخبر بسر صاحبه فاذا مات اخبر به ، عن عائشة ام المؤمنين وفيه « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة » .

٢ — مسلم في صحيحه : ج ٧ ص ١٤٢ في كتاب فضائل الصحابة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م٢ ص ٥٩١ .

باب فضائل فاطمة بنت النبي عليها الصلاة والسلام عن مسروق عن عائشة قالت : كن ازواج النبي ﷺ عنده لم يغادر منهن واحدة فأقبلت فاطمة تمشي ما تخطىء مشيتها مشية رسول الله ﷺ شيئاً فلما رآها رحب بها ... إلى آخر ما نقلناه عن « صحيح البخاري » وفيه « يا فاطمة اما ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الأمة » .

ثم رواه مسلم ص ١٤٣ بسند آخر ينتهي إلى ام المؤمنين عائشة وفيه « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الأمة » .

٣ ــ الامام احمد في « المسند » ج ٦ ص ٢٨٢ وفيه « سيدة نساء هذه الامة او سيدة نساء المؤمنين » .

وفي « المسند » ايضاً ج ٥ ص ٣٩١ وفيه : « ان فاطمة سيدة نساء اهل الجنة » .

٤ ــ الترمذي في صحيحه : ج ٢ ص ٣٠٦ في باب مناقب الحسن والحسين بسنده عن حذيفة وفيه انه ﷺ قال : « إن هذا ملك لم ينزل إلى الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه ان يسلم عليّ ويبشرني بأن فاطمة سيدة نساء اهل الجنة وان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة » .

٥ ــ النسائي في (الخصائص) : ص ٣٤ بسنده عن ابي هريرة وفيه « ان فاطمة بنتي سيدة نساء امتي وان حسناً وحسيناً سيدا شباب اهل الجنة » .

وروى في ص ٣٤ من « الخصائص » ايضاً بلفظ « سيدة نساء هذه الامة وسيدة نساء العالمين » .

٦ ــ الحاكم في « المستدرك » : ج ٣ ص ١٥٦ وفيه : ان النبي ﷺ قال وهو في مرضه الذي توفي فيه : « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء هذه الأمة وسيدة نساء المؤمنين » .

٧ — ابو نعيم في « حلية الاولياء » : ج ٢ ص ٤٢ بسنده عن عمران بن الحصين وفيه : « يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين » قالت : يا ابة فأين مريم ابنة عمران ؟ قال : « تلك سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك » .

وروى ابو نعيم قبل هذه الرواية بقليل انه ﷺ قال : « يا فاطمة اما ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين او سيدة نساء هذه الامة » .

وبعدها بسنده عن جابر بن سمرة انه ﷺ قال : « اما إنها سيدة النساء يوم القيامة » .

وفي « الحلية » طرق عديدة لهذا الحديث .

٨ — ابن ماجه في صحيحه في باب ما جاء في ذكر مرض النبي ﷺ وفيه « يا فاطمة الا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الأمـــة » .

٩ — ابو داود الطيالسي في مسنده ج ٦ في احاديث النساء بلفظ « سيدة نساء العالمين او « سيدة نساء هذه الامة » .

١٠ — ابن عبد البر في (الاستيعاب) ج ٤ ص ٣٦٣ في باب الفاء جعل عنوان ترجمة فاطمة هكذا : « فاطمة بنت رسول الله ﷺ سيد نساء العالمين عليها السلام » ثم روى بعد ذلك عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ان النبي ﷺ قال لفاطمة: « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء هذه الامة » .

١١ — ابن الاثير في « اسد الغابة » : ج٥ ص ٥٢٢ بلفظ « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين » .

١٢ — ابن حجر العسقلاني في « الاصابة » : ج ٤ ص ٣٦٧ بلفظ « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء العالمين » .

١٣ ــ المحب الطبري في « ذخائر العقبى » : ص ٤٣ بلفظ « يا بنية اما ترضين انك سيدة نساء العالمين » .

١٤ ــ المتقي الهندي في « كنز العمال » ج ٦ ص ١٥٣ بلفظ « اما ترضين اني زوجتك اول الناس اسلاماً واعلمهم علماً فانك سيدة نساء امتي ... الحديث » .

وفيه ايضاً : ج ٧ ص ١١١ « الا ترضين ان تكوني سيدة نساء اهل الجنة وابنيك سيدا شباب اهل الجنة » .

وغيرهم وغيرهم ....

اما مصادر كلامه عليه السلام عند دفن الزهراء عليها السلام فهي :

١ ــ « الكافي » للكليني ج ١ ص ٤٥٨ بسنده عن الحسين بن علي عليهما السلام ، قال : لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها امير المؤمنين عليه السلام سراً ، وعفا على موضع قبرها ، ثم قال: فحول وجهه إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وذكر الكلام بزيادة على ما رواه الرضي .

٢ ــ « دلائل الامامة » للطبري : ص ٤٧ بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عليهم السلام ، قال : قال لي ابي الحسين : لما قبضت فاطمة عليها السلام دفنها امير المؤمنين عليه السلام وعفا موضع قبرها بيده ثم قام فحول وجهه إلى قبر النبي صلى الله عليه وآله وقال :

« السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك ... » . الكلام بتفاوت مع رواية الشريف الرضي .

٣ ــ « المجالس » للمفيد : ص ١٦٥ .

٤ ــ « امالي » الطوسي : ج ١ ص ١٠٨ بسنده عن علي بن محمد الهرمزداري عن علي بن الحسين عليهما السلام عن ابيه الحسين عليه

السلام قال : لما مرضت فاطمة بنت محمد رسول الله ﷺ وصّت إلى علي بن ابي طالب عليه السلام ان يكتّم امرها ، ويخفي خبرها ، ولا يؤذن احداً بمرضها ففعل ذلك ، وكان يمرضها بنفسه وتعينه على ذلك اسماء بنت عميس رحمها الله على استمرار بذلك كما وصّت به ، فلما حضرتها الوفاة وصّت امير المؤمنين عليه السلام ان يتولى امرها ، ويدفنها ليلا ، ويعفى قبرها ، فتولى ذلك امير المؤمنين عليه السلام ودفنها وعفّى موضع قبرها ، فلما نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن ، وارسل دموعه على خديه ، وحول وجهه إلى قبر رسول الله ﷺ فقال : « السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك ... إلى آخره » .

٥ — « كشف الغمة » للاربلي : ج ٢ ص ١٤٧ كرواية الشريف الرضي

٦ — « تذكرة الخواص » لسبط ابن الجوزي الحنفي : ص ٣١٨ قال عند كلامه على وفاتها صلوات الله عليها : واختلفوا في غسلها — إلى ان قال — وروي ان الملائكة غسلتها ، وروى ان اسماء بنت عميس غسلتها ، والأصح ان علياً غسلها ، وكانت اسماء تصب الماء عليها .

ثم قال : فان قيل : فعند ابي حنيفة لا يجوز للرجل ان يغسّل زوجته ، فالجواب : إن علياً عليه السلام كان مخصوصاً بذلك ، ولما انكر عليه ابن مسعود قال له : اما سمعت رسول الله ﷺ يقول « هي زوجتك في الدنيا والآخرة » فلم ينقطع السبب بينهما ، وصلى عليها علي وقيل العباس ودفنها ليلا بالبقيع ، ولما دفنها علي عليه السلام انشد :

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل
وإنّ افتقادي فاطماً بعد احمد ... دليل على ان لا يدوم خليل

وقال ايضاً :

ألا ايها الموت الذي ليس تاركي ... ارحني فقد افنيت كل خليل
اراك بصيراً بالذين احبهم ... كأنك تنحو نحوهم بدليـــل

ثم جاء إلى قبر رسول الله ﷺ وقال :

« السلام عليك يا رسول الله وعلى ابنتك النازلة في جوارك والسريعة اللحاق بك ... » الكلام بزيادة قليلة تدل على انه لم ينقلها عن « نهج البلاغة »

٢٠١ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا ٱلدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ ١ وَٱلْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ. وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ . وَأَخْرِجُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ . فَفِيهَا ٱخْتُبِرْتُمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ . إِنَّ ٱلْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ ٱلنَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ ٱلْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ . لِلَّهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضاً يَكُنْ لَكُمْ قَرْضاً وَلَا تُخَلِّفُوا كُلّاً فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ .

هذا الكلام رواه الصدوق في (الامالي) ص ١٣٢ في المجلس الثالث والعشرين وفي (عيون اخبار الرضا) ج ١ ص ٢٩٨ والمفيد في (الارشاد) ص ١٣٩ ، والطبرسي في (مشكاة الانوار) ص ٢٤٣ ، والشيخ ورّام في مجموعته ص ٦٦

---

(١) اي يجتاز فيها إلى الآخرة وهذا مثل قوله عليه السلام (الدنيا دار مر) الذي سيأتي إن شاء الله في الحكمة (١٣٣) باب الكلمات القصار .

٢٠٢ - ومن كلام له عليه السلام

كان كثيراً ما ينادي به أصحابه

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ . وَأَقِلُّوا ٱلْعُرْجَةَ عَلَى ٱلدُّنْيَا[1] . وَٱنْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ ٱلزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُوداً[2] ، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ ٱلْوُرُودِ عَلَيْهَا وَٱلْوُقُوفِ عِنْدَهَا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ ٱلْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ ، وَكَأَنَّكُمْ بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ[3] ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ ٱلْأُمُورِ وَمُعْضِلَاتُ ٱلْمَحْذُورِ . فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ ٱلدُّنْيَا ، وَٱسْتَظْهِرُوا بِزَادِ ٱلتَّقْوَىٰ[4] .

قال الرضي رحمه الله : « وقد مضى شَيْءٌ مِنْ هٰذا ٱلْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ بِخِلَافِ هٰذِهِ ٱلرِّوَايَةِ » .

رواه الصدوق في (الأمالي) في المجلس الخامس والسبعين مسنداً ؛

---

(١) العرجة — بالضم — اسم من التعريج بمعنى حبس الركائب على المنزل .

(٢) الكؤود : صعبة المرتقى .

(٣) ملاحظ المنية : منبعث نظرها . ودانية : قريبة ، ونشبت : علقت .

(٤) استظهروا : استعينوا .

والمفيد في (المجالس) ص ١١٦ بسنده عن الامام الباقر عليه السلام ، كما رواه في (الارشاد) ص ١١٠ مع زيادة لم تذكر في (النهج) وزواه الطبرسي في (المشكاة) ص ٢٧٥ كرواية المفيد ، وبين هذه الروايات اختلاف يسير من حيث الزيادة والنقصان مما يدل على ان لكل واحد منهم طريقه ، ولعلّ سبب الاختلاف في رواية هذا الكلام هو أنه سلام الله عليه كان إذا صلى العشاء الآخرة ينادي الناس ثلاث مرات حتى يسمع اهل المسجد بهذا الكلام [1] .

٢٠٣ — وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً [2] وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً . أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ، وَأَيُّ قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ، أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ .

وَٱللهِ مَا كَانَتْ لِي فِي ٱلْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي ٱلْوِلَايَةِ

---

(١) انظر المجالس للمفيد ص ١١٦ .

(٢) نقمتما اي غضبتما ليسير ، واخرتما مما يرضيكما كثيراً لم تنظرا اليه .

إِرْبَةٌ[1] ، وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلى كِتابِ ٱللهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا ٱسْتَسَنَّ ٱلنَّبِيُّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ . فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا . وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ[2] فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي . بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا فَرَغَ ٱللهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ . فَلَيْسَ لَكُمَا وَٱللهِ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَى . أَخَذَ ٱللهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ .

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) رَحِمَ ٱللهُ ٱمْرَأً رَأَى حَقًّا

---

(١) الاربة — بكسر — الغرض والطلبة .

(٢) الاسوة — هنا — التسوية بين المسلمين في العطاء .

فَأَعَانَ عَلَيْهِ ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ .

هذا الكلام قاله عليه السلام في حوار له جرى مع طلحة والزبير رواه قبل الرضي ابو جعفر الاسكافي في كتاب (نقض العثمانية) على ما حكاه ابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة م ٢ ص ١٧٣ » .

٢٠٤ــ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ ، وَلَكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي الْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي الْعُذْرِ ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ . اللَّهُمَّ احْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ ، وَأَصْلِحْ ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَاهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ الْغَيِّ وَالْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ(١) .

سمع امير المؤمنين عليه السلام حجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي

---

(١) الارعواء : النزوع عن الغي ، والرجوع عن الخطأ ، ولهج به : اولع به .

يشتمان اهل الشام فدعاهما ونهاهما عن ذلك فقالا : يا امير المؤمنين السنا محقين ؟ قال : بلى ، قالا : اوليسوا مبطلين ؟ قال : بلى ، قالا فلم منعتنا من شتمهم ؟ قال : إني اكره ان تكونوا سبابين ... الكلام .

روى ذلك قبل الرضي وبعده جماعة من اهل النقل كأبي حنيفة الدينوري في (الأخبار الطوال) : ص ١٥٥ ، ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) : ص ١٠٣ ، وابن ابي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : م١ ص ٢٨٠ ، وسبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) : ص ١٥٤ .

٢٠٥ ــ وقال عليه السلام
في بعض أيام صفين

وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع إلى الحرب

امْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي ، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ[١] (يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ) عَلَى ٱلْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ مِنْ أَعْلَى ٱلْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ) .

قد روى الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ص ٣٤ في حوادث سنة ٣٧ عن امير المؤمنين عليه السلام ما هو بمعنى هذا الكلام وهو قوله سلام الله عليه :

---

(١) املكوا : اي امسكوه واحبسوه بشدة ، ويهدني يقوض اركان قوتي وانفس : اضن اي احرص عليهما .

« إن هذين إن هلكا انقطع نسل محمد ﷺ من هذه الامة » ولكن في غير الموطن الذي ذكره الرضي فيظهر من ذلك انه عليه السلام قاله غير مرة .

اما كلمة (املكوا) التي قال عنها الرضي · « انها من اعلى الكلام وافصحه » فانها مروية عن امير المؤمنين عليه السلام في غير « نهج البلاغة » ففي « تاريخ الطبري » · ج ٥ ص ١٩٦ حوادث سنة ٣٦ ان امير المؤمنين عليه السلام استهل احدى خطبه بقوله « ايها الناس ، املكوا انفسكم » كما انها مرددة في كلامه ففي عهده للأشتر « املك هواك » وفيه ايضاً « املك حمية انفك [١] » وفي كتابه إلى ابي موسى الاشعري « واملك امرك » [٢] .

ولابن ابي الحديد تعليق لطيف على قوله عليه السلام « لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله ﷺ » انقله هنا لتعلقه بالموضوع ، قال :

« فان قلت : ايجوز ان يقال للحسن والحسين وولدهما : ابناء رسول الله ، وولد رسول الله ، وذرية رسول الله ، ونسل رسول الله ؟

قلت : نعم ، لأن الله سماهم « ابناءه » في قوله تعالى : (قل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم) [٣] وإنما عنى الحسن والحسين .

وسمى الله تعالى عيسى ذرية ابراهيم في قوله : (ومن ذريته داود وسليمان إلى قوله : (ويحي وعيسى) [٤] .

ولم يختلف اهل اللغة ان ولد البنات من نسل الرجل .

فان قلت : فما نصنع بقوله تعالى : (ما كان محمد ابا احد من رجالكم) [٥] قلت : اسألك عن ابوته لابراهيم بن مارية فكما تجيب عن

---

(١) نهج البلاغة : ج ٣ ص ١٠٩ .
(٢) نهج البلاغة : ج ٣ ص ١٢٤ .
(٣) سورة ال عمران : ٦١ .
(٤) الانعام : ٨٤ .
(٥) الاحزاب : ٤٠ .

ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين عليهما السلام .

والجواب الشامل للجميع انه عنى زيد بن حارثة لأن العرب كانت تقول : « زيد بن محمد » على عادتهم في تبني العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ، ونهى عن سنة الجاهلية (١) .

٢٠٦ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله لما اضطرب عليه اصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهِكَتْكُمُ ٱلْحَرْبُ٢ ، وَقَدْ وَٱللهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ .

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيراً فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَأْمُوراً . وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِياً فَأَصْبَحْتُ ٱلْيَوْمَ مَنْهِياً . وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ ٱلْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ .

قال امير المؤمنين سلام الله عليه هذا الكلام لأصحابه لما رفع عمرو بن ابن العاص ومن معه المصاحف على وجه المكيدة حين أحسّ بالعطب وعلو كلمة اهل الحق ، والزموه عليه السلام بوضع أوزار الحرب ، وكف الأيدي

---

(١) شرح نهج البلاغة م٣ : ص ٩ .

(٢) نهكتهم : اضنتهم وأضعفتهم .

عن القتال ، وكانوا في ذلك على أقسام : فمنهم من دخلت عليه الشبهة برفع المصاحف ، وغلب على ظنه أن أهل الشام لم يفعلوا ذلك خدعة وحيلة ، بل حقاً ودعاء إلى الدين وموجب الكتاب ، فرأى ان الاستسلام للحجة أولى من الاصرار على الحرب .

ومنهم من كان قد مل الحرب ، وآثر السلم ، فلما رأى شبهة ما يسوغ التعلق بها في رفض المحاربة وحب العافية أخلد إليها .

ومنهم من كان يبغض علياً عليه السلام بباطنه ويطيعه بظاهره ، كما يطيع الكثير من الناس السلطان في الظاهر ويبغضه بقلبه ، فلما وجدوا طريقاً الى خذلانه وترك نصرته ، أسرعوا نحوها ، فاجتمع جمهور عسكره عليه ، وطالبوا بالكف وترك القتال ، فامتنع امتناع عالم بالمكيدة ، وقال لهم : إنها حيلة وخديعة ، وإني أعرف بالقوم منكم ، إنهم ليسوا بأصحاب قرآن ولا دين ، قد صحبتهم وعرفتهم صغيراً وكبيراً فعرفت منهم الاعراض عن الدين ، والركون إلى الدنيا ، فلا تراعوا برفع المصاحف ، وصمموا على الحرب ، وقد ملكتموهم فلم يبق منهم الا حشاشة ضعيفة ، وذماء قليل [1] فأبوا عليه ، وألحوا وأصروا على القعود والخذلان ، وأمروه بالانفاذ إلى المحاربين من اصحابه وعليهم الاشتر ان يأمرهم بالرجوع ، وتهددوه ان لم يفعل باسلامه إلى معاوية ، فأرسل إلى الاشتر يأمره بالرجوع وترك الحرب ، فأبى عليه فقال : كيف ارجع وقد لاحت إمارات الظفر ؟ فقولوا له : ليمهلني ساعة واحدة ، ولم يكن علِم صورة الحال كيف قد وقعت . فلما عاد إليه الرسول بذلك ، غضبوا ونفروا وشغبوا ، وقالوا : أنفذت إلى الاشتر سراً وباطناً تأمره بالتصميم ، وتنهاه عن الكف ، وان لم

(١) الذماء : بقية الروح في المقتول .

تعده الساعة والا قتلناك كما قتلنا عثمان ، فرجعت الرسل إلى الاشتر ، فقالوا له : اتحب ان تظفر بمكانك ، واميرالمؤمنين قد سلت عليه خمسون الف سيف ، فقال : ما الخبر ؟ قالوا : ان الجيش بأسره قد احدق به ، وهو قاعد بينهم على الارض تحته نطع ، وهو مطرق والبارقة تلمع على رأسه [1] يقولون : لئن لم تعد الاشتر قتلناك : قال : ويحكم ! فما سبب ذلك ؟ قالوا : رفع المصاحف ، قال : والله لقد ظننت حين رأيتها رفعت انها ستوقع فرقة وفتنة ، ثم كرّ راجعاً على عقبيه ، فوجد امير المؤمنين عليه السلام تحت الخطر وقد رردده اصحابه بين امرين : اما ان يسلموه إلى معاوية او يقتلوه ، ولا ناصر له منهم الا ولداه وابن عمه ونفر قليل لا يبلغون عشرة ، فلما رآهم الاشتر سبهم وشتمهم ، وقال : ويحكم ! ابعد الظفر والنصر صبّ عليكم الخذلان والفرقة ! يا ضعاف الاحلام ! يا أشباه النساء ! يا سفهاء العقول فشتموه وسبوه ونهروه ، وقالوا : المصاحف المصاحف ! والرجوع اليها ، لا نرى غير ذلك ، فاجاب امير المؤمنين الى التحكيم ، دفعاً للمحظور الاعظم بارتكاب المحظور الاضعف ، فلذلك قال : كنت اميراً فاصبحت مأموراً ، وكنت ناهياً [2]

اما رواة هذا الكلام قبل الرضي فرواه نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٤٨٤ ، وابن قتيبة في « الامامة والسياسة » : ج ١ ص ١١٨ ، والمسعودي في « مروج الذهب » ج٢ ص ٤٠٠ .

---

(١) البارقة : السيوف حين تتلألأ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م٣ ص ١٠ وانظر « تاريخ الطبري » : ج٦ ص٢٧ حوادث سنة ٣٧ .

٢٠٧ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

بالبصرة وقد دخل على العلاءِ بن زياد الحارثي

وهو من أَصحابه يعوده فلما رأَى سعة داره قال

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسَعَةِ هٰذِهِ ٱلدَّارِ فِي ٱلدُّنْيٰا . أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي ٱلْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ، وَبَلىٰ إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا ٱلْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا ٱلضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا ٱلرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا ٱلْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا[١] ، فَإِذاً أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا ٱلْآخِرَةَ .

فَقَالَ لَهُ ٱلْعَلاَءُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ ، قَالَ وَمَا لَهُ ؟ قَالَ لَبِسَ ٱلْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا . قَالَ عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ :

يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ لَقَدِ ٱسْتَهَامَ بِكَ ٱلْخَبِيثُ[٢] ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ . أَتَرىٰ ٱللّٰهَ أَحَلَّ لَكَ ٱلطَّيِّبَاتِ

---

(١) اي تظهرها حيث تظهر والمراد وضعها مواضعها .

(٢) عدي تصغير عدو ، واستهام بك الخبيث : اي جعلك هائماً ضالا والخبيث : الشيطان

وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى ٱللَّهِ مِنْ ذٰلِكَ .
قَالَ : يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هٰذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ [١] ، قَالَ :

وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ ٱللَّهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ ٱلْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ ٱلنَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ [٢] .

الظاهر ان قول الرضي رحمه الله : العلاء بن زياد من الوهم منه رحمه الله أو من النساخ ، فان المعروف بين علماء الاخبار ان الذي عاده امير المؤمنين عليه السلام وشكى اليه اخاه عاصماً هو الربيع بن زياد الحارثي ، ولذا قال ابن ابي الحديد : اما العلاء بن زياد الذي ذكره الرضي رحمه الله فلا أعرفه ، لعل غيري يعرفه [٣] ، وقال : ان الذي رويته عن الشيوخ ورأيته بخط عبد الله بن الخشاب رحمه الله [٤] : ان الربيع بن زياد الحارثي أصابته نشابة في جبينه فكانت تنتقض عليه [٥] في كل عام فأتاه علي عليه السلام عائداً فقال : كيف تجدك ابا عبد الرحمن ؟ قال : أجدني يا امير المؤمنين لو كان لا يذهب ما بي الا بذهاب بصري لتمنيت ذهابه ، قال : وما قيمة بصرك عندك ؟ قال : لو كانت لي الدنيا لفديته بها ، قال :

---

(١) جشوبة المأكل : غلظه وخشونته ومنه قولهم : طعام مجشوب اي لا أدام له .
(٢) يقدروا هنا يشبهوا ، ويتبيغ : يهيج كما يتبيغ الدم بصاحبه .
(٣) شرح نهج البلاغة : م٣ ص ١٣ .
(٤) ابن الخشاب هذا من رواة الخطبة الشقشقية انظر : ج١ ص ٣١٥ من هذا الكتاب .
(٥) تنتقض : تفسد ، والمراد يعاوده الالم من اجلها .

لاجرم [1] ليعطينك الله على قدر ذلك ، ان الله تعالى يعطي على قدر الالم ، وعنده تضعيف كثير ، قال الربيع : يا امير المؤمنين ، الا اشكو اليك اخي عاصم بن زياد قال: ما له ؟ قال: لبس العباء ... الى آخر ما رواه الرضي بتفاوت ، وفي آخره : فما قام علي عليه السلام حتى نزع عاصم العباء ، ولبس ملاءة [2] .

والربيع بن زياد المذكور من الصحابة ، وهو الذي قال فيه عمر : دلوني على رجل إذا كان في القوم اميراً فكأنه ليس بامير ، وإذا كان في القوم وليس بامير فكأنه الامير بعينه ، قالوا : ما نعرف الا الربيع بن زياد الحارثي ، قال : صدقتم ، وكان الربيع خيراً متواضعاً ، وهو الذي فتح بعض خراسان ، وعمل لعمر على البحرين [3] ، ولما أحضر عمر عماله أحضره معهم فأقره على عمله وصرف الباقين في قصة معروفة [4] وعمل لمعاوية على قطعة من خراسان فكتب اليه زياد : ان امير المؤمنين (معاوية) كتب إلي ان تحرز الصفراء والبيضاء وتقسم ما سوى ذلك وما اشبهه على اهل الحرب ، فقال له الربيع : اني وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المؤمنين ثم نادى في الناس ان اغدوا على غنائمكم فأخذ الخمس وقسم الباقي على المسلمين ثم دعا الله ان يميته — وكان قد بلغه مقتل حجر واصحابه آنذاك فما جمع حتى مات [5]

اما مصادر هذا الكلام فهي :

١ — « قوت القلوب » لابي طالب المكي : ج ١ ص ٥٣١ ذكر طرفاً منه.

---

(١) لا جرم : كلمة تورد لتحقيق الشيء .
(٢) شرح نهج البلاغة م٣ : ص ١٢ .
(٣) المصدر السابق ، و « اسد الغابة » : ج٢ ص ١٦٤ .
(٤) شرح نهج البلاغة : م١ ص ٥٩ .
(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م٣ ص ١٢ و « اسد الغابة » ج٢ ص ١٦٤ .

٢ – « العقد الفريد » لابن عبد ربه المالكي : ج ١ ص ٣٢٩ .

٣ – « الكافي ، الأصول » للكليني ١ – ٤١٠ .

٤ – « ربيع الابرار » للزمخشري في اوائل الجزء الرابع باب اللهو واللذات واللباس والزينة .

٥ – المفيد في (الاختصاص) ص ١٥٢ عن كتاب ابن دأب .

٦ – « تلبيس إبليس » لابن الجوزي : ص ١٩٤ رواه بسنده إلى ابي عبيدة معمر بن المثنى .

٢٠٨ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعما في ايدي الناس من اختلاف الخبر[١] ، فقال عليه السلام

إنَّ فِي أَيْدِي ٱلنَّاسِ حَقاً وَبَاطِلاً ، وَصِدْقاً وَكَذِباً ، وَنَاسِخاً وَمَنْسُوخاً وَعَامّاً وَخَاصّاً ، وَمُحْكَماً وَمُتَشَابِهاً ، وَحِفْظاً وَوَهْماً[٢] . وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيباً فَقَالَ : « مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ » .

---

(١) المراد بالخبر هنا الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٢) قد تقدم معنى الناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام والمحكم والمتشابه في التعليق على الخطبة الاولى اما الوهم فقد روى بتسكين الهاء وفتحها ، فالاول من وهمت – بالفتح – أوهم إذا ذهب الوهم إلى شيء والمراد غيره ، والثاني من وهمت – بالكسر – أوهم إذا غلطت وسهوت.

وإنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهمْ خَامِسٌ :

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِٱلْإِسْلَامِ لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ[1] ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّداً ، فَلَوْ عَلِمَ ٱلنَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلٰكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ ٱللهِ صَلىَّ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ[2] فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ ٱللهُ عَنِ ٱلْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱلسَّلَامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ ٱلضَّلَالَةِ وَٱلدُّعَاةِ إِلَى ٱلنَّارِ بِالزُّورِ وَٱلْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ ٱلْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّاماً عَلَى رِقَابِ ٱلنَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ ٱلدُّنْيَا . وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ مَعَ ٱلْمُلُوكِ وَٱلدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ ٱللهُ فَهُوَ أَحَدُ ٱلْأَرْبَعَةِ[3] .

---

(١) لا يتأثم اي لا يخاف الاثم ، ولا يتحرج لا يخشى الوقوع في الحرج وهو الجرم .
(٢) تناول واخذ عنه .
(٣) فهو اي من عصم الله احد الاربعة وهو خيرهم أي الرابع .

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ شَيْئاً لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ[1] وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَٰلِكَ لَرَفَضَهُ .

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ ٱلنَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ ٱلْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ .

وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى ٱللهِ وَلاَ عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ ٱللهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهِمْ ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى

---

(١) وهم : غلط وأخطأ .

وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ ٱلنَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ ٱلْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[1] ، وَعَرَفَ ٱلْخَاصَّ وَٱلْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ ٱلْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱلْكَلامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلامٌ خَاصٌّ وَكَلامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا عَنَى ٱللهُ بِهِ وَلاَ مَا عَنَى رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَحْمِلُهُ ٱلسَّامِعُ وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ . وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ ٱلْأَعْرَابِيُّ وَٱلطَّارِيءُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ حَتَّى يَسْمَعُوا . وَكَانَ لاَيَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلاَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ . فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ ٱلنَّاسُ فِي ٱخْتِلافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ .

---

(١) جنب : تجنب .

ورد هذا الكلام في كثير من الكتب المتقدمة على « نهج البلاغة » ومنها :

١ — « الكافي » للكليني ج ٢ ص ٦٢ رواه مسنداً .

٢ — « تحف العقول » للحراني : ص ١٣٦ رواه مرسلا .

٣ — « الخصال » للصدوق : ج ١ ص ٣٣٣ رواه مسنداً .

٤ — « الامتاع والمؤانسة » للتوحيدي ج ٣ ص ١٩٧ .

٥ — « الغيبة » للنعماني : ص ٢٦ .

٦ — « المسترشد » للطبري : ص ٣٠ .

وبعده :

٧ — « التذكرة » للسبط : ص ١٤٢ باسناده عن الشعبي .

٨ — « الاحتجاج » للطبرسي : ج ١ ص ٢٩٣ .

٩ — « الاستنصار » للكراجكي : ص ١٠ رواه مسنداً .

١٠— « الاربعين » للشيخ البهائي : ص ٩٨ .

٢٠٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَانَ مِنَ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَساً جَامِداً[١] . ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقاً[٢] فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمَوَاتٍ

---

(١) زخر البحر : طما وارتفع ، والمتراكم : المجتمع بعضه على بعض ، والقصف : الصوت الشديد كأنه الرعد . واليبس — بالتحريك — المكان كان رطباً فيبس .

(٢) فطر : خلق ، اطباقاً : طبقات مختلفة في تركيبها ، الا انها كانت رتقاً اي متصل بعضها ببعض ثم فتق منها سبعاً وهي السموات ، فاستمسكت بأمر الله تعالى ، والضمير في حده يعود للأمر الالهي ، قال الشيخ محمد عبده : وليس المراد من البحر هذا الذي نعرفه ولكن مادة الاجرام قبل تكاثفها فانما كانت مائرة مائجة اشبه بالبحر بل هي البحر الاعظم .

بَعْدَ ٱرْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ . وَأَرْسَى أَرْضاً يَحْمِلُهَا ٱلأَخْضَرُ ٱلْمُثْعَنْجِرُ وَٱلْقَمْقَامُ ٱلْمُسَخَّرُ[1] . قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ ، وَوَقَفَ ٱلْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ . وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا . فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا[2] . وَأَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي ٱلْمَاءِ . فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا[3] ، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا . فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا[4] ، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا . وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَاداً ، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَاداً فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا[5] أَوْ تَسِيخَ

---

(١) الاخضر : البحر ، سمته العرب بذلك لانه يصف لون السماء فيرى وكأنه اخضر والمثعنجر : السائل مطلقاً من ماء ودمع ودم ، والقمقام — بفتح القاف — البحر ايضاً وحمله للارض كناية عن احاطته بها وهو مسخر لقدرة الله سبحانه .

(٢) جبل : خلق ، والجلاميد : الصخور الصلبة ، والنشوز جمع نشز — بفتحتين أو بفتح فسكون — ما ارتفع من الارض ، والمتون جمع متن ما صلب منها والاطواد جمع طود : وهو الجبل ، وارساها اثبتها .

(٣) انهد : اعلا ، ومنه الناهد إذا شرف نهدها وكعب .

(٤) اساخ قواعدها : اي غيب قواعد الجبال في بطون الارض وادخلها والانصاب جمع نصب — بضمتين — ما جعل علماً واشهق جعلها شاهقة اي عالية والقلال جمع قلة وهي رأس الجبل

(٥) واطال انشازها جمع نشز وقد مر معناه قريباً ، وا رز : ثبت ،

بِحمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا . فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَاداً١ ، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشاً فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لاَ يَجْرِي ، وَقَائِمٍ لاَ يَسْرِي . تُكَرْكِرُهُ ٱلرِّيَاحُ ٱلْعَوَاصِفُ٢ . وَتَمْخُضُهُ ٱلْغَمَامُ ٱلذَّوَارِفُ « إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَىٰ ٣ » .

نبه الامام السيد عبد الحسين شرف الدين رحمه الله في كتابه (مؤلفوا الشيعة في صدر الإسلام) بما ورد في هذه الخطبة من قوله عليه السلام : « فسكنت على حركتهامن ان تميد بأهلها» وبقوله سلام الله عليه في الخطبة (٨٩) : « وعدل حركاتها بالراسيات من جلاميدها » (٤) إلى ان علياً صلوات الله عليه اول مكتشف لحركة الارض .

اما مصادر هذه الخطبة فرواها الزمخشري في الجزء الاول من (ربيع الابرار) في باب السماء والكواكب باختلاف يسير جداً نستظهر منه انه لم ينقلها عن « نهج البلاغة » .

وفي « النهاية الاثيرية : ج ١ ص ٢٧ » مادة (ازر) قال : ومنه كلامه (علي عليه السلام) : « جعل الجبال للارض عماداً ، وأزر فيها اوتاداً »

---

(١) المهاد : الفراش : .
(٢) تكركره الرياح : تذهب به وتعود .
(٣) طه : ٢٦ .
(٤) نهج البلاغة : ج١ ص ١٧٤ .

قال: اي أثبتها فهي من ازرت الشجرة تأزر ، إذا ثبتت في الارض، وإن كانت مشددة فهي من ارزّت الجرادة إذا ادخلت ذنبها في الارض لتلقي بيضها . ورواه في مادة (ارز) ايضاً .

وهذا الاختلاف في الرواية بين « النهج » و « النهاية » يدل على ان ابن الاثير نقلها من مصدر آخر خصوصاً بعد ملاحظة ان رواية الرضي (جعلها للارض عماداً) ورواية ابن الاثير « جعل الجبال » .

٢١٠ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً[١] . وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ ، وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ .

سننوه عنها في كلمة الختام والله المسدد للصواب .

---

(١) اكبر الشاهدين شهادة هو الله جل وعلا لقوله سبحانه (قل اي شيء اكبر شهادة قل الله ، الانعام : ١٩) .

٢١١ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ ٱلْمَخْلُوقِينَ١ ، ٱلْغَالِبِ لِمَقَالِ ٱلْوَاصِفِينَ . ٱلظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ ، ٱلْبَاطِنِ بِجَلاَلِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ ٱلْمُتَوَهِّمِينَ . ٱلْعَالِمِ بِلاَ ٱكْتِسَابٍ وَلاَ ٱزْدِيَادٍ وَلاَ عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، ٱلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ ٱلْأُمُورِ بِلاَ رَوِيَّةٍ وَلاَ ضَمِيرٍ . ٱلَّذِي لاَ تَغْشَاهُ ٱلظُّلَمُ وَلاَ يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلاَ يَرْهَقُهُ لَيْلٌ٢ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ ، لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْإِبْصَارِ وَلاَ عِلْمُهُ بِالْإِخْبَارِ٣ .

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ ،وَقَدَّمَهُ فِي ٱلاصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ ٱلْمَفَاتِقَ٤ ، وَسَاوَرَ بِهِ ٱلْمُغَالِبَ ، وَذَلَّلَ بِهِ ٱلصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ ٱلْحُزُونَةَ٥ حَتَّى سَرَّحَ ٱلضَّلاَلَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ .

سنشير اليها في كلمة الختام إن شاء الله .

---

(١) شبه — بالتحريك — مشابهة .

(٢) يرهقه : يغشاه .

(٣) لأن الادراك بالبصر يستدعي المقابلة ، والعلم بالإخبار يستدعي سبقه بالجهل .

(٤) الرتق : سد الفتق ، والمفاتق جمع فتق ، والمراد بالمفاتق ، فساد الاحوال وتردي الاوضاع .

(٥) ساور : غالب ، والحزونة : ما وعر من الارض .

٢١٢ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ ٱللهُ ٱلْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ١ جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا . لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ وَلاَ ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ٢ .

أَلاَ وَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلاً . وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ : وَلِلطَّاعَةِ عِصَماً٣ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْناً مِنَ ٱللهِ يَقُولُ عَلَى ٱلْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ ٱلْأَفْئِدَةَ. فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ٤ : وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ يَصُونُونَ مَصُونَهُ ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ . يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلاَيَةِ ، وَيَتَلاَقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ . وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ٥ . وَيَصْدُرُونَ

---

(١) نسخ الخلق : نقلهم بالتناسل عن اصولهم فجعلهم بعد الوحدة في الاصول فرقاً .

(٢) العاهر من يأتي غير حله كالفاجر ، وضرب في الشيء صار له نصيب منه .

(٣) العصم — بكسر ففتح — جمع عصمة وهو ما يعتصم به .

(٤) الكفاء : الكافي او الكفاية .

(٥) روية اي يروي شرابها ، ورية — بكسر الراء وتشديد الياء — الواحدة من الري : زوال العطش .

بريَّةٍ . لاَ تَشوبهُمُ ٱلرِّيبَةُ وَلاَ تُسرِعُ فيهمُ ٱلْغِيبَةُ . عَلىٰ ذٰلكَ عقَدَ خلقَهُمْ وأَخلاقَهمْ[١] . فعلَيْه يتَحابُّونَ وبه يَتَواصلُونَ . فكَانُوا كتفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقىٰ ، فيُؤْخَذُ منْهُ ويُلْقىٰ . قَدْ ميَّزهُ ٱلتَّخْليصُ ، وهَذَّبهُ ٱلتَّمْحيصُ[٢] . فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا[٣] . وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا[٣] . وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامه ، وَقَليلِ مُقَامه فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلاً . فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَمَعَارِفَ مُنْتَقَلِه[٤] . فَطُوبىٰ لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيه ، وتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيه ، وأَصَاب سبيلَ ٱلسَّلامة ببَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ[٥] وطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ . وبَادَرَ ٱلْهُدىٰ قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوابُهُ وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ . وَٱسْتَفْتَحَ ٱلتَّوْبَةَ وَأَمَاطَ ٱلْحَوْبَةَ . فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ وَهُدِيَ نَهْجَ ٱلسَّبِيلِ

---

(١) لا تشوبهم : لا تخالطهم ، ولا تسرع فيهم الغيبة بالافساد لا متناعهم عنها وعقد خلقهم وخلقهم وصلهما بهذه الصفات حتى كأنهما معقودان بها .

(٢) التهذيب : التنقية ، والتمحيص : الاختبار .

(٣) الكرامة – هنا – : النصيحة ، والقارعة : الداهية والمراد بها الموت او القيامة .

(٤) المتحول – بفتح الواو وتشديدها – ما يتحول اليه ، ومعارف المنتقل : المواضع التي يعرف الانتقال اليها .

(٥) اي باستنارته بارشاد من ارشده .

قال ابن ابي الحديد : « الضمير في انه يرجع إلى القضاء والقدر المذكور في صدر هذه الخطبة ولم يذكره الرضي رحمه الله ـ » قال : « ونسب العدل والفصل على طريق المجاز وهو بالحقيقة منسوب إلى ذي القضاء وهو الله تعالى » (١) .

وفي قوله هذا ما يشعر على انه اطلع على صدر الخطبة الذي لم يذكره الرضي رحمه الله .

وروى الآمدي بعض هذه الخطبة بما يتضح معه ان روايته عن غير (النهج) مثل : « طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه ، وتجنّب غاوياً يرديه » وليس في رواية الرضي « ناصحاً » و « غاوياً » كما ليس في رواية الآمدي « لذي قلب سليم » .

٢١٣ ـ وَمِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُوْ بِهِ عَلَيهِ السَّلام كثيراً

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلاَ سَقِيماً(٢) ، وَلاَ مَضْرُوباً عَلَىَ عُرُوقِي بِسُوءٍ ، وَلاَ مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي ، وَلاَ مَقْطُوعاً دَابِرِي ، وَلاَ مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي ، وَلاَ مُنْكِراً لِرَبِّي ، وَلاَ مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي ، وَلاَ مُلْتَبِساً عَقْلِي ، وَلاَ مُعَذَّباً بِعَذَابِ ٱلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي .

---

(١) شرح النهج م٣ : ص ٢٣ .

(٢) ميتاً منصوب على الحال ولا يجوز ان تكون خبراً ليصبح لأن فاعل الاصباح هو الله تعالى فهي هنا تامة .

أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي ، لَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلاَ حُجَّةَ لِي . لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلاَّ مَا أَعْطَيْتَنِي ، وَلاَ أَتَّقِي إِلاَّ مَا وَقَيْتَنِي .

اَللَّهُمَّ إِنِي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَالْأَمْرُ لَكَ

اَللَّهُمَّ اجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي ، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي .

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ ، أَوْ نَفْتَتِنَ عَنْ دِينِكَ . أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا[1] دُونَ الْهُدَى الَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ .

هذا الدعاء رواه السيد ابن باقي [2] في (الاختيار) [3] كما في (نهج البلاغة) الا الجملة الاخيرة فانه رواها كما هو آت : « اللهم اجعل اول كريمة ترتجعها من ودائعك » وزاد على ما رواه الرضي هذه الفقرات :

---

(١) التتابع – هنا – التهافت في اللجاج والشر .

(٢) هو السيد علي بن الحسين بن حسان بن باقي القرشي المعروف بابن باقي من اعاظم العلماء، وفي نهاية الفضل والكمال ، من معاصري المحقق الحلي وكتابه(الاختيار)اختار اكثره من (مصباح المتهجد) للطوسي وينقل عنه الكفعمي في (المصباح) كثيراً ، وكتاب ابن باقي هذا يعرف بـ(الاختيار) تارة و (المصباح) اخرى ، و بـ(دعوات السيد ابن باقي) مرة .

(٣) انظر (بحار الانوار) ج ٩٤ ص ٢٢٦ .

« اللهم إنا نعوذ بك ان نذهب عن قولك ، او نفتتن عن دينك ، او تتابع بنا اهواؤنا دون الهدى الذي جاء من عندك وصلى الله على محمد وآله » [1] .

وسيأتي عند الكلام على مصادر دعائه عليه السلام « اللهم صن وجهي باليسار نقل الجملة الاخيرة من هذا الدعاء .

٢١٤ – ومن خطبة له عليه السلام

بصفّين

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً بِوِلاَيَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ . فَالْحَقُّ أَوْسَعُ ٱلْأَشْيَاءِ فِي ٱلتَّوَاصُفِ [2] ، وَأَضْيَقُهَا فِي ٱلتَّنَاصُفِ . لاَ يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلاَّ جَرَىٰ عَلَيْهِ ، وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ إِلاَّ جَرَىٰ لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلاَ يَجْرِي عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصاً لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَىٰ عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ . وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ

---

(١) انظر (بحار الانوار) ج ٩٤ ص ٢٢٦ .

(٢) يتسع القول في وصفه باللسان حتى إذا وجب على الواصف شيء منه تضايق في أدائه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها .

عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ ٱلثَّوَابِ تَفَضُّلاً مِنْهُ وَتَوَسُّعاً بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ . ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقاً ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا[1] وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضاً ، وَلاَ يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ . وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي . فَرِيضَةً فَرَضَهَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ ، فَجَعَلَهَا نِظَاماً لأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ . فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِصَلاَحِ ٱلْوُلاَةِ ، وَلاَ تَصْلُحُ ٱلْوُلاَةُ إِلاَّ بِٱسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلى ٱلْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا ، عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ ٱلدِّينِ ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا ٱلسُّنَنُ[2] فَصَلَحَ بِذٰلِكَ ٱلزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا ،

(١) تتكافأ وجوهها تتساوى .

(٢) اذلالها – بفتح الهمزة – : اي على مجاريها وطرقها .

وَأَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ ، وَكَثُرَ ٱلإِدْغَالُ فِي ٱلدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ[1] . فَعُمِلَ بِٱلْهَوَى ، وَعُطِّلَتِ ٱلأَحْكَامُ ، وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ[2] . وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ . فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلأَبْرَارُ وَتَعِزُّ ٱلأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِٱلتَّنَاصُحِ فِي ذٰلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَاءِ ٱللهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ . وَلٰكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ ٱمْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي ٱلْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي ٱلدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَانَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ ٱللهُ مِنْ حَقِّهِ ، وَلاَ ٱمْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ ٱلنُّفُوسُ

---

(١) أجحف برعيته : ظلمهم ، والإدغال : الفساد . ومحاج جمع محجة وهي الجادة .

(٢) علل النفوس : تعللها بالباطل . ولا يستوحش لم يجد احد وحشة لتعطيل الحقوق لتعود الناس على ذلك .

وَٱقْتَحَمَتْهُ ٱلْعُيُونُ[1] بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذٰلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ .

(فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ ٱلثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ) فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ ٱللهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذٰلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَيْهِ وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ . فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ ٱللهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ٱزْدَادَ حَقُّ ٱللهِ عَلَيْهِ عِظَماً ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ ٱلْوُلَاتِ عِنْدَ صَالِحِ ٱلنَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ ٱلْفَخْرِ ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى ٱلْكِبْرِ . وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ ٱلْإِطْرَاءَ وَٱسْتِمَاعَ ٱلثَّنَاءِ[2] . وَلَسْتُ بِحَمْدِ ٱللهِ كَذٰلِكَ . وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ

---

(١) اقتحمته العيون : احتقرته وازدرته .
(٢) جال في ظنكم : اي خطر في ظنكم .

أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ ٱنْحِطَاطاً لله سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ ٱلْعَظَمَةِ وَٱلْكِبْرِيَاءِ ، وَرُبَّمَا ٱسْتَحْلَى ٱلنَّاسُ ٱلثَّنَاءَ بَعْدَ ٱلْبَلاَءِ[1] . فَلاَ تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى ٱللهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ ٱلتَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا[2] ، وَفَرَائِضَ لاَ بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا ، فَلاَ تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ ٱلْجَبَابِرَةُ ، وَلاَ تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ ٱلْبَادِرَةِ ، وَلاَ تُخَالِطُونِي بِٱلْمُصَانَعَةِ[3] . وَلاَ تَظُنُّوا بِيَ ٱسْتِثْقَالاً فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلاَ ٱلْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي . فَإِنَّهُ مَنِ ٱسْتَثْقَلَ ٱلْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ ٱلْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ ٱلْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ . فَلاَ تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ ، أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِىءَ ، وَلاَ آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلاَّ أَنْ يَكْفِيَ ٱللهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ

---

(١) البلاء اجهاد النفس في إحسان العمل .

(٢) التقية : الخوف والمراد لازمه ، والمعنى إذا أخرجت نفسي من عقاب الله في أداء حق من الحقوق فلا تثنوا علي بذلك فانما وقيت نفسي وعملت لسعادتي .

(٣) التحفظ : الاحتراز ، البادرة : الحدة ، والمصانعة : المداراة .

أَمْلَكُ بِهِ[1] مِنِّي . فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لاَ رَبَّ غَيْرُهُ . يَمْلِكُ مِنَّا مَا لاَ نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلىَ مَا صَلَحَنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ ٱلضَّلاَلَةِ بِالْهُدى ، وَأَعْطَانا ٱلْبَصِيرَةَ بَعْدَ ٱلْعَمى .

الخطبة هذه رواها قبل الرضي الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٥٢ عن علي بن الحسن المؤدب واحمد بن محمد بسنديهما عن ابي جعفر عليه السلام قال خطب امير المؤمنين عليه السلام الناس بصفين فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على محمد النبي ﷺ ثم قال : « اما بعد فقد جعل الله لي حقاً ... » الخطبة بزيادة فقرات وابدال بعض الالفاظ بما يرادفها ، كما نقل جواب ذلك الرجل وهو : « انت اميرنا ونحن رعيتك ، بك اخرجنا الله عز وجل من الذل ، وباعزازك اطلق عباده من الغل فاختر علينا ، وامض اختيارك ، وائتمر فامض ائتمارك ، فانك القائل المصدق ، والحاكم الموفق ، والملك المخول ، لا نستحل في شيء معصيتك ، ولا نقيس علماً بعلمك ، يعظم عندنا في ذلك خطرك ، ويجل عنه في انفسنا فضلك » .

فاجابه امير المؤمنين عليه السلام فقال : « ان من حق من عظم جلال الله في نفسه » . إلى آخر ما ذكره الرضي رحمه الله وبعده ؛ فأجابه الرجل الذي اجابه من قبل فقال : انت اهل ما قلت ، والله فوق ما قلته ، فبلاؤه عندنا ما لا ينكر وقد حملك الله تبارك وتعالى رعايتنا ، وولاك سياسة امورنا ، فاصبحت علمنا الذي نهتدي به ، وامامنا الذي نقتدي به ، وامرك كله

---

(١) املك : اي اشد ملكاً له مني .

رشد ، وقولك كله ادب ، قد قرت فيك في الحياة أعيننا ، وامتلأت من السرور بك قلوبنا ، وتحيرت من صفة ما فيك من بارع الفضل عقولنا ولسنا نقول لك : ايها الامام الصالح تزكية لك ، ولا تجاوز القصد في الثناء عليك ، ولم يكن في انفسنا طعن على يقينك ، أو غش في دينك فنتخوف ان تكون أحدثت بنعمة الله تبارك وتعالى تجبراً ، او دخلك كبر ، ولكنا نقول لك ما قلنا تقرباً إلى الله عز وجل بتوقيرك ، وتوسعاً بتفضيلك ، وشكراً باعظام امرك ، فانظر لنفسك ولنا ، وآثر امر الله على نفسك وعلينا ، فنحن طوع فيما أمرتنا ، فنقاد من الامور مع ذلك فيما ينفعنا » .

فأجابه امير المؤمنين عليه السلام فقال :

« وانا استشهدكم عند الله على نفسي لعلمكم فيما وليت به من اموركم ، وعما قليل يجمعني واياكم الموقف بين يديه ، والسؤآل عما كنا فيه ، ثم يشهد بعضنا على بعض ، فلا تشهدوا اليوم بخلاف ما انتم شاهدون غداً فان الله عز وجل لا يخفى عليه خافية ، ولا يجوز عنده الا مناصحة الصدور في جميع الامور » .

ثم ذكر ان ذلك الرجل اجاب امير المؤمنين عليه السلام ايضاً فقال والبكاء يقطع منطقه ، « يا رباني العباد ، ويا سكن البلاد أين يقع قولنا من فضلك ؟ واين يبلغ وصفنا من فعلك ؛ وانى نبلغ حقيقة حسن ثنائك ، أو نحصي جميل بلاءك ؟ فكيف وبك جرت نعم الله علينا وعلى يدك ، اتصلت اسباب الخير الينا ، الم تكن لذل الذليل ملاذاً ، وللعصاة الكفار حرباً فبمن الآ بأهل بيتك وبك أخرجنا الله عز وجل من فظاعة تلك الخطرات ؟ أو بمن فرج عنا غمرات الكربات ؟ وبمن إلّا بكم اظهر الله معالم ديننا ، واصلح ما كان فسد من دنيانا حتى استبان بعد الجور ذكرنا وقرت من

رخاء العيش اعيننا أوليتنا بالاحسان جهدك ، ووفيت لنا بجميع وعدك ، وقمت لنا على جميع عهدك ، فكنت شاهد من غاب منا ، وخلف اهل البيت لنا ، وكنت عز ضعفائنا ، وثمال فقراءنا ، وعماد عظمائنا يجمعنا في الامور عدلك ، ويتسع لنا في الحق تأنيك ، فكنت لنا إنساً اذا رأيناك ، وسكناً إذا ذكرناك ، فأي الخيرات لم تفعل ؟ واي الصالحات لم تعمل ؟ ولولا ان الامر الذي نخاف عليك منه يبلغ تحويله جهدنا ، وتقوى لمدافعته طاقتنا ، او يجوز الفداء عنك منه بانفسنا وبمن نفديه بالنفوس من ابناءنا لقدمنا انفسنا وابناءنا قبلك ، ولا اخطرناها وقلّ خطرها دونك ، ولقمنا بجهدنا في محاولة من حاولك ، وفي مدافعة من ناواك ولكنه سلطان لا يحاول ، وعز لا يزاول ورب لا يغالب ، فان يمنن علينا بعافيتك ، ويترحم علينا ببقاءك ويتحنن علينا بتفريج هذا من حالك إلى سلامة منك لنا ، وبقاء منك بين اظهرنا نحدث لله عز وجل بذلك شكراً نعظمه ، وذكراً نديمه ، ونقسم انصاف اموالنا صدقات ، ورقيقنا عتقاء ، ونحدث له تواضعاً في انفسنا ، ونخشع في جميع امورنا ، وان يمض بك الى الجنان ويجري عليك حتم سبيله فغير متهم فيك قضاؤه ، ولا مدفوع عنك بلاؤه ، ولا مختلفة مع ذلك قلوبنا ، بان اختياره لك ما عنده على ما كنت فيه ، ولكنا نبكي من غير اثم لعز هذا السلطان ان يعود ذليلا ، وللدين والدنيا اكيلا ، فلا نرى لك خلفاً نشكو اليه ، ولا نظيراً نأمله .

٢١٥ــ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ١ فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا

---

(١) يقال : استعديت الامير على فلان فاعداني اي استعنت به عليه فأعانني .

رَحِمِي ، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلاَ إِنَّ فِي ٱلْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي ٱلْحَقِّ أَنْ تُمنَعَهُ ، فَاصبِر مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلاَ ذَابٌّ وَلاَ مُسَاعِدٌ[1] إِلاَّ أَهْلَ بَيْتِي ، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ ٱلْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى ٱلْقَذى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى ٱلشَّجى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ ٱلْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ ٱلْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ ٱلشِّفَارِ[2] .

قال الرضي رحمه الله : وقد مضى هذا الكلام في اثناء خطبة متقدمة الا اني كررته ههنا لاختلاف الروايتين .

قد تقدم القول في مصادر هٰذا الكلام برقم (٢٦) خطب ، وذكرنا هناك انه من جملة كتاب كتبه عليه السلام وامر ان يقرأ على اصحابه ونضيف هنا ان الكليني رواه في كتاب (الرسائل) على ما حكاه السيد ابن طاووس في (كشف المحجة لثمرة المهجة) . ويحتمل انه عليه السلام قال هذا الكلام اكثر من مرة . وانظر ص ٤١٣ من الجزء الثاني من هذا الكتاب

---

(١) الرافد : المعين ، والذاب : المدافع .
(٢) الحز : القطع ، والشفار جمع شفرة : حد السيف والسكين .

٢١٦ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي فِي يَدِي ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي ، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ . وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْراً ، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ[١] فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا ٱللهَ صَادِقِينَ .

مصادر هذا الكلام هي مصادر الكلام السابق لانه فصل من الكتاب الذي كتبه عليه السلام وامر ان يقرأ على الناس [٢] ولذا تراه في بعض النسخ متصل به بلا عنوان فاصل .

٢١٧ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

لما مر بطلحة وعبد الرحمن بن عتاب بن اسيد
وهما قتيلان يوم الجمل

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهذَا ٱلْمَكَانِ غَرِيباً . أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تحتَ بُطُونِ

(١) عضوا على اسيافهم كناية عن الصبر في الحرب وترك الا ستسلام .
(٢) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب : ص ٣٩٠ .

ٱلْكَوَاكِبِ . أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ[1] وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَىٰ أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ فَوُقِصُوا دُونَهُ[2] .

طلحة بن عبيدالله التيمي اشهر من ان يذكر ، وعبدالرحمن بن عتاب بن اسيد بن ابي العيص بن عبد شمس ليس بصحابي ولكنه من التابعين ، وابوه من مسلمة الفتح ، واستعمله رسول الله ﷺ على حنين فبقي عليها ايام ابي بكر ومات هو وابو بكر في يوم واحد ، وقتل عبد الرحمن فيمن قتل من اصحاب الجمل ، وقطعت كفه يومئذ ، وحملتها العقاب والقتها باليمامة وفيها خاتمه فعرفت ، وعلم اهل اليمامة بالموقعة .

واسيد بن ابي العيص وهو المقصود بقوله عليه السلام (من بني عبد مناف) لان طلحة من تيم بن مرة وليس من بني عبد مناف ويروى قوله عليه السلام (اعيار بني جمح) بالراء لا بالنون ، فان كانت بالنون فالمراد رؤساؤهم وساداتهم ، وان كانت بالراء فاعيار جمع عير وهو الحمار اخرجه عليه السلام مخرج الذم لمن حضر الجمل مع عدوه من بني جمح ، وقد كانوا جماعة قتل منهم اثنان وهما عبد الرحمن بن وهب بن اسيد ، وعبد الله بن ربيعة بن دراج ، وهرب الباقون ، وممن افلت منهم ، عبد الله الطويل بن صفوان بن امية بن خلف ، وكان من اشرافهم عاش حتى قتل مع ابن الزبير بمكة ، ويحي بن حكيم بن صفوان بن امية بن خلف ،

---

(١) الوتر : الثأر .

(٢) اتلعوا اعناقهم رفعوها لتناول امر وهو مناوأة امير المؤمنين عليه السلام فوقعوا دونه : اي اندقت اعناقهم يقال : وقصى الرجل إذا اندقت عنقه فهو موقوص .

عاش حتّى استعمله عمرو بن سعيد الاشدق على مكة لما جمع له بين امارة مكة والمدينة ، ومنهم عامر بن مسعود بن امية بن خلف ، كان يسمى دحروجة الجعل لقصره وسواده ، عاش حتّى ولاه زياد صدقات بكر بن وائل ، وولاه عبد الله بن الزبير الكوفة ، ومنهم ايوب بن حبيب بن علقمة عاش حتّى قتلته الخوارج بقديد .

قال ابن ابي الحديد : فهؤلاء الذين اعرف حضورهم الجمل مع عائشة من بني جمح يعني من ذكرناهم [1] .

والكلام هذا رواه ابو الفرج الاصبهاني في (الاغاني) ج ٢١ ص ٢٤٦ والمبرّد في (الكامل) ج ١ ص ١٢٦ وابن عبد ربه في (العقد الفريد) ج٢ ص ٢٧٩ والبيهقي في (المحاسن والمساوي) ج ٢ ص ٥٣ ط. مصر . وفي «النهاية الأثيرية » ج ١ ص ١٩٢ قال: وفي حديث علي رضي الله عنه : « لقد أتلعوا أعناقهم لامر ... » الخ .

٢١٨ – وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قَدْ أَحْيىٰ عَقْلَهُ ، وَأَمَاتَ نَفْسَهُ ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ [2] . وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ ٱلْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ ٱلطَّرِيقَ وسَلَكَ بِهِ ٱلسَّبِيلَ ، وَتَدَافَعَتْهُ ٱلْأَبْوَابُ إِلَىٰ بَابِ ٱلسَّلَامَةِ وَدَارِ ٱلْإِقَامَةِ ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ

(١) شرح النهج م ٢ ص ٤٢ .
(٢) دق : صغر حتّى خفي او كاد ، ولطف : خف .

بَدَنِهِ فِي قَرَارِ ٱلْأَمْنِ وَٱلرَّاحَةِ بِمَا ٱسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ.

رواه الآمدي في (الغرر) ص ٢٣٣ كالآتي « قد أحى عقله ، وامات شهوته واطاع ربه ، وعصى نفسه » .

وفي الاختلاف والزيادة دليل على ان مصدره غير « نهج البلاغة » .

٢١٩ – وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قاله بعد تلاوته (أَلْهَاكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ) يَا لَهُ مَرَاماً مَا أَبْعَدَهُ ، وَزَوْراً مَا أَغْفَلَهُ[١] ، وَخطَراً ما أَفْظَعَهُ ، لَقَدِ ٱسْتَخَلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكَرٍ ، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ[٢] ، أَفَبِمَصَارِعِ آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ؟ أَمْ بِعَدِيدِ ٱلْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ ؟ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَاداً خَوَتْ[٣] ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ . وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَراً أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَراً ، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ[٤] . لَقَدْ نَظَرُوا

---

(١) المرام : الطلب ، ومراماً منصوب على التمييز ، والزور : الزائرون يطلق على الواحد والجمع .

(٢) استخلوا منهم : وجدوهم خالين ، ومدكر من الادكار وهو الاعتبار وتناوشوهم : تتلوهم .

(٣) خوت : خلت اي مضت .

(٤) الجناب : الفناء : واحجى ، أجدر وأولى .

إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ ٱلْعُشْوَةِ . وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ[1] . وَلَوِ ٱسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ ٱلدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ[2] وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي ٱلْأَرْضِ ضُلَّالاً ، وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالاً . تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ[3] ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا ٱلْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ[4] .

أُولٰئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمْ[5] ٱلَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ ٱلْعِزِّ وَحَلَبَاتُ ٱلْفَخْرِ مُلُوكاً وَسُوَقاً[6] .

---

(١) العشوة : مرض في العين ينقص به الابصار – وتقدم معنى العشوة مراراً – والضرب هنا استعارة بمعنى الضرب وهو السير ، والمعنى ضربوا من ذكرهم في بحر من الجهل .

(٢) الخاوية : المتهدمة المتداعية .

(٣) الهام ، – جمع هامة – وهي الرأس وتستثبتون : تضعون الاوتاد ، وتروى: « تستنبتون » اي تزرعون النبات .

(٤) بكاء الايام ونواحبها : كناية عن حفظها لما يكون من مصابهم .

(٥) السلف : المتقدمون ، والغاية : الحد الذي ينتهى اليه ، والفراط : القوم يسبقون إلى المنهل ، .

(٦) مقاوم العز : دعائمه جمع مقوم وهي في الأصل الخشبة التي يمسكها الحارث والحلبات جمع حلبة وهي الخيل تجمع للسباق ، والسوق – بضم السين – جمع سوقة : الرعية .

سَلَكُوا فِي بُطُونِ ٱلْبَرْزَخِ سَبِيلاً[1] سُلِّطَتِ ٱلْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِـــمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِـــمْ . فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِـــمْ جَمَاداً لاَ يَنْمُونَ ، وَضِماراً لاَ يُوجَدُونَ[2] . لاَ يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ ٱلْأَهْوَالِ ، وَلاَ يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ ٱلْأَحْوَالِ ، وَلاَ يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلاَ يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ[3] . غُيَّباً لاَ يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُوداً لاَ يَحْضُرُونَ . وَإِنَّما كَانُوا جَمِيعاً فَتَشَتَّتُوا ، وَآلاَفـاً فَافْتَرَقُوا[4] . وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِـــمْ وَلاَ بُعْدِ مَحَلِّهِـــمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْساً بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَساً ، وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ، وَبِالْحَرَكَاتِ

---

(١) البرزخ : الحاجز ما بين الشيئين ، والمراد به هنا ما بين الموت إلى يوم النشور .

(٢) الفجوات جمع فجوة وهي الفرجة بين الشيئين ، وضمار : كل ما لا يرجى ولا يوثق بعودته كالدين والوعد .

(٣) لا يحفلون : لا يكترثون : والرواجف : الزلازل ، ولا يأذنون : لايسمعون ، والقواصف : الاصوات الشديدة .

(٤) غيب جمع غائب ، وشهوداً اي انهم شهود في الصورة وغير حاضرين في المعنى، والالاف جمع الف كالطراق جمع طارق .

سُكُوناً [1] . فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ ٱلصِّفَةِ صَرْعَىٰ سُبَاتٍ [2] . جِيرَانٌ لاَ يَتَأَنَّسُونَ ، وَأَحِبَّاءُ لا يَتَزَاوَرُونَ . بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَىٰ ٱلتَّعَارُفِ [3] وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلإِخَاءِ . فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ . وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلاَّءُ . لاَ يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلاَ لِنَهَارٍ مَسَاءً ، أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً [4] . شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَرُوا . فَكِلْتَا ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَىٰ مَبَاءَةٍ [5] فَاتَتْ مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ . فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا [6] بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ . لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ ،

---

(١) اي لم تعم اخبارهم ولم تصم ديارهم اي لم يسمع منها صوت لطول مدة او بعد منزل ولكنهم سقوا كأس المنون فاخرستهم بعد النطق ، واصمتهم بعد السمع ، واسكنتهم بعد الحركة .

(٢) اي اذا وصفهم الواصف مرتجلا غير مترو في الصفة ، ولا متهيء للقول كأنهم صرعى سبات ، اي نوم لأنه لا فرق في الصورة بين الميت في حال موته وبين النائم المسبوت .

(٣) بليت : رثت ، والعرى جمع عروة وهي مقبض الدلو والكوز وما شابهها .

(٤) الجديدان الليل والنهار ، وسرمد : دائم .

(٥) الغايتان : هما الاخطار المفظعة ، والآيات المقدرة مدت اي اتصلت إلى مباءة اي منزل والمراد بذلك مباءة السعادة والشقاء وهما الجنة والنار .

(٦) عيوا : عجزوا .

وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ ٱلنُّطْقِ . فَقَالُوا كَلَحَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ وَخَوَتِ ٱلْأَجْسَادُ ٱلنَّوَاعِمُ . وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ٱلْبِلَىٰ[1] . وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ ٱلْمَضْجَعِ . وَتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ . وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا ٱلرُّبُوعُ ٱلصُّمُوتُ[2] فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا . وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجاً ، وَلاَ مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعاً . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِٱلْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ[3] ، وَٱكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ ، وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلاَقَتِهَا ، وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا . وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا[4] ، وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلاَ أَيْدٍ تَدْفَعُ ،

---

(١) كلحت : كشرت في عبوس ، وخوت : خلت من الروح او المراد خوت تهدمت والنواعم : النواضر ، والأهدام جمع هدم وهو الثوب البالي .

(٢) تكأدنا : شق علينا ، وتهكمت : تهدمت ، والربوع الصموت : القبور .

(٣) ارتسخت من رسخ الغدير إذا نش ماؤه ونضب ، فكأن مادة السمع قد نضبت لأكل الهوام آلتها .

(٤) عاث : افسد ، وسمجها : قبح صورتها .

وَلاَ قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ[١] . لَهُمْ فِي كُلِّ فَظَاعَةٍ صِفَةُ حَالٍ لاَ تَنْتَقِلُ ، وَغَمْرَةٌ لاَ تَنْجَلِي[٢] . وَكَمْ أَكَلَتِ ٱلْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي ٱلدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ[٣] وَرَبِيبَ شَرَفٍ . يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ[٤] ، وَيَفْزَعُ إِلَى ٱلسَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنّاً بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ[٥] . فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى ٱلدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[٦] إِذْ وَطِيءَ ٱلدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ ، وَنَقَضَتِ ٱلْأَيَّامُ قُوَاهُ ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ ٱلْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ[٧] . فَخَالَطَهُ بَثٌّ لاَ يَعْرِفُهُ ، وَنَجِيُّ هَمٌّ مَا كَانَ يَجِدُهُ .

---

(١) لرأيت : جواب مثلتهم واشجان القلوب : همومها ، واقذاء العيون : ما يسقط فيها فيؤلمها .

(٢) لا تنتقل إلى ما هو احسن ، والغمرة : الشدة .

(٣) عزيز جسد : طري الجسد ، والانيق الذي يعجب منظره ، غذي ترف اي قد غذي بالترف وهو التنعم المطغي ، وربيب : ربي في العز والشرف .

(٤) يتعلل بالسرور : يتلهى به عن غيره .

(٥) ضناً اي بخلا وحرصاً وكذلك معنى شحاحة ، والغضارة : النعيم

(٦) يضحك : كناية عن الفرح والسرور وصفاء الأمور ، وعيش غفول : لم يتنبه له الدهر فينغصه .

(٧) من كثب : من قرب .

وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ[1] . فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ ٱلْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ ٱلْحَارِّ بِالْقَارِّ[2] ، وَتَحْرِيكِ ٱلْبَارِدِ بِالْحَارِّ ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلاَّ ثَوَّرَ حَرَارَةً ، وَلاَ حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلاَّ هَيَّجَ بُرُودَةً . وَلاَ ٱعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ لِتِلْكَ ٱلطَّبَائِعِ إِلاَّ أَمَدَّ مِنْهَا كُلَّ ذَاتِ دَاءٍ[3] حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ[4] ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ ٱلسَّائِلِينَ عَنْهُ . وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ[5] ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى ٱلْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ[6] . فَبَيْنَا هُوَ كَذٰلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا وَتَرْكِ ٱلْأَحِبَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ[7] ،

---

(١) البث : الحزن ، ونجي الهم : ما يناجي الانسان ويساره ، وآنس هنا بمعنى أحس .

(٢) القار : البارد .

(٣) اعتدل – هنا – طلب الاعتدال ، وامد : استحصل ، ذات داء اي مرض .

(٤) تعايا اهله اي تعاطوا السكوت إذا سئلوا عنه .

(٥) اي اختلفوا بينهم في الخبر المحزن يكتمونه عنه . ولما به : كأنه صار ملكاً لما ألم به .

(٦) ممن لهم : اي يمنيهم عودة صحته ، والأسى جمع اسوة اي ما يتأسى به الانسان .

(٧) نوافذ الفطنة : ثواقبها ، وتحيرت : تبلدت .

وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ . وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[1] .

هذا الكلام هو بيت القصيد في مواعظ امير المؤمنين عليه السلام ، وعنه يقول ابن ابي الحديد « هذا موضع المثل (هلعاً يا ظليم والا فالتخوية) من اراد ان يعظ ويخوف ، ويقرع صفاة القلب ، ويعرف الناس قدر الدنيا وتصرفها باهلها فليأت بمثل هذه الموعظة ، في مثل هذا الكلام الفصيح والا فليمسك ، فان السكوت استر ، والعيّ خير من منطق يفضح صاحبه ، ومن تأمل هذا الفصل علم صدق معاوية في قوله فيه : « والله ما سن الفصاحة لقريش غيره » وينبغي لو اجتمع فصحاء العرب قاطبة وتلي عليهم ان يسجدوا له كما سجد الشعراء لقول عدي بن الرقاع [2] (قلم أصاب من الدواة

---

(١) الغمرات : الشدائد ، تستغرق بصفة اي تحيط بها الصفة ، وتعتدل : تستقيم عليها بالقبول والادراك ، كأنها تنبو عنها ولا تصدق بها .

(٢) هو ابو داود عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع العاملي نسبة إلى عاملة بنت وديعة من قضاعة ، ونسبه الناس إلى الرقاع وهو جدجده لشهرته ، شاعر مشهور من شعراء بني أمية ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك ، كان معاصراً لجرير ، مهاجياً له ، وقوله : (قلم اصاب من الدواة مدادها) عجز بيت صدره (تزجي أغن كأن ابرة روقه) من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك ، مطلعها :

عرف الديار توهما فاعتادهـــا   من بعدما شمل البلى ابلادهـــا

مدادها) فلما قيل لهم في ذلك ، قالوا : إنا نعرف مواضع السجود في الشعر كما تعرفون مواضع السجود في القرآن ؛ وإني لاطيل التعجب من رجل يخطب في الحرب بكلام يدل على أن طبعه مناسب لطباع الاسود والنمور وأمثالها من السباع الضارية ، ثم يخطب بذلك الموقف بعينه إذا اراد الموعظة بكلام يدل على ان طبعه مشاكل لطباع الرهبان ، لابسي المسوح ، الذين لم يأكلوا لحماً ، ولم يريقوا دماً ، فتارة يكون في صورة بسطام بن قيس الشيباني [١] ، وعتيبة بن الحارث اليربوعي [٢] ، وعامر بن الطفيل العامري [٣] ، وتارة يكون في صورة سقراط الحبر اليوناني ، ويوحنا

= والبيت في وصف ظبية تسوق خشفاً لها ، وتزجي : تسوق ، ويقال : ظبي اغن اي يخرج صوته من خياشيمه ، والروق : القرن ، وابرته : طرفه ، والا بلاد في المطلع : الآثار ويقال : ان الفرزدق وجريراً كانا حاضرين عند انشاده فلما بلغ إلى قوله : (تزجي اغن كأن ابرة روقه) شغل الوليد عن الاستماع بأمر عرض له فأمسك عدي عن الانشاد فقال الفرزدق لجرير ، ما تراه قائلا ؟ قال : أراه يستلب مثلا ، فقال الفرزدق : انه سيقول : (قلم اصاب من الدواة مدادها) فلما عاد الوليد للاستماع عاد عدي إلى الانشاد فكان كما قال الفرزدق ، فقال الفرزدق : والله لما سمعت صدر البيت رحمته ، فلما انشد عجزه حسدته .

(١) بسطام بن قيس بن مسعود ، سيد بني شيبان ، من اشهر فرسان العرب في الجاهلية ، يضرب بفروسيته المثل ادرك الاسلام ولم يسلم ، قتل يوم الشقيقة .

(٢) عتيبة (بالتصغير) بن الحارث بن شهاب ، فارس من فرسان العرب في الجاهلية ، يضرب به المثل في الفروسية حتى كان يلقب (سم الفوارس) و (صياد الفرسان) قتله ذؤاب ابن ربيعة (بالتصغير) .

(٣) عامر بن الطفيل ، فارس قومه ، أحد فتاك العرب ، وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية ، كان يأمر منادياً ينادي في (عكاظ) هل من راجل فنحمله ، او جائع فنطعمه ، او خائف فنؤمنه ، ادرك الاسلام فوفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة يريد أن يفتك به ، فحماه الله تعالى ، ودعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاسلام، فاشترط عليه ان يجعل له نصف ثمار المدينة ويكون ولي الامر بعده، فلما لم يجبه عاد حانقاً وهو يقول : لاملأنها خيلا جرداً ، ورجالا مرداً ، ولا ربطن بكل نخلة فرساً ودعا عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : اللهم اكفني عامر بن الطفيل . فبينما هو ببعض الطريق ، اصابه الطاعون في عنقه فلجأ إلى بيت امرأة سلولية فكان يقول : يا بني عامر اغدة كغدة البعير في بيت امرأة من بني سلول حتى هلك .

المعمدان الاسرائيلي [١] ، والمسيح بن مريم الالهي واقسم بمن تقسم الامم كلها به ، لقد قرأت هذه الخطبة منذ خمسين سنة وإلى الآن أكثر من الف مرة ما قرأتها قط إلا واحدثت عندي روعة وخوفاً وعظة ، وأثرت في قلبي وجيباً [٢] وفي أعضائي رعدة ، ولا تأملتها الا وذكرت الموتى من اهلي واقاربي ، وارباب ودي ، وخيلت في نفسي اني انا ذلك الشخص الذي وصف عليه السلام حاله ، وكم قال الواعظون والخطباء والفصحاء في هذا المعنى ، وكم وقفت على ما قالوه وتكرّر وقوفي عليه فلم أجد لشيء منه تأثير هذا الكلام في نفسي » [٣] .

اما مصدر هذه الخطبة في غير « النهج » فقد رواها علي بن محمد بن شاكر الليثي في كتاب (عيون الحكم والمواعظ) [٤] وقد تقدم كلام منا حول هذا الكتاب [٥] وذكر السيد في « **الاعيان** » : ج **٣٩** ص **١٩١** انه ألفه سنة (**٤٥٣**) ﻫ ، فعلى هذا فهو من المتأخرين عن الرضي ، ولكن عند المقابلة بين رواية الواسطي ورواية الرضي تقطع بانه لم ينقل هذه الخطبة عن (نهج البلاغة) فمثلا تجد الواسطي روى هذه الفقرة « وحطاماً ما افزعه » بعد قوله عليه السلام « وخطراً ما أفظعه » وليس في نسخ « النهج » التي رأيتها تلك الفقرة وفي رواية الواسطي « فكم اكلت الأرض من عزيز

---

(١) فيلسوف يوناني ولد في أثينة امتاز بنبل اخلاقه وشهامته ، ونشأ بها كان يلقي دروسه في الازقة وبين الجماعات باسلوب بسيط يتتابه السؤال والجواب فكان لها اعمق الاثر ، قاوم تعاليم السفسطية فتحالف عليه اعداؤه ، فجروه امام الحكام وضغطوا عليهم فحكم عليه بشرب السم في السجن فمات سنة ٣٣٩ ق. م. .

(٢) وجب القلب : اضطرب من الخوف .

(٣) شرح نهج البلاغة : م ٣ ص ٥١ .

(٤) انظر (بحار الانوار) : ج ٧٧ ص ٤٣٢ .

(٥) انظر ج ١ ص ٦٩ من هذا الكتاب .

جسد » وفي « النهج » « وكم أكلت ... » وفي رواية « العيون » « واختلجت ابصارهم » بينما هي في « النهج » « وكحلت ابصارهم » .

وفسر ابن الاثير في (النهاية) ج ٢ ص ٣٩٨ غريبها .

وقد أخذ ابو العلاء المعري معنى قوله عليه السلام : (تطؤن في هامهم) فقال :

خفف الوطأ ما اظن اديم الا   رض إلاّ من هذه الاجساد
ربّ لحد قد صار لحداً مراراً   ضاحك من تزاحم الاضداد
ودفين على بقايا دفين   من عهود الآباء والأجداد [1]

واراد الحسن البصري ان يجري في هذا المضمار فقال بعد تلاوته (الهكم التكاثر) : عم الهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبيد ؟ هذا والله فضح القوم ، وهتك الستر ، وابدى العوار ، تنفق مثل دينك في شهواتك سرفاً ، وتمنع في حقّ الله درهماً ! ستعلم يا لكع ، الناس ثلاثة : مؤمن وكافر ومنافق ، فاما المؤمن فا لجمه الخوف ، وقوّمه ذكر العرض ، واما الكافر فقد قنعه السيف ، وشرده الخوف ، فأذعن بالجزية ، وسمح بالضريبة ، واما المنافق ففي الحجرات والطرقات ، يسرون غير ما يعلنون ، ويضمرون غير ما يظهرون ، فا عتبر إنكارهم ربهم باعمالهم الخبيثة ، ويلك قتلت وليه ثم تتمنى جنة [2] .

انظر إلى براعة الاستهلال وعلوه في كلام امير المؤمنين عليه السلام (يا له مراماً ما ابعده ، وزوراً ما اغفله ، وخطراً ما افظعه ...) وانظر إلى قبح المطلع وسماجته وانحطاطه في كلام الحسن (عم ألهاكم عن دار الخلود وجنة

---

(١) جواهر الادب ص ١٩٩ .

(٢) البيان والتبيين ج ٢ ص ٨٨ .

لا تبيد) ثم تذوق الحلاوة في كلام امير المؤمنين (افبمصارع آبائهم يفخرون ام بعديد الهلكى يتكاثرون ...) ولا أدري بعد ذلك هل تستسيغ (تنفق في شهواتك سرفاً وتمنع في حق الله درهماً ، ستعلم يا لكع) ثم لاحظ الانسجام في كلام أمير المؤمنين سلام الله عليه في كل هذا الكلام على طوله ، وانظر إلى التفكك في كلام الحسن على قصره ، وما أقبح التنافر في قوله : (وتمنع في حق الله درهماً ستعلم يا لكع الناس ثلاثة ...) .

واخيراً إنك لو قارنت بين الكلامين تجد كلام الحسن بالنسبة لكلام ابي الحسن عليه السلام كمخنث بالنسبة إلى فحل على حد تعبير ابن ابي الحديد [1]

ومما هو جدير بالذكر ان الحسن البصري كثيراً ما يسطو على كلام امير المؤمنين عليه السلام فيأخذه إما بالفاظه او معانيه ، ولكنه قد يخرجها في ألفاظ مستهجنة وثياب رثاث ، ومن الشواهد على ما نقول رسالته إلى عمر ابن عبد العزيز فان اكثر ما فيها مأخوذ من كلام علي عليه السلام ، فقوله فيها (احتمال المؤنة المنقطعة التي تعقب الراحة الطويلة خير من تعجيل راحة منقطعة) اخذه من كلامه عليه السلام (صبروا أياماً قصيرة أعقبتهم راحة طويلة) [2] وقوله (فاحذر هذه الدار الصارعة الخادعة الخاتلة التي قد تزينت بخدعها وغرت بغرورها ...) مأخوذ من قوله عليه السلام (واحذركم الدنيا فانها ... قد تزينت بغرورها ، وغرت زينتها) وأخذ الفاظ امير المؤمنين بعينها فقال (فاحذرها الحذر كله فانها بمنزلة الحية لين مسها وسمها يقتل ، فاعرض عما يعجبك فيها لقلّة ما يصحبك منها ... [3]

---

(١) شرح النهج م ١ ص ١٤٣ .

(٢) نهج البلاغة ج٢ ص ١٦٠ .

(٣) انظر نهج البلاغة ج ١ ص ١٢٠ .

واعلم انها تزيل الثاوي والساكن وتفجع المغرور الآمن)[1] وقال فيها في صفة النبي ﷺ (علّم انّ الله تعالى ابغض شيئاً فابغضه، وصغر شيئاً فصغّره) وهي عين الفاظ امير المؤمنين في احدى خطبه [2] واخذ صفة امير المؤمنين عليه السلام لزهد الانبياء وتقشفهم فقلبه رأساً على عقب ، وحذف منه ، وزاد عليه ليوهم عمر بن عبد العزيز انه المبتكر لتلك المعاني ، والمستخرج لهاتيك الدرر واخشى ان اطوّل عليك بالمقارنة فعليك بمراجعتها في « حلية الاولياء » ج ٢ ص ١٣٢ إذا شئت .

٢٢٠ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قَالَهُ عِنْدَ تِلاَوَتِهِ « رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ »[3] :

إِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ ٱلذِّكْرَ جِلاَءً لِلْقُلُوبِ تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ ٱلْوَقْرَةِ ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ ٱلْعَشْوَةِ[4] ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ ٱلْمُعَانَدَةِ . وَمَا بَرِحَ لِلّٰهِ — عَزَّتْ آلاَؤُهُ — فِي ٱلْبُرْهَةِ بَعْدَ ٱلْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ ٱلْفَتَرَاتِ[5] عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ ،

---

(١) نهج البلاغة : ج ٣ ص ١٢٨ .
(٢) نهج البلاغة : ج ٢ ص ٥٩ .
(٣) النور : ٣٧ .
(٤) الجلاء بالكسر : الصقل ، والوقرة : الثقل في الاذن ، والعشوة : ضعف البصر
(٥) آلاؤه : نعماؤه ، وعزت — هنا — بمعنى كرمت وعظمت ، والبرهة — بالضم وبالفتح ايضاً — : المدة الطويلة من الزمن ، والفترة : الزمن بين النبوتين .

وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِـمْ ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي ٱلْأَسْمَاعِ وَٱلْأَبْصَارِ وَٱلْأَفْئِدَةِ١ . يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ ٱللهِ ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ ٱلْأَدِلَّةِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ٢ . مَنْ أَخَذَ ٱلْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ . وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالاً ذَمُّوا إِلَيْهِ ٱلطَّرِيقَ ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ ، وَكَانُوا كَذٰلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ ٱلظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ ٱلشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلاً أَخَذُوهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بَدَلاً فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ ٱلْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ ٱللهِ فِي أَسْمَاعِ ٱلْغَافِلِينَ٣ . وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ٤ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ . فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا ٱلدُّنْيَا إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ ، فَكَأَنَّمَا ٱطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ ٱلْبَرْزَخِ فِي طُولِ ٱلْإِقَامَةِ فِيهِ ، وَحَقَّقَتِ ٱلْقِيَامَةُ عَلَيْهِـمْ

---

(١) ناجاهم — هنا — بمعنى الهمهم وكذلك كلمهم في ذات عقولهم ، فاستصبحوا : اي صار ذلك النور مصباحاً يستضيئون به .

(٢) ايام الله : ازمان نعمه واوقات نقمه ، والفلوات : الصحارى والقفار .

(٣) يهتفون بالزواجر : يصوتون بها .

(٤) القسط : العدل ، ويأتمرون به : يمتثلون الأمر .

عِدَاتِهَا . فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى ٱلنَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ ٱلْمَحْمُودَةِ١ ، وَمَجَالِسِهِمُ ٱلْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ٢ فَضَعُفُوا عَنِ ٱلْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجاً وَتَجَاوَبُوا نَحِيباً٣ يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَٱعْتِرَافٍ لَرَأَيْتَ أَعْلَامَ هُدًى ، وَمَصَابِيحَ دُجًى . قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ ٱلْمَلَائِكَةُ ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّكِينَةُ ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَاءِ ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ ٱلْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ ٱطَّلَعَ ٱللّٰهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ

---

(١) المقاوم جمع مقام اي مقاماتهم .

(٢) اي حاسبوا انفسهم ، فوجدوا التقصير منهم ولم يحولوه على ربهم .

(٣) نشج الباكي : إذا اختنق بعبرته ، وتجاوبوا به : اجاب بعضهم بعضاً ، والنحيب رفع الصوت بالبكاء ، ويعجون : يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ .

سَعْيِهِمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ ٱلتَّجَاوُزِ١ . رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ . جَرَحَ طُولُ ٱلأَسَى قُلُوبَهُمْ٢ ، وَطُولُ ٱلْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ . لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى ٱللهِ مِنْهُم يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ ٱلْمَنَادِحُ٣ وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ ٱلرَّاغِبُونَ . فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ ٱلْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ.

روى صدر هذا الكلام الآمدي في (غرر الحكم) ص ٨١ بحرف الألف بلفظ « إنّ » المشددة بتقديم وتأخير واختلاف يسير يدل ان له مصدراً خاصاً فمثلا روى قوله عليه السلام : « تبصر به بعد العشوة » قبل قوله سلام الله عليه « وتسمع به بعد الوقرة » عكس ما هو في (النهج) وروى « ويهتفون به في آذان الغافلين » والذي في (النهج) : « يهتفون بالزواجر عن محارم الله في اسماع الغافلين » ... الخ .

٢٢١ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ « يَا أَيُّهَا ٱلْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ » ٤

---

(١) يتنسمون : يتشممون ، والروح – بالفتح – النسيم ، والتجاوز : العفو .
(٢) الأسى : الحزن .
(٣) المنادح جمع مندوحة وهي السعة .
(٤) الانفطار : ٦ .

أُدْحَضَ مَسْؤُولٍ حُجَّةً ، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً . لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ[١] .

يَـأَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ، وَمَا آنَسَكَ بِهَلَكَةِ نَفْسِكَ . أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ[٢] ؟ أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ . ؟ أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ ؟ فَلَرُبَّمَا تَرَى ٱلضَّاحِيَ لِحَرِّ ٱلشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ ، أَوْ تَرَى ٱلْمُبْتَلِيَ بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ[٣] فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ، وَعَزَّاكَ عَنِ ٱلْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ . وَهِيَ أَعَزُّ ٱلأَنْفُسِ عَلَيْكَ. وَكَيْفَ لا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ[٤] وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ[٥] . فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ ٱلْفَتْرَةِ فِي

(١) الحجة الداحضة : الباطلة ، يقال : ابرح شجاعة وابرح لؤماً وابرح جهالة اي اتى بالشيء الشديد منها .

(٢) ما آنسك – بالمد والتشديد ايضاً – والمعنى كيف لم تستوحش من الامور التي بها هلكة نفسك والبلول : مصدر بل الرجل من مرضه : اي برأ .

(٣) الضاحي لحر الشمس : البارز ، والممض : المؤلم .

(٤) بيات نقمة – بفتح الباء – طروقها ليلا .

(٥) تورط : وقع في الورطة – بتسكين الراء – وهي الهلاك وهي في الاصل الارض المطمئنة لا طريق فيها ، والمدارج : الطرق والمسالك .

قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَيِ ٱلْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ[1] . وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً ، وَبِذِكْرِهِ آنِساً . وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ[2] . يَدْعُوكَ إِلَىٰ عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَىٰ غَيْرِهِ . فَتَعَالَىٰ مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ[3] ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ . فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلَهُ وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ[4] فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ ؟ وَٱيْمُ ٱللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ ٱلصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي ٱلْقُوَّةِ ، مُتَوَازِيَيْنِ[5] فِي ٱلْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَىٰ نَفْسِكَ بِذَمِيمِ ٱلْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي

---

(١) العزيمة : الارادة والتصميم ، والكرى : النوم .

(٢) تمثل : تصور .

(٣) يتغمدك : يسترك بفضله : اي بعفوه وسمى العفو والصفح فضلا تسمية للنوع بالجنس .

(٤) مطرف عين – بفتح الراء – اي زمان طرف العين اي حركة جفنها ونصب مطرف على الظرفية .

(٥) متوازيين : متساويين .

ٱلْأَعْمَالِ . وحَقّاً أَقُولُ مَا ٱلدُّنْيَا غَرَّتْكَ وَلٰكِنْ بِهَا ٱغْتَرَرْتَ وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ ٱلْعِظَاتُ وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ[١] . وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ ٱلْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَٱلنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ[٢] ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ . وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي ٱلدِّيَارِ ٱلْخَاوِيَةِ وَٱلرُّبُوعِ ٱلْخَالِيَةِ[٣] لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ ٱلشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَٱلشَّحِيحِ بِكَ[٤]. وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَاراً ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلاًّ . وَإِنَّ ٱلسُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَداً هُمُ ٱلْهَارِبُونَ مِنْهَا ٱلْيَوْمَ .

إِذَا رَجَفَتِ ٱلرَّاجِفَةُ ، وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا ٱلْقِيَامَةُ . وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ[٥] ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ،

---

(١) العظات جمع عظة اي الموعظة مرفوعة على انها فاعل كاشفتك ويرى ابن ابي الحديد انها منصوبة بنزع الخافض اي بالعظات ، وفاعل كاشفتك ضمير مستتر يعود على الدنيا ، وآذنتك : اعلمتك ، على سواء : اي على عدل وانصاف .

(٢) اي رب حادث من حوادثها يلقي اليك النصيحة بالعبرة فتتهمه .

(٣) تعرفتها : طلبت معرفتها ، والخاوية : المتداعية والربوع جمع ربع وهو المنزل .

(٤) الراجفة : الصيحة ، وحقت : تحققت وصارت على اليقين والجلائل : الأمور العظام

(٥) المنسك : العبادة او موضعها .

وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلاَ هَمْسُ قَدَمٍ فِي ٱلأَرْضِ إِلاَّ بِحَقِّهِ[1] . فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٌ ، وَعَلاَئِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٌ . فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ . وخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لاَ تَبْقَى لَهُ . وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ . وَشِمْ بَرْقَ ٱلنَّجَاةِ . وٱرْحَلْ مَطَايَا ٱلتَّشْمِيرِ[2] .

ذكر ابن ابي الحديد اختلاف الرواية في هذا الكلام وفي ذلك ما يحقق انه رآها في غير (نهج البلاغة) فمثلا قال : وروي « متوازنين » بالنون ، وقال : وروي « كاشفتاك الغطاء » .

وفي (غرر الحكم) : ص ٢٣٢ « ما آنسك ايها الانسان بهلكة نفسك » ورواية الشريف بتقديم « يا ايها الانسان » على « ما آنسك » وفيها « ما صبرك ايها المبتلى على دائك » وليس في رواية الرضي « ايها المبتلى » وفيها « كيف لا يوقظك آيات نعم الله وقد تورطت بمعاصيه مدارج سطواته » والذي في (النهج) : « كيف لا يوقظك بيات نقمة » وروى « يدعك إلى عفوه » مكان « يدعوك إلى عفوه » ... وهكذا .

---

(١) يجز مضارع جزى اي لا تجازى لمحة البصر تنفذ في الهواء ولا همسة قدم في الارض الا بحق وذلك بعدل الله سبحانه .

(٢) تيسر : تأهب ، وشام البرق : لمحه ، ورحل المطية : وضع عليها رحلها والتشمير : الجد والانكماش .

وقد ذكر السيد في (الطراز) ج ٢ ص ٢٧٢ عند كلامه على (المبادىء والافتتاحات) مطلع هذا الكلام والكلامين المتقدمين عليه فقال : « وله عليه السلام من الافتتاحات الرشيقة في خطبه ، ومواعظه ، وكتبه ما يفوق على كل كلام ثم ذكر قوله عليه السلام « يا له مراماً ما ابعده » إلى قوله سلام الله عليه « ام بعديد الهلكى يتكاثرون ؟ » ثم قال رحمه الله : « فانظر الى هذا الافتتاح ما اجمعه للمقصود ، واشد ملائمته لمراد الآية مع الاختصار البالغ والايجاز البديع الذي يزيد تفصيله من بعد في اثناء الخطبة» ، ثم ذكر مطلع الكلام الذي قبل هذا الكلام إلى قوله عليه السلام : « وحذره من الهلكة » ثم نقل مطلع هذا الكلام إلى قوله عليه السلام « اما ترحم من نفسك ما ترحم من غيرك » وعلّق عليه قائلا : « انظر ايها المتأمل إلى هذه المطالع في الوعظ والزجر ، وهذه الافتتاحات بمعاني هذه الآي كيف طبق مفاصلها ، ولم يخالف مجراها ، ويحقق مغزاها بالكلام الذي تبهر القرائح فصاحته ، وتدهش العقول جزالته وبلاغته ، ولله در امير المؤمنين لقد فاق في كل خصاله ، ونكص كل بليغ ان يحذو على مثاله خاصة فيما يتعلق بالخطب بالتوحيد فانها افتتاحات ملائمة للمقصود أشدّ الملائمة » .

علماً بأن ما نقله من هذا الكلام وسابقيه يختلف بيسير جداً يمكننا القول معه انه اعتمد في النقل على غير (النهج) .

٢٢٢ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

وَٱللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَىٰ حَسَكِ ٱلسَّعْدَانِ مُسَهَّداً[١] ، وَأُجَرَّ

(١) السعدان : نبت ذو شوك وهو من اطيب مراعي الابل حتى ضرب المثل به فقيل (مرعى ولا كالسعدان) وحسكته : شائكة تشبه حلمة الثدي . ومسهداً : ممنوع من النوم .

فِي ٱلْأَغْلَالِ مُصَفَّداً[١] ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى ٱللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ظَالِماً لِبَعْضِ ٱلْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ . وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَداً لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَى قُفُولُهَا[٢] ، وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَى حُلُولُهَا ؟

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلاً وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعاً ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ ٱلشُّعُورِ غُبْرَ ٱلْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِٱلْعِظْلِمِ[٣] ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّداً وَكَرَّرَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ مُرَدِّداً فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ مُفَارِقاً طَرِيقَتِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا[٤] . فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ ٱلثَّوَاكِلُ

---

(١) الاغلال : جمع غل وهو الجامعة ، ومصفد : مقيد .

(٢) القفول : الرجوع ، والثرى التراب .

(٣) املق : افتقر ، واستماحني : طلب مني ، والعظلم : نبت يصبغ به ما يراد اسوداده وقيل : هو الوسمة .

(٤) الدنف : المرض ، والميسم — بكسر الميم وفتح السين — المكواة .

يَا عَقِيلُ[١] ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ[٢] ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ . أَتَئِنُّ مِنَ ٱلْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ لَظَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا[٣] ، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ . فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ ٱلْهَبُولُ[٤] ، أَعَنْ دِينِ ٱللهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ، أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ[٥] . وَٱللهِ لَوْ أُعْطِيتُ ٱلْأَقَالِيمَ ٱلسَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ ٱللهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ[٦] مَا فَعَلْتُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ

---

(١) ثكلتك الثواكل : دعاء عليه بالموت ، والثواكل : النساء الفواقد .

(٢) للعبه : اي غير جاد بذلك وانما اراد ان يضرب بذلك المثل .

(٣) الطارق : هو الاشعث بن قيس عمل نوعاً من الحلوى تأنق فيها واهداها لامير المؤمنين ليستميله بها ، فرد عليه هديته لعلمه بنفاقه وانحرافه عن الهدى ، ولا أرى ان احداً وصف الطعام الحرام كصفة امير المؤمنين هذه .

(٤) الهبول : التي لا يعيش لها ولد .

(٥) المتخبط : المصروع ، وذو الجنة : المجنون ، والذي يهجر : الذي يهذي في مرضه .

(٦) جلب الشعيرة : قشرتها . قال ابن ابي الحديد : جلب - بضم الجيم - وقال الشيخ محمد عبده بكسرها ويمكن الجمع بين الكلامين بجواز الاثنين .

تَتَمَضَّمُهَا[1] مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى . نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ[2] وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ .

هذه فصول من خطبة له عليه السلام طويلة رواه الشيخ الصدوق في « الامالي » : ص ٣٦٩ بسنده عن الصادق جعفر بن محمد عن ابيه عن جده عن أبيه عليهم السلام ومن هذه الخطبة : « ولو شئت لتسربلت بالعبقرى المنقوش من ديباجكم ، ولا كلت لباب هذا البر بصدور دجاجكم ، ولشربت الماء الزلال برقيق زجاجكم ، ولكني اصدق الله جلت عظمته حيث يقول : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم لا يبخسون ، اولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار)[3] فكيف استطيع الصبر على نار لو قذفت بشررة الى الارض لاحرقت نبتها ، ولو اعتصمت نفس بقله لانضجها وهج النار في قلتها ، وايما خير لعلي ان يكون عند ذي العرش مقرباً ، أو يكون في لظى خسيساً مبعداً ، مسخوطاً عليه بجرمه مكذباً والله لأن ابيت على حسك السعدان ... الخ) وفيها زيادات لم يذكرها الرضي رحمه الله لان عادته التقاط ابلغ كلام امير المؤمنين عليه السلام .

ورواها سبط ابن الجوزي في « التذكرة » : ص ١٥٥ عن مجاهد عن ابن عباس ، والزمخشري في « ربيع الابرار » الورقة : ٢٣٠ مخطوطة كاشف الغطاء في باب الخير والصلاح ، وابن شهراشوب في « المناقب » ج ٢ ص١٠٩

---

(١) القضم : الاكل باطراف الاسنان .

(٢) سبات العقل : نومه .

(٣) هود : ١٥ و ١٦ .

٢٢٣ ـ وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيهِ السَّلامُ

اَللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلا تَبْذُلْ جَاهِيْ بِالْإِقْتَارِ ، فَأَسْتَرْزِقَ طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » [١] .

رواه الراوندي في (الدعوات) [٢] وزاد على رواية الرضي : « اللهم اجعل نفسي اول كريمة ، تنتزعها من كرائمي ، واول كريمة ترتجعها من ودائع نعملك» وهذه الزيادة تدلنا على ان الراوندي[٣] لم ينقل هذا الدعاء عن (نهج البلاغة) ورواه السيد اليماني في (الطراز) ج ١ ص ١١٩ بهذه الصورة : « اللهم صن وجهي باليسار ، ولا تبذل جاهي بالاقتار فافتن

---

(١) صيانة الوجه : حفظه من التعرض للسؤال ، وبذل الجاه : اسقاط المنزلة من القلوب ، واليسار : الغنى ، والاقتار : الفقر .

(٢) انظر (البحار) ج ٧٥ ص ٢٩٧ .

(٣) الراوندي : ابو الحسن سعيد بن هبة الله المعروف بالقطب الراوندي من شارحي (نهج البلاغة)وقد ذكرناه في الجزء الاول من كتابنا هذا ص ٢٠٧ و ٢٥٥ ،وكتاب(الدعوات) المذكور في المتن واسمه (صلاة الحزين) وهو كتاب يشتمل على ادعية موجزة فيما يتعلق بالصحة والمرض ، والاحتضار وما بعد الموت ونوادر اخرى مأخوذة من الاصول المعتبرة ، وقد وهم بعضهم فنسب كتاب (الدعوات) للسيد فضل الله الراوندي من شارحي النهج ايضاً وقد تقدم ذكره في ج ١ ص ٢٠٤ من كتابنا هذا وإذا اردت التحقيق في هذه المسألة فعليك بخاتمة (مستدرك الوسائل) ص ٣٢٦ .

(بحب) من اعطاني ، وابلى (ببغض) من منعني » الخ وعند المقارنة بين الصورتين تقطع ان لهما مصدرين غير (نهج البلاغة) .

ورواها ابن ابي الحديد في(الحكم المنثورة) بمغايرة عما في (النهج)ايضاً

والدعاء هذا معروف بين اهل البيت عليهم السلام حتى ضمنه الامام زين العابدين عليه السلام دعاءه المعروف بـ « دعاء مكارم الاخلاق » [1] وهو من ادعية « الصحيفة السجادية » وهي اقدم من « نهج البلاغة » بكثير بل هي من اوائل المؤلفات في صدر الاسلام ، فقد كتبها الامام الباقر باملاء ابيه السجاد عليهما السلام وكان الصادق عليه السلام يقبلها ويضعها على عينيه ويقول : هذا خط أبي وإملاء جدي عليهما السلام وكذلك كتبها زيد الشهيد عليه السلام باملاء ابيه زين العابدين سلام الله عليه ، وقد ارسل هذه النسخة يحي بن زيد رضي الله عنه مع المتوكل بن هرون — لما خشي ان يقتل فتضيع إلى محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن فلما انتهى إلى ابي عبد الله الصادق عليه السلام ونظر اليها قال : هذا والله خط عمي زيد ودعاء جدي علي بن الحسين عليهما السلام ثم قال لابنه : قم يا اسماعيل فاتني بالدعاء الذي امرتك بحفظه وصونه فقام اسماعيل واخرج صحيفة كأنها الصحيفة التي دفعها الي يحي بن زيد فقبلها ابو عبد الله ووضعها على عينه وقال : هذا خط ابي واملاء جدي عليهما السلام بمشهد مني ، فقلت : يا بن رسول الله ان رأيت ان اعرضها مع صحيفة زيد ويحي فأذن لي في ذلك وقال:قد رأيتك لذلك اهلا فنظرت وإذا هما امر واحد ولم أجد حرفاً منها يخالف ما في الصحيفة الاخرى »[2] .

---

(١) انظر « الصحيفة الكاملة » : ص ١١١ .
(٢) « الصحيفة الكاملة » : ص ١١ .

وتعرف « الصحيفة السجّادية » بـ « مصباح اهل البيت » و « انجيل اهل البيت » و « زبور آل محمد » و « الصحيفة الكاملة » .

وتكرر ذكر الصحيفة في كتب الشيعة : الامامية والزيدية والاسماعيلية ، وفازت باهتمامهم ، رواية وحفظاً ، واسناداً وتفسيراً ، واستدراكاً ، فقد رواها الالوف ، وبلغت شروحها المئات ، وجاوزت ترجماتها العشرات ، حتى زادت عدة اسانيدها على ستة وخمسين الفاً [1] وما زال العلماء يتلقونها موصولة الاسناد بالاسناد[2] .

ومرّ عند عرضنا لشارحي الشقشقية ان من شراح الصحيفةالمولىأبراهيم الجيلاني وهو من شراح « نهج البلاغة » ايضاً . ومن شراح « النهج » الذين شرحوا « الصحيفة » القطب الراوندي والسيد افصح الدين الحسيني والشيخ بهاء الدين العاملي ، والشيخ الطريحي والسيد نعمة الله الجزائري[3] والملا تاجا

ونذكره بالمناسبة من شراح « الصحيفة » السيد محمد باقر بن محمد الحسيني الشهير بالداماد قدس سره المتوفى سنة١٠٤١ هـ[4] والشيخ محمد تقي بن الشيخ المجلسي — اعلا الله مقامهما [5] — والسيد علي خان المدني وشرحه مطبوع مشهور سماه (رياض السالكين في شرح صحيفة سيد الساجدين) وقال سيد « الاعيان » . رحمه الله عن هذا الشرح : لم يؤلف مثله صنفه باسم السلطان الشاه حسين الصفوي وهو شرح كبير جداً من احسن الشروح واطولها ، وقد اورد فيه فوائد غزيرة ، عن كتب كثيرة غريبة ، وصدر

---

(١) انظر مقدمة السيد المشكاة للصحيفة : ص د .

(٢) انظر مجلة « البلاغ » السنة ١ العدد ٦ ص ٦٩ .

(٣) الجزء الاول من هذا الكتاب : ص ٢٣٧ .

(٤) امل الآمل : ج ٢ ص ٢٤٩ .

(٥) المصدر السابق : ج ٢ ص ٢٥٢ .

كل دعاء بخطبة وديباجة ، وقد أخذ من شرحه هذا المولى محمد حسين بن حسن الجيلاني في شرحه الكبير على « الصحيفة السجادية » [1] والعلامة الطبيب السيد محمد باقر الشيرازي المعروف بملا باشي المتوفى سنة ١٢٤٠هـ وهذا الشرح اكبر من شرح السيد علي خان [2] .

ومن شراح « الصحيفة » ميرزا محمد المشهدي ، والمولى خليل القزويني ، وجمال الدين الكوكبانى اليماني نزيل الهند المتوفى سنة ١٣٣٩ هـ والمفتي مير محمد عباس الجزائري المتوفى سنة ١٣٠٦ هـ والمولى محمد طاهر بن الحسين الشيرازي نزيل قم ، والمولى حبيب الله بن مدد علي الكاشاني الساوجي صاحب « شرح المختصر النافع » و « تفسير الفاتحة » وغيرها المتوفي سنة ١٣٤٠ هـ والعلامة الجليل السيد محمد الشيرازي المعاصر وقد طبع في النجف الاشرف .

وشرح الصحيفة من علماء الزيدية عبد الله بن القاسم المعروف بابن مفتاح المتوفى سنة ٨٧٧ صاحب كتاب « المنتزع المختار من الغيث المدرار » المطبوع في اربعة مجلدات ، والسيد محسن بن قاسم الصنعاني من علماء القرن الثالث عشر والمحسن بن أحمد الشامي اليماني المتوفى سنة ١٢٥١ .

ونقلها إلى الفارسية جماعة منهم الحسين بن جمال الدين محمد الخونساري ، والهادي بن محمد صالح السردي المشهور بجودة الخط ، والمولى محمد صالح القزويني الروغني [3] وقد مر في الجزء الاول من هذا الكتاب ص : ٢٣٦ ان هذا الاخير من شراح « نهج البلاغة » .

---

(١) اعيان الشيعة : ج ٤١ ص ٣٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٤٤ ص ١١١ .

(٣) انظر استدراك السيد المرعشي دامت بركاته على مقدمة السيد المشكاة للصحيفة : ص : ك .

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَىٰ قَبْلَكُمْ ، مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَاراً ، وَأَعْمَرَ دِيَاراً ، وَأَبْعَدَ آثَاراً[١] . أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً[٢] . فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ ٱلْمُشَيَّدَةِ وَٱلنَّمَارِقِ ٱلْمُمَهَّدَةِ[٣] ٱلصُّخُورَ وَٱلْأَحْجَارَ ٱلْمُسَنَّدَةَ ، وَٱلْقُبُورَ ٱللاَّطِئَةَ ٱلْمُلْحَدَةَ[٤] . ٱلَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا[٥] ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا . فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ . بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ[٦] لاَ يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلاَ يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ ٱلْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ ٱلْجِوَارِ وَدُنُوِّ ٱلدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ

---

(١) بعد الآثار : طول بقائها بعد ذويها .
(٢) ركود الريح هنا كناية عن انقطاع العمل ، وبطلان الحركة ، وعافية : دارسة .
(٣) النمارق : الوسائد .
(٤) لطأ الأرض : لصق .
(٥) أي بنيت لا لسكنى الأحياء فيها كشأن أهل الدنيا .
(٦) متشاغلين بما شاهدوا من عقبى أعمالهم .

ٱلْبِلى[1] ، وَأَكَلَتْهُمُ ٱلْجَنَادِلُ وَٱلثَّرى . وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ ، وَٱرْتَهَنَكُمْ ذَلِكَ ٱلْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ ذَلِكَ ٱلْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ[2] ، وَبُعْثِرَتِ ٱلْقُبُورُ « هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ ، وَرُدُّوا إِلَى ٱللهِ مَوْلَاهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ[3] » .

رويت هذه الخطبة في الكتب الآتية :

١ — (كنز العمال) للمتقي الهندي : ج ٣ ص ٥١١ قال : اخرج الدينوري وابن عساكر عن عبد الله بن صالح العجلي عن ابيه قال : خطب علي بن ابي طالب يوماً فحمد الله واثنى عليه ، وصلى على النبي ﷺ فقال : « عباد الله لا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة .. الخ » .

٢ — (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي ص ١٢٢ قال عن هذه الخطبة انها تعرف بالبالغة ثم قال : وبه — اي وبالاسناد المتقدم على هذا العنوان — قال القرشي : حدثنا علي بن الحسين عن عبد الله بن صالح العجلي ، قال : أخبرني رجل من بني شيبان ، قال : شهدت علياً وقد خطب خطبة بليغة حمد الله فيها ثم صلى على رسوله محمد ﷺ ، ثم قال :

---

(١) الكلكل : صدر البعير ، فكان البلى وهو الفناء بعير برك عليهم ، والجنادل : الحجارة ، والثرى : التراب .

(٢) تناهت : بلغت منتهاها .

(٣) تبلوه : تخبره فتقف على نتيجته من خير أو شر ، والآية الكريمة في سورة يونس برقم : ٣٠ .

« ايها الناس ان الله ارسل اليكم رسولا ليزيح به علتكم : ويوقظ به غفلتكم وان اخوف ما اخاف عليكم اتباع الهوى ، وطول الامل ، فاما اتباع الهوى فيضلكم عن الحق ، واما طول الامل فينسيكم الآخرة ، الا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة ، وان الآخرة قد اقبلت مقبلة ، ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا ، فان اليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، واعلموا انكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، ومحاسبون على اعمالكم ، ومجزون بها فلا تغرنكم الحياة الدنيا ، ولا يغرنكم بالله الغرور ، فانها دار بالبلاء محفوفة..الخ

وقال بعد ان روى الخطبة : اخرج ابو نعيم في « الحلية » طرفاً من هذه الخطبة ، ويظهر من رواية السبط هذه ان ما رواه الرضي هنا وما رواه برقم (٤٢) من خطبة واحدة ، كما يحتمل ان ما مر تحت رقم (٤٢) قاله عليه السلام في غير موطن .

٣ — في « المناقب » للخطيب الخوارزمي : ص ٢٦٧ باسناده عن محمد بن ابي الدنيا قال : حدثنا علي بن الحسين بن عبد الله عن عبد الله بن صالح بن مسلم العجلي ، أخبرنا رجل من بني شيبان ان علي بن ابي طالب خطب فقال : « الحمد لله احمده واستعينه ، واؤمن به واتوكل عليه ، واشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله ، ارسله بالهدى ودين الحق ، ليزيح به علتكم ، ويوقظ به غفلتكم ، واعلموا انكم ميتون ، ومبعوثون من بعد الموت ، وموقوفون على أعمالكم ، ومجزيون بها ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا فانها دار بالبلاء محفوفة ، وبالفناء معروفة ، وبالغدر موصوفة ... الخ » مع زيادات لم يذكرها الرضي .

ولا حاجة بنا الى استعراض من روى هذه الخطبة من علماء الامامية .

٢٢٥ ـ وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ

ٱللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ ٱلآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ . وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ[١] . تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ . فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ[٢] . إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ ٱلْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلى ٱلاسْتِجَارَةِ بِكَ ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ ٱلأُمُورِ بِيَدِكَ ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ .

ٱللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي ، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي ، فَلَيْسَ ذلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ[٣] وَلاَ بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ

ٱللَّهُمَّ ٱحْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ وَلاَ تَحْمِلْنِي عَلى عَدْلِكَ .

---

(١) آنس : أشد أنساً ، وأشد النصراء حضوراً لكفاية المعتمدين عليك .

(٢) الملهوف : المضطر .

(٣) فههت : عييت والطلبة – بالكسر – المطلوب ، والمراشد : مواضع الرشد ، والنكر – بالضم – المنكر ، والبدع – بالكسر – أي الأمر الغريب غير المعهود .

رواه السماهيجي في « الصحيفة العلوية الاولى » : مع زيادات تدل على انه لم ينقله عن « نهج البلاغة » وفي « مصباح الشيخ الطوسي » : ص ٢٤٩ ان زين العابدين عليه السلام كان يدعو بهذا الدعاء بعد الركعتين الثالثة عشرة والرابعة عشرة من نوافل يوم الجمعة .

٢٢٦ — وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

لله بِلاَدُ فُلاَنٍ[1] فَقَدْ قَوَّمَ ٱلْأَوَدَ وَدَاوَى ٱلْعَمَدَ . خَلَّفَ ٱلْفِتْنَةَ وَأَقَامَ ٱلسُّنَّةَ . ذَهَبَ نَقِيَّ ٱلثَّوْبِ ، قَلِيلَ ٱلْعَيْبِ . أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا . أَدى إِلَى ٱللهِ طَاعَتَهُ وَٱتَّقَاهُ بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ لاَ يَهْتَدِي فِيهَا ٱلضَّالُّ وَلاَ يَسْتَيْقِنُ ٱلْمُهْتَدِي .

اختلف شراح « نهج البلاغة » في المكنى عنه بهذا الكلام فذهب القطب الراوندي إلى انه عليه السلام مدح به بعض اصحابه بحسن السيرة ، واستظهر ابن ابي الحديد ان المقصود به عمر بن الخطاب وحجته في ذلك ان السيد فخار بن معد الموسوي حدّثه انه وُجِدت النسخة التي بخط الرضي وتحت فلان عمر[2] وبما رواه الطبري في التاريخ انه لما مات عمر بكته النساء فقالت احدى نوادبه : واحزناً على عمر حزن انتشر حتى ملأ البشر ، وقالت

---

(١) لله بلاد فلان : أي لله البلاد التي أنشأته وتروى « لله بلاء فلان » أي لله ما صنع .

(٢) يحتمل أن صاحب تلك النسخة رأى أن هذه الصفات لعمر فكتب تحت خط الرضي ذلك .

ابنة ابي حنتمة : واعمراه اقام الأود ، وابرأ العمد[1] امات الفتن ، واحيا السنن ، خرج نقي الثوب ، بريئاً من العيب .

قال الطبري فروى صالح بن كيسان عن المغيرة بن شعبه قال : لما دفن عمر اتيت علياً رضي الله عنه وانا احب ان اسمع منه في عمر رضي الله عنه شيئاً فخرج ينفض رأسه ولحيته ، وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب لا يشك ان الامر سيصير اليه فقال : رحم الله ابن الخطاب لقد صدقت ابنة ابي حنتمة ذهب بخيرها ، ونجى من شرها ، ام والله ما قالت ولكن قوّلت ».

ولا يخفى ما في هذه الرواية من حذف يدل عليه سياق الكلام تقديره ان المغيرة لما اخبر علياً عليه السلام بما سمع من ابنة ابي حنتمة اتهمه علي فيما نقل فحلف انها ما قالت ، ولكن قوّلت وفي هذ ما يشعر ان هذا الكلام تقوله المغيرة على بنت ابي حنتمة فامضاه امير المؤمنين عليه السلام .

وعلى كل حال فالطبري سبق الرضي برواية بعض هذا الكلام .

ولكل من ابن ابي الحديد وابن ميثم كلام حول هذا الكلام من شاء فليراجعه[2] .

٢٢٧ ــ ومن كلام له عليه السلام

في وصف بيعته بالخلافة وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة .

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ،

---

(١) الأود : الاعوجاج ، والعمد : انفضاخ سنام البعير .

(٢) أنظر (تاريخ الطبري) ج ٥ ص ٤٨ و (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد م ٣ ص ٩٢ ، و (شرح نهج البلاغة) لابن ميثم ج ٤ ص ٩٧ .

ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلْإِبْلِ ٱلْهِيمِ [1] عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا حَتَّى ٱنْقَطَعَتِ ٱلنَّعْلُ ، وَسَقَطَتِ ٱلرِّدَاءُ ، وَوُطِئَ ٱلضَّعِيفُ ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ ٱلنَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ٱبْتَهَجَ بِهَا ٱلصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ [2].

مرت مصادر هذا الكلام في باب الخطب برقم (٢٦) ونضيف إلى ذلك ان المفيد رواها في (الارشاد) ص ١٤٢ وفي كتاب (الجمل) ص ١٢٨ واكثر ما رواه المفيد في كتاب (الجمل) عن كتاب الجمل للواقدي .

٢٢٨ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى ٱللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ ، وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ ، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ ، بِهَا يَنْجَحُ ٱلطَّالِبُ ، وَيَنْجُو ٱلْهَارِبُ ، وَتُنَالُ ٱلرَّغَائِبُ . فَٱعْمَلُوا وَٱلْعَمَلُ يُرْفَعُ ، وَٱلتَّوْبَةُ تَنْفَعُ ، وَٱلدُّعَاءُ يُسْمَعُ ، وَٱلْحَالُ هَادِئَةٌ ، وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ [3] : وَبَادِرُوا بِٱلْأَعْمَالِ عُمُراً

---

(١) التداك : الإزدحام الشديد والهيم : العطاش .

(٢) هدج الكبير : مشى مرتعشاً ، وتحامل العليل : تكلف المشي على مشقة والكعاب : الجارية التي نهد ثديها ، وحسرت : كشفت عن وجهها حرصاً على مشاهدة ما يكون .

(٣) أي اعملوا ما دمتم في دار التكليف ، والأقلام جارية أي ما دامت الحفظة تكتب أعمال العباد .

نَاكِساً ، أَوَ مَرَضاً حَابِساً ، أَوْ مَوْتاً خَالِساً. فَإِنَّ ٱلْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ ، وَمبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[1] ، زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ ، قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ ، وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ[2] ، وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ[3] . فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ ، وَٱحْتِدَامُ عِلَلِه . وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ؛ وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ[4] . فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ[5] ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ

---

(١) الطيات : جمع طية – بكسر الطاء – وهي المنزل من منازل السفر .

(٢) الواتر : القاتل ، وأعلقتكم حبائله : جعلتكم معتلقين بها . وتكنفتكم : احاطت بكم ، وغوائله : دواهيه ، واقصدتكم : اصابتكم ، وسيأتي معنى المعابل في المتن .

(٣) عدوته – بفتح العين – ظلمته ، والنبوة مصدر نبا السيف إذا لم يؤثر في الضريبة .

(٤) الحنادس : الظلمات ، والازهاق : اخراج النفس وتروى « إرهاقه » مصدر أرهقته أي أعجلته ، والاطباق : جمع طبق ، والمراد تكاثف الظلمات ، وجشوبة الطعام : خشونته وغلظه وكل ذلك من باب الإستعارة .

(٥) النجي : القوم يتناجون ، والندي : القوم يجتمعون في النادي . وعفى الآثار : محاها .

حَمِيمٍ خَاصٌّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ . فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ ، وَالتَّأَهُّبِ وَالاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا[1] ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا . أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً ، وَأَمْوَالُهُمْ مِيرَاثاً . لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ[2] ، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ ، غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ . لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا ، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا ، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا .

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَادِ) كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا . عَمِلُوا

---

(١) الدرة — بالكسر — اللبن ، والغرة : الغفلة .

(٢) يحفلون : يبالون .

فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ[1] . تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ ٱلْآخِرَةِ[2] ، يَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُعْظِمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ .

قال ابن ابي الحديد : هذه الخطبة من محاسن خطبه عليه السلام وفيها من صناعة البديع ما هو ظاهر للمتأمل[3] .

وفسر ابن الاثير غريب هذه الخطبة في مواضع من « النهاية » . ففي ج٢ ص ٦١ مادة (خلس) قال : ومنه حديث علي (بادرو بالاعمال مرضاً حابساً او موتاً خالساً) اي يختلسكم على حين غفلة ، ولاحظ خلو رواية إبن الاثير من قوله عليه السلام (عمرا ناكساً) لتعلم ان له مصدراً غير « النهج » . وفي مادة (عبل) : ج ٣ ص ١٧٤ قال : وفي حديث علي : (تكنفتكم غوائله ، واقصدتكم معابله) المعابل نصال عراض طوال ، الواحدة : معبلة ، وفي ج ١ ص ٣٥٥ مادة (حدم) قال في حديث علي : (يوشك ان تغشاكم دواجي ظلله ، واحتدام علله) وهو من احتدام النار : التهابها وشدة حرها ، وكرر ذلك في ج ٢ ص ١٠٣ مادة (دجى) قال : ومنه حديث علي رضي الله عنه : (يوشك ان تغشاكم دواجي ظلله) اي ظلمها واحدها داجية .

ونثر الآمدي أكثر هذه الخطبة في مواضعها من « غرر الحكم » باختلاف

---

(١) بادروا ما يحذرون : سبقوه فلم يصبهم .

(٢) تقلب : تتقلب وظهراني – بفتح النون ولا يجوز كسرها – أي بين أهل الآخرة . أي أنهم لا يخلطون إلا أهل الآخرة .

(٣) شرح نهج البلاغة م ٣ ص ١٨٣ .

نعلم منه ان له مصدراً يختص به . فانه روى قوله عليه السلام (بادروا بالاعمال) هكذا بادروا (بالعمل) وروى مكان (طياتكم) (طلباتكم) وروى (مقاتل) مكان (معابل) وروى (بحسن التأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد) مكان « التأهب والاستعداد في منزل الزاد » ، لاحظ الصفحات : ١١٢ ، ١١٣ ، ١٤٨ ، ٢١٣ من الكتاب المذكور .

٢٢٩ـ ومن خطبة له عليه السلام

خطبها بذي قار وهو متوجه إلى البصرة ذكرها الواقدي في كتاب الجمل

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ ، وَبَلَّغَ رِسَالاَتِ رَبِّهِ فَلَمَّ ٱللهُ بِهِ ٱلصَّدْعَ . وَرَتَقَ بِهِ ٱلْفَتْقَ . وَأَلَّفَ بِهِ ٱلشَّمْلَ بَيْنَ ذَوِي ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَٱلضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ[١] .

ما نقله الرضي هنا صدر خطبة له عليه السلام خطبها بذي قار وهي من الخطب التي ذكر الرضي مصدرها وقد اشرنا الى ذلك فيما تقدم من هذا الكتاب [٢] ونضيف إلى ذلك ان من رواة هذه الخطبة ابن عبد ربه المالكي في (العقد الفريد) : ج ٢ ص ٢٢٧ والمفيد في (الارشاد) ص ١١٥ وفي كتاب (الجمل) ص ١٢٧ ، ونقل ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة)

---

(١) صدع ـ هنا ـ بمعنى جهر ، ولمّ : جمع ، والصدع : الشق . ورتق : خاطر . والشمل : التفرق ، والعداوة الواغرة ذات الوغرة وهي شدة الحر ، والقادحة كأنها تقدح النار فيها كما تقدح النار بالمقدحة .

(٢) ج ١ ص ٤١ .

م ١ ص ١٠٢ عن ابي مخنف عن زيد بن صوحـان قال : شهدت علياً عليه السلام بذي قار وهو معتم بعمامة سوداء ملتف بساج يخطب فقال في خطبته « الحمد لله على كل حال في الغدو والآصال واشهد ان لا اله الا الله ، وان محمداً عبده ورسوله ، ابتعثه رحمة للعباد ، وحياة للبلاد حين امتلأت الارض فتنة ، واضطرب حبلها ، وعبد الشيطان في اكنافها ، واشتمل عدو الله ابليس على عقائد اهلها وكان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الذي اطفأ الله به نيرانها ، واخمد به شرارها فلقد صدع ﷺ بما امر به .. الخ » .

ويظهر من رواياتهم انه عليه السلام كرر في هذا الموطن معان كان قد تطرق اليها في مواطن اخرى .

٢٣٠ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كلَّم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته وذلك أنَّه قدم عليه في خلافته يطلب منه مالا فقال عليه السلام :

إِنَّ هذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي ، وَلاَ لَكَ وَإِنَّما هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ ، وَجَلْبُ أَسْيَافِهِـمْ ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِـمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِـمْ ، وَإِلاَّ فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لاَ تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِـمْ .

عبد الله بن زمعة ـ بالفتح ـ بن الاسود بن المطلب بن اسد بن عبد

العزى بن قصي ، كان عبد الله هذا شيعة لعلي عليه السلام ومن أصحابه رغم ان اباه وعمه واخاه قتلوا يوم بدر وان علياً عليه السلام شارك في قتلهم يومئذ ، وكان جده الاسود احد المستهزئين برسول الله ﷺ الذين كفى الله رسوله امرهم [1] وظن عبد الله ان علياً يؤثره على غيره ، او يعطيه فوق حقه فقدم عليه وطلب منه مالا فاجابه بما رواه الشريف رحمه الله في هذا الموضع،وقد روى هذا الكلام الآمدي في (غرر الحكم) ص ٦٩ في حرف الالف بلفظ إنّ المشددة . وجاء في روايته : « فان شركتهم في حربهم شركتهم فيه » والتفاوت هذا يدلنا على ان الآمدي رواها عن غير الشريف رحمه الله .

٢٣١ ـ وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا إِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ[2] . وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُه[3].

وَٱعْلَمُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ ٱلْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ ، وَٱللِّسَانُ عَنِ ٱلصِّدْقِ كَلِيلٌ ، وَٱللَّازِمُ

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٢ / ٢٥٢ ، وشرح النهج لابن ابي الحديد م ٣ ص ١٨٤ وص ٣٦٥ .

(٢) بضعة من الانسان : قطعة منه ، والمعنى أن اللسان آلة للانسان فإذا صرفه صارف عن الكلام لم يكن اللسان ناطقاً ، وإذا دعاه داع إلى الكلام نطق اللسان بما في ضمير صاحبه ، قاله ابن أبي الحديد ويعني بالداعي حضور المعنى في الذهن والصارف شروده عنه .

(٣) تنشبت : تعلقت ، وتهدلت : تدلت .

لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ . أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى ٱلْعِصْيَانِ ، مُصْطَلِحُونَ عَلَى ٱلْإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ ، وَشَائِبُهُمْ آثِــمٌ ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ . لاَ يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ ، وَلاَ يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ[١] .

قال ابن ابي الحديد : « اعلم ان هذا الكلام قاله امير المؤمنين عليه السلام في واقعة اقتضت ذلك ، وذلك انه امر ابن اخته جعدة بن هبيرة المخزومي ان يخطب الناس يوماً فصعد المنبر فحصر ولم يستطع الكلام فقام امير المؤمنين عليه السلام فتسنم ذروة المنبر فخطب خطبــة طويلة ذكر الرضي رحمه الله منها هذه الكلمات »[٢] .

فهو هنا يذكر الواقعة التي اقتضت ان يقول هذا الكلام ، وينص على ان هذهْ الكلمات من خطبة طويلة .

ورواه الكليني في (روضة الكافي) ص ٣٩٦ والآمدي فيموضعين من « غرر الحكم » : ص ٨٢ مناول الكلام المذكور هنا إلى (غصونه) وروى بدلها (اغصانه) ، وص ١٣٢ من (واعلموا انكم) إلى آخر الكلام بنقصان جملة (رحمكم الله) وزيادة (فيه) بعد اللسان (وبعد) « اللازم » ويظهر من ذلك انه مختص بمصدر .

وروى الزمخشري في أوائل الجزء الاول من « ربيع الابرار » من قوله عليه السلام (واعلموا رحمكم الله) إلى آخر الكلام .

---

(١) العارم : الشرس ، والمماذق : من يمزج وده بالغش .

(٢) شرح نهج البلاغة م ٣ ص ١٨٤ .

وقد أخذ هذه الالفاظ بعينها ابو مسلم الخراساني فخطب بها في خطبة مشهورة من خطبه (١) .

وارتج على ابي العباس السفاح في احدى مواقفه الخطابية فاستعان بهذا الكلام (٢) .

٢٣٢ — وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

روى اليماني عن أحمد بن قتيبة عن عبد الله بن يزيد بن مالك بن دحية قال : كنا عند امير المؤمنين عليه السلام وقد ذكر عنده اختلاف الناس فقال :

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِىءُ طِينِهِمْ (٣) وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا ، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا . فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلافِهَا يَتَفَاوَتُونَ . فَتَامُّ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ (٤) ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ ،

---

(١) شرح نهج البلاغة للحديدي م ٣ ص ١٨٤ .

(٢) أنظر « محاضرات الراغب » : ج ١ ص ٨٩ و« الغرر والعرر » للوطواط ص ١٠٨ .

(٣) طينهم : جمع طينة والمراد عناصر تركيبهم .

(٤) الرواء — بالمد — : المنظر الجميل ، وماد القامة : الطويل ، وقريب القعر : كناية عن القصير ، وبعيد السبر : أي بعيد الغور ، والمراد به الداهية .

وَقَرِيبُ ٱلْقَعْرِ بَعِيدُ ٱلسَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ ٱلضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ ٱلْجَلِيبَةِ[1] ، وَتَائِهُ ٱلْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ ٱللُّبِّ ، وَطَلِيقُ ٱللِّسَانِ حَدِيدُ ٱلْجَنَانِ .

قد ذكر الرضي رحمه الله سند هذا الكلام ، ونضيف الى ذلك ان الزمخشري روى هذا الكلام في الجزء الاول من (ربيع الابرار) الورقة : ١١٠

٢٣٣ – وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قاله وهو يلي غسل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم وتجهيزه :

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ ٱنْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ وَٱلْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ ٱلسَّمَاءِ . خَصَّصْتَ[2] حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّياً عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ ٱلنَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ

---

(١) الضريبة : الشيمة ، والجليبة : الخلق المتكلف .

(٢) قال ابن أبي الحديد والشيخ محمد عبده ما حاصله : أنك خصصت بمصيبتك أهل بيتك حتى لا يكترثون بما يصيبهم بعدك ، وأرى أن « خصصت » بضم الخاء على البناء للمفعول والمعنى أن من خصائصك التي خصصت بها أن المصيبة بفقدك أنست كل مصيبة سواها حتى صرت مسلياً عمن سواك مع أن مصيبتك عامة لتساوي جميع الناس في المصاب بك .

وَنَهَيْتَ عَنِ ٱلْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ ٱلشُّؤُونِ[1] ، وَلَكَانَ ٱلدَّاءُ مُمَاطِلاً وَٱلْكَمَدُ مُحَالِفاً وَقَلاَّ لَكَ[2] ، وَلَكِنَّهُ مَا لاَ يُمْلَكُ رَدُّهُ[3] وَلاَ يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ . بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ٱذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَٱجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ .

هذا الكلام رواه محمد بن حبيب المتوفى (٢٤٥)اي قبلولادة الرضي بمائة واربع عشرة سنة في أماليه [٤] وزد على ذلك ان ابا اسحق ابراهيم بن السري بن سهل النحوي المعروف بالزجاج ، المتوفى سنة (٣١١) اي قبل ان يولد الرضي بنحو ثمان واربعين سنة ، رواه في اماليه : ص ١١٢ كهذا : اخبرنا محمد بن يزيد المبرد قال : حدثنا من غير وجه ، بألفاظ مختلفة ، ومعان متفقة ، وبعضها يزيد على بعض انه لما مات رسول الله ﷺ تولى غسله العباس وعلي والفضل ، قال علي فلم اره يعتاد فاه من التغيير ما يعتاد افواه الموتى ، فلما فرغ من غسله . كشف الازار عن وجهه ثم قال : بأبي انت وامي طبت حياً ، وطبت ميتاً . الخ ..

كما رواه المفيد في « الامالي » : ص ٦٠ بسنده عن ابن عباس .

وفي « نهاية ابن الاثير : ج ٣ ص ١٤٣ » مادة (طيب) قال ومنه حديث علي لما مات رسول الله قال : (بأبي انت وامي طبت حياً . وطبت ميتاً) .

فالكلام لعلي عليه السلام لا يشك فيه فهو بكلامه اشبه ، وبمذهبه اليق .

---

(١) أنفذنا : أفنينا ، والشؤون منابع الدمع من الرأس .

(٢) الداء المماطل : بطيء البرء ، والكمد : الحزن ، ومحالفته : ملازمته ، وقلا فعل ماض والمعنى أن الداء المماطل ، والكمد المحالف قليلتان لك .

(٣) أي ليس لأحد رده .

(٤) انظر شرح ابن ابي الحديد م ٣ ص ١٩٤ .

خصوصاً وهو يشكو فيه داء الفتنة التي استعر نارها ـ كما في رواية محمد بن حبيب ـ وقد وهم من نسب هذا الكلام إلى غيره[1]، لأن من سبر اغوار التاريخ علم ان علياً هو الاصل والجملة والتفصيل في امر رسول الله ﷺ وجهازه[2] ، وان من نسب اليه هذا الكلام ليس له في ذلك الامر ناقة ولا جمل . لم يشهده في مرضه ، ولم يحضره عند موته ، ولم يلِ شيئاً من امره .

قال ابن ابي الحديد : روى محمد بن حبيب في اماليه ، قال : تولى النبي ﷺ علي عليه السلام والعباس رضي الله عنه ، وكان علي عليه السلام يقول بعد ذلك : ما شممت اطيب من ريحه ، ولا رأيت اضوأ من وجهه حينئذٍ ، ولم اره يعتاد فاه ما يعتاد افواه الموتى .

قال محمد بن حبيب : فلما كشف الازار عن وجهه بعد غسله انحنى عليه فقبله مراراً ، وبكى طويلا ، وقال : « بأبي انت وامي طبت حياً وطبت ميتاً ، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت احد سواك من النبوة والانباء واخبار السماء ، خصصت حتى صرت مسلياً عمن سواك ، وعممت حتى صارت المصيبة فيك سواء ، ولولا انك امرت بالصبر ، ونهيت عن الجزع لانفدنا عليك ماء الشؤون ، ولكن اتى ما لا يدفع ، اشكو اليك كمداً وادباراً محالفين ، وداء الفتنة فانها قد استعرت نارها ، وداؤها الداء الأعظم ، بابي انت وامي اذكرنا عند ربك واجعلنا من بالك وهمك » .

ثم نظر إلى قذاة في عينه فلفظها بلسانه ثم رد الازار على وجهه [3] اهـ .

---

(١) أنظر (زهر الآداب) ج ١ ص ٣١ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٢ ص ١٩٣ .

(٣) شرح نهج البلاغة م ٣ ص ١٩٤ .

٢٣٤ - ومن كلام له عليه السلام

اقتص فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي صلى الله عليه وآله ثم لحاقه به :

فَجَعَلْتُ أَتَّبِـعُ مَأْخَذَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى ٱنْتَهَيْتُ إِلَى ٱلْعَرَجِ[١] (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ)

قال الرضي رحمه الله : قوله عليه السلام : « فَأَطَأُ ذِكْرَهُ » مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلَّذِي رَمَى بِهِ إلى غايتي الايجاز والفصاحة ، أراد اني كنت أُعطى خبره صلىّ الله عليه وآله وسلم من بدءِ خروجي إلى ان انتهيت إلى هذا الموضع فكنى عن ذلك بهذه الكناية العجيبة .

رواه ابن الاثير في الجزء الخامس من (النهاية في غريب الحديث) مادة (وطأ) .

٢٣٥ - ومن خطبة له عليه السلام

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ ٱلْبَقَاءِ[٢] وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ ،

---

(١) العرج : موضع بين مكة والمدينة .
(٢) في نفس – بفتح الفاء – أي في سعته ، يقال : هو في نفس من أمره أي في سعة .

وَٱلتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ ، وَٱلْمُدْبِرُ يُدْعَىٰ ، وَٱلْمُسِيءُ يُرجى . قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ ٱلْعَمَلُ[1] ، وَيَنْقَطِعَ ٱلْمَهَلُ ، وَيَنْقَضِيَ ٱلْأَجَلُ ، وَيُسَدَّ بَابُ ٱلتَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ[2] .

فَأَخَذَ ٱمْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ . وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ . ٱمْرُؤٌ خَافَ ٱللهَ[3] وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَىٰ أَجَلِهِ ، وَمَنْظُورٌ إِلَىٰ عَمَلِهِ ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا ، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي ٱللهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَىٰ طَاعَةِ ٱللهِ .

رواه الآمدي في (الغرر) ص ٥٤ في حرف الالف بهذه الصورة : « اعملوا وانتم في آونة البقاء » الخ ولو كان قد نقلها عن (النهج) لرواها « وانتم في نفس البقاء » .

---

(١) يخمد أي ينقطع بموت صاحبه وتروى « يجمد » أي يتوقف .

(٢) أمر بصيغة الماضي أي فليأخذ ، والحي والميت هو المرء نفسه أي فليأخذ في حياته لموته .

(٣) أي أن الناجي هو الذي خاف الله وهو في مدة الحياة إلى الأجل ، ومنظور أي مهل ، وتفكر في بلاغته عليه السلام باستعارة اللجام والزمام .

٢٣٦ - ومن كلام له عليه السلام

في شأن الحكمين وذم اهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ ، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ١ . جُمِّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ٢ ، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ ، وَيُوَلَّى عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَلاَ مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّأُوا ٱلدَّارَ .

أَلاَ وَإِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ٣ ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقاً فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ٤ ،

---

(١) جفاة : جمع جاف وهو الجلف والطغام : أوغاد الناس وأوباشهم يتساوون في ذلك الواحد والجمع يقال للأشرار والشام عبيد وإن كانوا أحراراً ، والأقزام : الرذال والسفلة .

(٢) من كل أوب : أي من كل ناحية ، ومن كل شوب من فرق مختلطة وكل واحد منهم يحتاج إلى التعليم والتأديب .

(٣) الذين يكرهون انتصار أهل الشام عليهم والذي اختاروه عمرو بن العاص ولا شيء أحب إليه من ذلك ، أما الذي اختاره أهل العراق فهو عبد الله بن قيس المعروف بأبي موسى الأشعري ولا شيء أحب إليه من انكسار أصحاب علي عليه السلام وهذا معروف من قوله

(٤) أي بمسيره مع علي عليه السلام إلى صفين فقد روى أنه حضر صفين .

وإنْ كَانَ كَاذِباً فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهَمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ ٱلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ ٱلْأَيَّامِ، وَحُوطُوا قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَىٰ ، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَىٰ[1] .

ذكرنا مصدر هذا الكلام فيما تقدم برقم (٢٦) لانه فصل من الكتاب الذي كتبه وامر ان يقرأ على الناس .

٢٣٧ـ وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يذكر فيها آل محمد صلى الله عليه وآله وسلَّم :

هُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ، وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ ٱلْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ . هُمْ دَعَائِمُ ٱلْإِسْلَامِ، وَوَلَائِجُ ٱلِاعْتِصَامِ[2] بِهِمْ عَادَ ٱلْحَقُّ فِي نِصَابِهِ[3] ، وَٱنْزَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ .

---

(١) مهل الأيام : السعة فيها ، وقواصي الإسلام : أطرافه ، والصفاة : الحجر الملساء ويقال رمى فلان صفاة فلان : إذا دهاه بداهية .

(٢) الولائج : جمع وليجة وهو الموضع يدخل فيه ويستتر فيه ، ويعتصم به .

(٣) عاد إلى نصابه : رجع إلى مستقره .

عَقَلُوا ٱلدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ[1] ، لاَ عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ . فَإِنَّ رُوَاةَ ٱلْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتُهُ قَلِيلٌ .

هذا فصل من الخطبة التي مرت برقم (١٤٥) وقد تعرضنا لمصادرها هناك في الجزء الثاني ص ٢٣٩ .

٢٣٨ - وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله لابن عباس وقد جاءه برسالة من عثمان وهو محصور يسأله فيها الخروج إلى ماله بيَنْبُع[2] ليقل هَتْفُ النَّاس بآسمه للخلافة[3] بعد ان كان سأله مثل ذلك من قبل ، فقال عليه السلام :

يَا آبْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلاَّ أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ[4] أُقْبِلُ وَأُدْبِرُ ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ ،

---

(١) أي وعاية فهم وادراك أصالة لا تقليداً ورعاية العلم : العمل به .

(٢) ينبع (بالفتح ثم السكون والباء الموحدة مضمومة وعين مهملة) بوزن يحلم ويحكم بين مكة والمدينة كان بها وقوف لأمير المؤمنين عليه السلام وقد تولاها ولده من بعده .

(٣) هتف الناس : صياحهم ، ومناداتهم باسم أمير المؤمنين للخلافة ، كانوا يهتفون به عليه السلام وعثمان محصور فأرسل إليه عثمان يطالب منه أن يخرج إلى ينبع ، فخرج فلم يقل هتافهم باسمه ، وتفاقم الأمر ثم استدعاه فحضر فزاد الأمر توتراً فطلب إليه أن يخرج إلى ينبع .

(٤) الناضح في الأصل : الجمل يسقى به الزرع ، سمي ناضحاً لأنه ينضح العطش ، أي يبله بالماء الذي يحمله ، ثم استعمل الناضح في كل بعير وان لم يحمل الماء ، والغرب — بفتح فسكون — الدلو الكبير .

ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدُمَ ، ثُمَّ هُوَ ٱلْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ. وَٱللهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً[1]

روى بعض ذلك ابن عبد ربه في « العقد الفريد » : ج ٤ ص ٣٠٩

وقال بعد ذلك : فخرج علي إلى ينبع فكتب اليه عثمان حين اشتد الامر : اما بعد فقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين [2] ، وطمع فيَّ من كان يضعف عن نفسه :

فانك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ولم يغلبك غير مغلب

فاقبل اليَّ على ايّ امر يلكُ احببت ،وكن لي ام عليّ، صديقاً كنت ام عدواً:

فان كنت مأكولا فكن خير آكل والا فادركني ولما امزقِ

وروى مثل ذلك المبرد في « الكامل » ج ١ ص ١١ ، وابن قتيبة في « الامامة والسياسة » ج ١ ص ٣٤ .

٢٣٩ - وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يحث فيها أصحابه على الجهاد

وَٱللهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ[3] وَمُورِثُكُمْ أَمْرَهُ ، وَمُمْهِلُكُمْ

---

(١) يحتمل قوله عليه السلام : « حتى خشيت ... الخ » ثلاثة وجوه (الأول) دافعت عنه حتى خشيت لكثرة أحداثه أن أكون آثماً (الثاني) إني خشيت الإثم في تغريري بنفسي لأن الإقدام في دفع الجمع العظيم في مثل تلك الأمور ضرر على المدافع (الثالث) أنه خشي الأثم من الإفراط في حقهم كأن يضرب أحدهم بالسوط أو يغلظ له في القول .

(٢) الزبى جمع زبية : مصيدة الأسد ، ولا تتخذ إلا في قلة أو رابية أو هضبة ، وتقول العرب : قد علا الماء الزبى : إذا جل الأمر عن أن يغير أو يصلح ،قال العجاج (قد بلغ الماء الزبى فلا غِيَرْ) وتقول العرب : في الأمر إذا فسد فلا يرجى صلاحه : (قد بلغ الحزام الطبيين) والأطباء جمع طبى للخيل كالاخلاف للابل .

(٣) مستاديكم : طالب منكم .

فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ . فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ[1] ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ ، وَلاَ تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ[2].
مَا أَنْقَضَ ٱلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ[3] ، وَأَمْحَى ٱلظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ .

في (غرر الحكم) ص ٣٠٨ : « ما انقض النوم بعزائم اليوم » وفيه ص ٣٤٦ : « لا يجتمع عزيمة ووليمة » بالمثناة التحية .

وقال ابن ابي الحديد : « اتى عليه السلام بثلاثة امثال مخترعة لم يسبق بها وان كان قد سبق بمعناها وهي قوله : « لا تجتمع عزيمة ووليمة » وقوله : « ما انقض النوم لعزائم اليوم » وقوله : « وأمحا الظلم لتذاكير الهمم » .

وهذا آخر ما جمعه الشريف الرضي عطر الله مرقده من كلام امير المؤمنينُ صلوات الله وسلامه وخطبه في (الباب الاول) من ابواب (نهج البلاغة) .

وهو ايضاً آخر ما يسر الله تعالى جمعه من مصادر هذا الباب .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأميّ وعلى آله مصابيح الدجى، والعروة الوثقى وسلم تسليماً كثيراً .

---

(١) المضمار : مر معناه مراراً والمراد به هنا معطيكم المهلة في مضمار الحياة المحدود، والسبق – بالتحريك – الخطر يوضع بين المتسابقين يأخذه السابق والمراد به هنا الأجر .

(٢) عقد المآزر هنا كناية عن الجد والتشمير .

(٣) لا تجتمع عزيمة ووليمة أي لا يجتمع طلب المعالي مع الركون إلى اللذات .

(٤) أي ما أشد النوم نقضاً لعزيمة النهار وهو أن الإنسان يعزم نهاراً على عمل شيء فيأخذه النوم دونه ، ومثله المثل الثاني لأن الظلم جمع ظلمة متى دخلت محت تذكار الهمة التي كانت بالنهار ، والحمد لله أولا وآخراً .

* باب *

المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين عليه السلام
الى اعدائه وامراء بلاده

ويدخل في ذلك ما اختير من عهوده الى عماله . ووصاياه لأهله وأصحابه

« لما فرغ من ايراد المختار من خطب امير المؤمنين عليه السلام وكلامه الجاري مجرى الخطب من المواعظ والزواجر شرع في ايراد باب من مختار كلامه عليه السلام ، وهو ما كان جارياً مجرى الرسائل والكتب ، ويدخل في ذلك العهود والوصايا. وقد اورد في هذا الباب ما هو بالباب الاول اشبه »

« ابن أبي الحديد »

١ ـ ومن كتاب له عليه السّلام

إلىٰ أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة :

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ جَبْهَةِ ٱلْأَنْصَارِ . وَسَنَامِ ٱلْعَرَبِ .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ . إِنَّ ٱلنَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ ٱلْوَجِيفُ[١] ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا ٱلْعَنِيفُ ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ ، وَبَايَعَنِي ٱلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلاَ مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ .

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ ٱلْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا ، وَجَاشَتْ جَيْشَ ٱلْمِرْجَلِ وَقَامَتِ ٱلْفِتْنَةُ عَلَى ٱلْقُطْبِ ، فَأَسْرِعُوا إِلَىٰ أَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ .

---

(١) الوجيف : السريع .

روى محمد بن اسحق [1] عن عمه عبد الرحمن بن يسار قال : لما نزل علي الربذة متوجهاً إلى البصرة بعث إلى أهل الكوفة محمد بن جعفر بن أبي طالب [2] ومحمد بن أبي بكر الصديق وكتب اليهم هذا الكتاب ، وفي آخره زيادة على مافي « النهج » : فحسبي بكم إخواناً ، وللدين أنصاراً « فانفروا خفافاً وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله لعلكم تفلحون » .

نقل ذلك عن ابن اسحق مع تلك الزيادة ابن ابي الحديد [3] .

وروى هذا الكتاب أيضاً ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) : ج ١ — ٦٧ مع زيادة واختلاف يسير .

ورواه الشيخ المفيد في (الجمل) ص ١٣١ وفي روايته أن الكتاب مرسل إلى أهل الكوفة مع الحسن عليه السلام وعمار بن ياسر رضي الله عنه .

ونقل الزمخشري طرفاً من هذا الكتاب وفسّر بعض كلماته في الجزء

---

(١) أبو بكر محمد بن اسحق بن يسار القرشي بالولاء إمام أصحاب السير والمغازي ، كان صدوقاً من بحور العلم ، ثبتاً في الحديث ، وقد عده الشيخ في رجاله ممن أسند عن الإمام الصادق عليه السلام ، نشأ بالمدينة ، واضطر إلى الخروج منها إلى مصر بسبب تشيعه ، ثم قدم على أبي جعفر المنصور وهو بالحيرة ، وكتب له المغازي ، وسمع منه أهل الكوفة بهذا السبب ، وكتابه في السيرة ينقسم إلى قسمين « مبتدأ الخلق » و « المغازي » والظاهر أنه لم يبق من هذين الكتابين إلا ما اختاره ابن هشام من سيرة النبيّ صلى الله عليه وآله ، وما نقله أصحاب الكتب منهما كالطبري وابن أبي الحديد وغيرهما .

توفي ابن اسحق ببغداد سنة ١٥١ ودفن في مقبرة الخيزران في الجانب الشرقي

(٢) محمد بن جعفر أمه أسماء بنت عميس كان مع عمه يوم صفين وبارز عبيد الله بن عمر بن الخطاب فتعانقا بعد أن انكسر رمحاهما فعض كل واحد منهما أنف صاحبه فوقعا عن فرسيهما وحمل أصحابهما عليهما فقتل بعضهم بعضاً حتى صار عليهما مثل التل العظيم من القتلى فلما كشفوهما فإذا هما متعانقان فقال علي عليه السلام لما رأى ذلك : أم والله لعن غير حب تعانقتما . ومحمد هذا أحد المحامدة الذين قال فيهم علي عليه السلام : إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل . وهم محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة ، ومحمد بن الحنفية .

(٣) شرح نهج البلاغة : م ٣ ص ٢٩١ .

الرابع من (ربيع الابرار) باب العداوة والبغضاء ونحوهما .

ورواه الطوسي في (الأمالي) ج ٢ ص ٣٥٩ بتفاوت مع رواية الرضي .

وما نقله الرضي من هذا الكتاب مختاره كما هي عادته .

٢ - ومن كتاب له عليه السلام

إليهم بعد فتح البصرة

وَجَزَاكُمُ ٱللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي ٱلْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَٱلشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ : فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ .

كتب عليه السلام هذا الكتاب بعد فتح البصرة وبعثه مع عمر بن سلمة الارحبي إلى أهل الكوفة ، نقله المفيد في كتاب « النصرة » ص ٢١٥ عن كتاب « الجمل » للواقدي بسنده عن عمر بن سعد [1] عن يزيد بن الصلت ، عن عامر الاسدي ، وأول هذا الكتاب :

من عبد الله علي بن أبي طالب إلى قرظة بن كعب [2] ومن قبله من المسلمين

---

(١) هو عمر بن سعد بن أبي الصيد الأسدي ، أنظر ج ٢ ص ٨٤ من هذا الكتاب .

(٢) قرظة بن كعب الأنصاري شهد أحداً وما بعدها من المشاهد ، وهو أحد العشرة الذين بعثهم عمر مع عمار بن ياسر لما ولاه الكوفة لتعليم الناس ، وفتح الري سنة ٢٣ ، ونزل الكوفة ، وولاه أمير المؤمنين عليه السلام عليها لما خرج إلى حرب الجمل ولذا ترى أن الكتاب في المتن باسمه ، ولما خرج علي عليه السلام إلى صفين أخذه معه وجعل على الكوفة أبا مسعود البدري ، وتوفي قرظة بالكوفة في أيام أمير المؤمنين عليه السلام – على الأصح – وصلى عليه . وهو أول من نيح عليه بالكوفة ، وخلف أولاداً أشهرهم عمرو وعلي (أما عمرو) استشهد مع الحسين عليه السلام بكربلاء ، جاءه لما نزل الكوفة وانضم إليه ففاز بالشهادة ، وهو القائل يومئذ .

قد علمت كتائب الأنصار أني سأحمي حوزة الذمار

سلام عليكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو .

أما بعد : فانا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا ، الباغين علينا من أمتنا فحاججناهم إلى الله ، فنصرنا الله عليهم ، وقتل طلحة والزبير وقد تقدمت اليهم بالنذر ، وأشهدت عليهما صلحاء الأمة ، فما أطاعا المرشدين ، ولا أجابا الناصحين ، ولاذ أهل البغي بعائشة فقتل حولها جمٌّ لا يحصي عددهم إلا الله ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا ، فما كانت ناقة الحجر بأشأم منها على أهل ذلك المصر ، مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لربها ونبيها من الحرب ، واغترار من اغترّ بها ، وما صنعته من التفرقة بين المؤمنين ، وسفك دماء المسلمين ، لا بينة ولا معذرة ولا حجة لها ، فلما هزمهم الله أمرت أن لا يقتل مدبراً ، ولا يجهز على جريح ، ولا يهتك ستر ولا يدخل دار إلا باذن أهلها ، وقد امنت الناس ، واستشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات ، ورفع درجاتهم ، وأثابهم ثواب الصابرين ، وجزاكم من اهل مصر ... إلى آخر ما ذكره الشريف الرضي وبعده :

فنعم الاخوان والاعوان على الحق أنتم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتبه عبيد الله بن ابي رافع [1] في رجب سنة ست وثلاثين .

= فعل غلام غــير نكس شار ... دون حسين مهجتي وداري

يعرض بقوله : « وداري » بعمر بن سعد فإنه قال للحسين عليه السلام أخاف على داري تهدم .
و (أما علي) فأنضم إلى عمر بن سعد وقاتل الحسين عليه السلام وأصابته طعنة يومئذ بريء منها .

(١) عبيد الله بن أبي رافع مولى رسولى الله صلى الله عليه وآله كان هو وأخوه علي كاتبين لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهما من الأوائل في التأليف في صدر الإسلام ، فقد ألف عبيد الله كتاب « قضايا أمير المؤمنين » وكتاب « من شهد مع أمير المؤمنين حروبه الثلاثة من الصحابة » وألف علي كتاب « الوضوء والصلاة » .

٣ - ومن كتاب له عليه السّلام

كتبه لشريح بن الحارث قاضيه

روي أَن شريح بن الحارث قاضي امير المُؤْمِنين عليه السلام اشترى على عهده داراً بثمانين ديناراً فبلغه ذلك فاستدعاه وقال له : بَلَغني أَنَّكَ ابْتَعْتَ داراً بِثَمَانِينَ ديناراً وَكَتَبْتَ كِتَاباً وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُوداً ، فَقَالَ شُرَيْحٌ : قَدْ كَانَ ذٰلِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ . قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ :

يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مِنْ لاَ يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ ، وَلاَ يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصاً ، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصاً . فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لاَ تَكُونُ ٱبْتَعْتَ هٰذِهِ ٱلدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ ، أَوْ نَقَدْتَ ٱلثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلاَلِكَ فَإِذَا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ ٱلدُّنْيَا وَدَارَ ٱلْآخِرَةِ . أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا ٱشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَاباً عَلَى هٰذِهِ ٱلنُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي

شِرَاءِ هٰذِهِ ٱلدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ. وَٱلنُّسْخَةُ هٰذِهِ: «هٰذَا مَا ٱشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِـجَ لِلرَّحِيلِ، ٱشْتَرَى مِنْهُ دَاراً مِنْ دَارِ ٱلْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ ٱلْفَانِينَ، وَخِطَّةِ ٱلْهَالِكِينَ، وَتَجْمَعُ هٰذِهِ ٱلدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: ٱلْحَدُّ ٱلْأَوَّلُ يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي ٱلْآفَاتِ، وَٱلْحَدُّ ٱلثَّانِي يَنْتَهِي إِلَىٰ دَوَاعِي ٱلْمُصِيبَاتِ، وَٱلْحَدُّ ٱلثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَىٰ ٱلْهَوَى ٱلْمُرْدِي، وَٱلْحَدُّ ٱلرَّابِـعُ يَنْتَهِي إِلَىٰ ٱلشَّيْطَانِ ٱلْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ ٱلدَّارِ. ٱشْتَرَى هٰذَا ٱلْمُغْتَرُّ بِٱلْأَمَلِ مِنْ هٰذَا ٱلْمُزْعَجِ بِٱلْأَجَلِ هٰذِهِ ٱلدَّارَ بِٱلْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ ٱلْقَنَاعَةِ وَٱلدُّخُولِ فِي ذُلِّ ٱلطَّلَبِ وَٱلضَّرَاعَةِ، فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا ٱلْمُشْتَرِي فِيمَا ٱشْتَرَىٰ مِنْهُ مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ ٱلْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ ٱلْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ ٱلْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَىٰ وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ ٱلْمَالَ عَلَىٰ ٱلْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَبَنَىٰ وَشَيَّدَ، وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ، وَٱدَّخَرَ وَٱعْتَقَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً إِلَىٰ مَوْقِفِ ٱلْعَرْضِ

وَٱلْحِسَابِ ، وَمَوْضِـعِ ٱلثَّوَابِ وَٱلْعِقَابِ . إِذَا وَقَعَ ٱلْأَمْرُ بِفَصْلِ ٱلْقَضَاءِ « وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ » شَهِدَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ ٱلْعَقْلُ إِذَا أُخْرِجَ مِنْ أَسْرِ ٱلْهَوَىٰ وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ ٱلدُّنْيَا » .

قال ابن ابي الحديد : «املى عليه كتاباً زهدياً وعظياً مماثلا لكتب الشروط التي تكتب في ابتياع الأملاك ــ إلى أن قال ــ وهذا يدل على ان الشروط المكتوبة الآن قد كانت في زمن الصحابة تكتب مثلها أو نحوها إلا انا ما سمعنا عن احد منهم انه نقل صيغة الشرط الفقهي إلى معنى آخر كما نظمه هو عليه السلام ، ولا غرو فما زال سباقاً إلى العجائب والغرائب»[1] .

أما قصة دار شريح فرواها الشيخ الصدوق في أماليه ص ١٨٧ باسناده المتصل بالسيد عبد العظيم بن عبد الله الحسني عن ابيه عن ابان مولى زيد بن علي عن عاصم بن بهدلة قال : قال لي شريح القاضي اشتريت داراً بثمانين ديناراً ، وكتبت كتاباً ، واشهدت عدولا ، فبلغ ذلك امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ، فبعث إلي قنبراً مولاه فأتيته ، فلما ان دخلت عليه قال : يا شريح اشتريت داراً ، وكتبت كتاباً ، واشهدت عدولا ووزنت مالا ؟.. وذكر كما في (النهج) مع تفاوت يسير جداً .

وذكرها من المتأخرين عن الشريف الرضي سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص ١٨٥ تحت عنوان خاص عن الشعبي وذكر ما في (النهج) بتفاوت قليل وزاد عليه هذه الكلمات : شهد على ذلك التواني بن الفاقة ،

---

(١) الشرح م ٣ ص ٢٩ .

والغرور بن الأمل ، والحرص بن الرغبة ، واللهو بن اللعب ، ومن اخلد إلى محل الهوى ، ومال إلى الدنيا عن الأخرى .

وذكرها ايضاً القاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ١٣٥ تحت عنوان : (شرط له كرم الله وجهه في شراء دار) بتفاوت في بعض الالفاظ

ورواها الشيخ البهائي في (أربعينه) ص ٧٧ بسنده المتصل بأبان مولى زيد بن علي عليهما السلام وفي آخره شهد بذلك العقل إذا خرج من أسر الهوى ونظر بعين الزوال إلى أهل الدنيا وسمع منادي الزهد ينادي في عرصاتها (ما ابين الحق لذي عينين) إن الرحيل احد اليومين تزودوا من صالح الأعمال وقربوا الآمال بالآجال فتأمل .

٤ ـ ومن كتاب له عليه السّلام

إلى بعض أُمراءِ جيشه

فَإِنْ عَادُوا إِلَىَ ظِلِّ ٱلطَّاعَةِ فَذاكَ ٱلَّذي نُحِبُّ ، وَإِنْ تَوافَتِ ٱلْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَىَ ٱلشِّقَاقِ وَٱلْعِصْيانِ فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَىَ مَنْ عَصاكَ ، وَٱسْتَغْنِ بِمَنْ ٱنْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ[1] عَنْكَ فَإِنَّ ٱلْمُتَكَارِهَ مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ شُهُودِهِ ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ .

الأمير الذي كتب اليه هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة ، وذلك

---

(١) انهد : انهض ، وتقاعس : أبطأ .

حين انتهى اصحاب الجمل اليها ، وعزموا على الحرب فكتب عثمان اليه يخبره بما لهم فكتب عليه السلام اليه كتاباً فيه الفصل المذكور [١] .

وجاء في « تذكرة » سبط ابن الجوزي الحنفي ما هذا نصه :

ومن كتاب كتبه إلى بعض امراء جيشه في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة ، وفارقوا الجماعة ، رواه الشعبي عن ابن عباس : [٢]

سلام عليك ، أما بعد : فان عادت هذه الشرذمة إلى الطاعة فذلك الذي اؤثره ، وإن تمادى بهم العصيان إلى الشقاق فانهد بمن أطاعك إلى من عصاك ، واستعن بمن انقاد معك على من تقاعس عنك فان المتكاره مغيبه خير من حضوره ، وعدمه خير من وجوده ، وقعوده أغنى من نهوضه [٣] .

اليس — رعاك الله — في نص ابن ميثم على الأمير المكتوب اليه هذا الكتاب ، ورواية السبط له بما يختلف مع رواية الرضي في بعض الفقرات والكلمات مع ما تقدم له من التمهيد الذي خلا منه « النهج » دليل على ان الرضي لم يجيء به من عنده ، ولم ينفرد بروايته . هذا وقد ذكر السبط في أول الباب السادس من كتابه هذا إنه لم ينقل من كلام علي عليه السلام الا ما اتصل به اسناده [٤] .

٥ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى الأشعث بن قيس عامل أذربيجان

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ وَلٰكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ

---

(١) شرح نهج البلاغة لميثم البحراني ٤ / ٣٤٩ .

(٢) لاحظ أنه ليس في « النهج » ذكر للشعبي ولا لابن عباس .

(٣) تذكرة الخواص ص ٦٦ .

(٤) أنظر « التذكرة » ص ١٢٩ .

أَمَانَةٌ ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعىً لِمَنْ فَوْقَكَ . لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ وَلاَ تُخَاطِرَ إِلاَّ بِوَثِيقَةٍ ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ ٱللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ ، وَلَعَلِّي أَنْ لاَ أَكُونَ شَرَّ وُلاَتِكَ لَكَ وَٱلسَّلاَمُ .

هذا الكتاب كتبه إلى الأشعث بن قيس بعد انقضاء الجمل[1] ، وقد نقله نصر في كتاب « صفين » ص ٢٠ واوله : (اما بعد فلولا هنات كن فيك كنت المقدَّمَ في هذا الأمر قبل الناس ، ولعل امرك يحمل بعضه بعضاً إن اتقيت الله ، ثم انه كان من بيعة الناس اياي ما قد بلغك ، وكان طلحة والزبير ممن بايعاني ، ثم نقضا بيعتي على غير حدث ، واخرجا أم المؤمنين ، وسارا إلى البصرة ، فسرت اليهما فالتقينا ، فدعوتهم إلى ان يرجعوا فيما خرجوا منه فأبوا ، فأبلغت في الدعاء واحسنت في البقية ، وان عملك ليس لك بطعمة ... إلى آخر ما في « النهج » .

وفي نهاية هذا الكتاب : وكتب عبيد الله بن ابي رافع في شعبان سنة ست وثلاثين ، وقد أرسله مع زياد بن مرحب الهمداني[2] .

ونقله ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ٣ ــ ١٠٤ وفيما ذكره زيادات على ما ذكر نصر .

ونقل ذلك ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » ج ٢ ص ٩١ بأخصر مما نقله نصر وابن عبد ربه . فتأمل .

---

(١) كان الأشعث عاملا لعثمان على أذربيجان ، وقد كان عمرو بن عثمان تزوج إبنة الأشعث قبل ذلك ، وبقي على عمله ، فلما ظهر أمير المؤمنين عليه السلام على أصحاب الجمل كتب إليه بالكتاب المذكور .

(٢) أنظر شرح النهج لابن ميثم ، ج ٤ ص ٣٥٠ و ٣٥١ .

٦ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلاَ لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ وَإِنَّمَا ٱلشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذٰلِكَ لِلّٰهِ رِضىً ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى ٱتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَوَلاَّهُ ٱللّٰهُ مَا تَوَلَّى .

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ ٱلنَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلاَّ أَنْ تَتَجَنَّى .فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ وَٱلسَّلاَمُ .

هذا الفصل من كتاب كتبه عليه السلام إلى معاوية مع جرير بن عبدالله البجلي حين نزعه من همدان . وصدره : «أما بعد ، فان بيعتي بالمدينة لزمتك وانت بالشام ، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا ابا بكر وعمر وعثمان » — إلى قوله

عليه السلام — : « وولاه ما تولى . » ويتصل به :«ويصليه جهنم وساءت مصيراً ، وان طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي ، وكان نقضهما كردتهما ، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحقّ وظهر امر الله وهم كارهون ، فادخل فيما دخل فيه المسلمون فان احب الامور إليّ قبولك العافية . إلا ان تتعرض للبلاء فان تعرضت له قاتلتك ، واستعنت عليك بالله وقد اكثرت في قتلة عثمان فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليّ احملكم على كتاب الله ، فاما تلك التي تريدها فخدعة الصبي عن اللبن » .

ثم يتصل به قوله عليه السلام : « ولعمري — يا معاوية — لأن نظرت»إلى آخر ما ذكر الرضي وبعده :

«واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ، ولا تعقد معهم الامامة ، ولا تعرض فيهم الشورى ، وقد ارسلت اليك والى من قبلك جرير بن عبد الله وهو من اهل الايمان والهجرة فبايع ولا قوة إلا بالله » .

ولما بلغ جرير الشام أوصل الكتاب إلى معاوية ، ودعا الناس إلى بيعة علي عليه السلام وحذرهم الفتنة ، وخوفهم العاقبة فقال معاوية : انظر وننظر واستطلع رأي اهل الشام .

ومضت ايام وطاول جريراً بالجواب ، فاستحثه بالبيعة ، فقال معاوية : يا جرير انها ليست بخلسة ، وانه امر له ما بعده ، فابلعني ريقي .

ثم نادى معاوية بالصلاة جامعة فاجتمع اليه اهل الشام فخطبهم ، وأثنى عليهم لطاعتهم ومناصحتهم ، وكيف جعلهم الله اهل الارض المقدسة ، ومحل الانبياء والاولياء لما علم ايمانهم . وقال في كلامه : انه خليفة عمر عليهم وابن عم عثمان ، ووليه ، ودعاهم إلى الطلب بدمه ، فأجابوه إلى

ذلك ، وبايعوه عليه ، واوثقوا له ان يبذلوا اموالهم وانفسهم حتى يدركوا بثأره أو تلحق ارواحهم بالله .

واحب الزيادة في الاستظهار فدعا اهل ثقته فاستشارهم ، فأشار عليه اخوه عتبة بعمرو بن العاص وهو يومئذ مقيم بفلسطين ، فكتب اليه معاوية يعلمه بقدوم جرير في بيعة علي ، وانه حبس الأمر عليه ، وطلب منه ان يقدم للمذاكرة فاستشار عمرو ولديه عبد الله ومحمداً بالأمر ، فنهاه عبد الله وحبّذ له محمد .

فقال عمرو : اما انت يا عبد الله فأمرتني بما هو خير لي في ديني ، واما انت يا محمد فامرتني بما هو خير لي في دنياي ، وانا ناظر ، فبات ليلته ساهراً مفكراً في الأمر فلما اصبح دعا غلامه وردان وكان داهياً ، وقال ارحل يا وردان ، ثم قال : احطط يا وردان ثم قال : ارحل يا وردان احطط يا وردان ، وجعل يردد هذا القول ، فقال وردان : خلطت يا أبا عبد الله ، اما إن شئت انبأتك بما في قلبك . قال : هات ويحك قال : اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت علي معه الآخرة في غير دنيا ، وفي الآخرة عوض من الدنيا ، ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، وانت واقف بينهما . قال : قاتلك الله ما أخطأت ما في قلبي فما ترى يا وردان ؟ قال : أرى ان تقيم في بيتك ، فان ظهر اهل الدين عشت في عفو دينهم وإن ظهر اهل الدنيا لم يستغنوا عنك ، قال : الآن : الآن : لما شهرت العرب سيرى إلى معاوية . فارتحل فسار حتى قدم على معاوية ، وعرف حاجة معاوية اليه وكايد كل واحد منهما صاحبه ، فقال له معاوية : يا ابا عبد الله إني ادعوك إلى جهاد هذا الرجل . الذي عصى الله ، وشق عصا المسلمين ، وقتل الخليفة ، واظهر الفتنة ، وفرق الجماعة ،

وقطع الرحم ، فقال عمرو من هو ، قال علي قال : — والله يا معاوية ما انت وعلي حملي بعير ، وليس لك هجرته ولا سابقته ، ولا صحبته ولا جهاده ، ولا فقهه ولا علمه ، وان له مع ذلك لحظاً في الحرب ليس لأحد غيره ، ولكني قد تعودت من الله تعالى احساناً وبلاء جميلا ، فما تجعل لي ان شايعتك على حربه وانك لتعلم ما فيه من الغرر والخطر ؟ قال : حكمك ، فقال : مصر طعمة [1] ، فتلكأ عليه معاوية وقال : يا ابا عبد الله إني اكره ان تتحدث العرب عنك انما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا ، فقال عمرو : دعني عنك ما مثلي يخدع لانا اكيس من ذلك ، قال معاوية : ادن مني اسارك فدنا منه عمرو ليساره فعض معاوية اذنه وقال : هذه خدعة [2] .

واستشار معاوية اخاه عتبة بالامر فقال : اما ترضى ان تشتري عمراً بمصر إن هي صفت لك ؟ ليتك لا تغلب على الشام فقال : يا عتبة بت عندنا الليلة ، فلما اصبح ارسل إلى عمرو ، واجابه إلى ما طلب ، وكتب له كتاباً على ان لا ينقض شرط طاعة ، فكتب عمرو على ان لا تنقض طاعة شرطاً ، فكايد احدهما الآخر .

وإلى ذلك اشار امير المؤمنين عليه السلام في الخطبة (٢٦) : ولم يبايع حتى شرط ان يؤتيه على البيعة ثمناً ... الخ [3] .

---

(١) قال أبو عثمان الجاحظ : كانت مصر في نفس عمرو بن العاص لأنه هو الذي فتحها سنة تسع عشرة من الهجرة في خلافة عمر فكان لعظمها في نفسه وجلالتها في صدره وما قد عرفه من أموالها ، وسعة الدنيا فيها فلا يستعظم أن يجعلها ثمناً من دينه .

(٢) قال ابن أبي الحديد : قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى قول عمرو له : دعنا عنك كناية عن الالحاد ، بل تصريح به : أي دع هذا الكلام لا أصل له ، فإن اعتقاد الآخرة وأنها لا تباع بعرض الدنيا من الخرافات ، قال رحمه الله تعالى : وما زال عمرو بن العاص ملحداً ، ما تردد قط في الإلحاد والزندقة ، وكان معاوية مثله ، ويكفي من تلاعبهما بالإسلام حديث السرار المروي ؛ وإن معاوية عض أذن عمرو ، أين هذا من أخلاق علي عليه السلام وشدته في ذات الله وهما مع ذلك يعيبانه بالدعابة أ هـ . « الشرح : م ١ / ١٣٧ » .

(٣) نهج البلاغة ١ / ٦٢ .

واستقدم معاوية شرحبيل بن السمط رئيس اليمنية وشيخها ، والمقدم عليها ، ودس اليه رجالا يغرونه بعلي ويشهدون عنده انه قتل عثمان حتى ملأوا صدره حقداً وترة وإحنا على علي عليه السلام وجاء شرحبيل إلى حصين بن نمير وقال ابعث إلى جرير فليأتنا ، فبعث اليه ان زرنا فعندنا شرحبيل فاجتمعا عند حصين ، فقال شرحبيل أتيتنا بأمر ملفف لتلقينا في لهوات الاسد ، وأردت ان تخلط الشام بالعراق ، واطريت علياً وهو قاتل عثمان ، والله سائلك عما قلت يوم القيامة .

فقال جرير : اما قولك : اني جئت بأمر ملفف ، فكيف يكون ملففاً وقد اجتمع عليه المهاجرون والانصار ، وقوتل على رده طلحة والزبير ؟ واما قولك اني القيك في لهوات الاسد ففي لهواتها القيت نفسك واما خلط اهل الشام بأهل العراق فخلطهما على حق ، خير من فرقتهما على باطل ، واما قولك : إن علياً قتل عثمان ، فوالله ما في نفسك وبدنك من ذلك إلا القذف بالغيب من مكان بعيد ، ولكنك ملت إلى الدنيا وشيء كان في نفسك على زمان سعد بن ابي وقاص .

فبلغ ما قالا إلى معاوية فبعث إلى جرير فزجره .

والقي إلى شرحبيل كتاب غفل لا يدرى كاتبه وفيه :

شرحبيل يا بن السمط لا تتبع الهوى ... فما لك في الدنيا من الدين من بدل
ولا تك كالمجرى إلى شر غاية ... فقدخرق السربال واستنوق الجمل[1]

---

(١) مثل يضرب للرجل : يكون في حديث ثم يخلطه بغيره وينتقل ، وأول من قاله طرفة ابن العبد سمع المسيب بن علس ينشد عند عمرو بن هند ملك الحيرة شعراً في وصف جمل حتى بلغ هذا البيت :

وقد أتلاقى الهم عند احتضاره ... بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة وهو غلام يومئذ : (إستنوق الجمل) فضحك الحاضرون وذلك لأن الصيعرية=

وقل لابن حرب ما لك اليوم خلّة | تروم بها ما رمت واقطع له الامل
وأورد ولا تفرط بشيء تخافه | عليك ولا تعجل فلا خير في العجل
وما من عليٍ في ابن عفان سقطة | بقول ولا مَالأ عليه ولا قتل
وما كان إلا لازماً قعر بيتــه | إلى أن أتى عثمان في داره الاجل
وصي رسول الله من دون اهله | ومن باسمه في فضله يضرب المثل
فمن قال قولاً غير هذا فحسبه | من الزور والبهتان بعض الذي احتمل

فلما قرأ شرحبيل الكتاب ذعر وفكر ، وقال : هذه نصيحة لي في ديني ، ولا والله لا أعجل في هذا الامر بشيء ، وكاد يحول عن نصر معاوية ويتوقف ، فلفق معاوية له الرجال يدخلون عليه ويخرجون ، وهم يعظّمون عنده قتل عثمان ، ويرمون علياً به ، ويقيمون الشهادة الباطلة والكتب المختلقة حتى أعادوا رأيه ، وشحذوا عزمه . فقام ودخل على معاوية وقال : انت عامل امير المؤمنين (عثمان) وابن عمه ، ونحن المؤمنون ، فان كنت تجاهد علياً وقتلة عثمان حتى نأخذ ثأرنا او تذهب ارواحنا استعملناك علينا والا عزلناك واستعملنا غيرك ممن نريد ثم جاهدنا معه حتى ندرك بدم عثمان او نهلك .

فقال جرير ــ وكان حاضراً ــ : مهلا يا شرحبيل فان الله قد حقن الدماء ، ولمّ الشعث ، وجمع امر الامة ، ودنا من هذه الامة سكون فاياك ان تفسد بين الناس وامسك عن هذا القول قبل ان يشيع ، ويظهر عنك قول لا تستطيع رده ، فقال : والله لا اسره ابداً ، ثم قام فتكلم به . فقال الناس : صدق ،

= سمة للناقة فنقلها للفحل .

فغضب المسيب وقال : ليقتلنه لسانه فكان كما تفرس المسيب فقد قتله عمرو بن هند وهو ابن ست وعشرين سنة والقصة مشهورة في كتب الأدب .

القول ما قال والرأي ما رأى ، فأيس جرير عند ذلك من معاوية ومن عوام اهل الشام .

وأبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس ، قيل مكث ثلاثة اشهر وقيل اربعة ، واشار على علي عليه السلام اصحابه للاستعداد للحرب فقال عليه السلام : ان استعدادي لحرب اهل الشام وجرير عندهم اغلاق للشام ، وصرف لاهله عن خير ارادوه . إلى آخر الكلام الذي ذكره الرضي تحت رقم (٤٣) خطب [١] .

ولما أبطأ جرير على امير المؤمنين كتب اليه : اما بعد ، فاذا اتاك كتابي فاحمل معاوية على الفصل .. إلى آخر الكتاب وقد ذكره الرضي في هذا الباب وسيأتي الكلام عليه برقم ٨ ان شاء الله تعالى[٢] .

فلما انتهى الكتاب إلى جرير أتى معاوية فاقرأه الكتاب ، قال : يا جرير الحق بصاحبك وكتب اليه بالحرب كما سنشير إلى ذلك عند الكلام على مصادر الرسالة الآتية .

اجملت قصة بعث جرير من مطولات السير امثال « صفين » لنصر بن مزاحم و « الامامة والسياسة » لابن قتيبة ، وليس فيما ذكرته خروج عن الصدد وإنما الغاية بيان ارتباط مواد « نهج البلاغة » بعضها ببعض .

اما من ذكر كتاب امير المؤمنين عليه السلام مع جرير إلى معاوية قبل الشريف الرضي فهم :

١ — نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٢٩ .

٢ — ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » ج ١ — ٩٣ .

---

(١) نهج البلاغة ١ / ٨٩ وانظر ج ١ ص ٤٤٥ من هذا الكتاب .

(٢) انظر ص ٢١٤ من هذا الجزء .

٣ — ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ج٤ — ٣٢٢ .

هذا وقد اشار الطبري إلى الكتاب والقصة في التاريخ ٥ — ٢٣٥ ط ليدن ، واحتج شيوخ المعتزلة ومتكلموهم بهذا الكتاب على صحة الاختيار وكونه طريقاً للامامة (١) كما رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » برواية الكلبي في ترجمة معاوية (٢) .

٧ - ومن كتاب له عليه السّلام

إليه أيضاً

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلاَلِكَ ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ ، وكِتَابُ ٱمْرِىءٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ وَلاَ قَائِدٌ يرْشِدُه ، قَدْ دَعَاهُ ٱلْهَوَى فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ ٱلضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لاَغِطاً وَضَلَّ خَابِطاً .

(مِنْهُ) لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّى فِيهَا ٱلنَّظَرُ وَلاَ يُسْتَأْنَفُ فِيهَا ٱلْخِيَارُ . ٱلْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَٱلْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ .

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٣ / ٣٠٢ .

(٢) اطلعت على أجزاء مصورة من (تاريخ دمشق) على نسخة المكتبة الظاهرية في مكتبة الإمام الحكيم العامة في النجف الأشرف مضافاً إلى ما أفادني به أخي العلامة الباحث الشيخ محمد باقر المحمودي صاحب كتاب « نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة » .

ما ورد هنا من كتاب نقله قبل الرضي أعثم الكوفي في (الفتوح) ج٢ ص ٤٣١ والمبرد في (الكامل) ج١ ص ١٩٣ ونصر بن مزاحم في كتاب (صفين) : ص ٦٤ بصور تختلف اختلافاً قليلا وهذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جواباً عن كتاب معاوية في اثناء حرب صفين بل في اواخراها[١].

وكان كتاب معاوية :

من عبد الله معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب .

اما بعد : فان الله تعالى يقول في محكم كتابه : (ولقد اوحي اليك وإلى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)[٢] اني احذرك الله ان تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الامة وتفريق جماعتها ، فاتق الله واذكر موقف القيامة ، واقلع عما اسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين ، واني سمعت رسول الله يقول : (لو تمالأ اهل صنعاء وعدن على قتل رجل واحد من المسلمين لاكبهم الله على مناخرهم في النار) فكيف يكون حال من قتل اعلام المسلمين وسادات المهاجرين بله [٣] ما طحنت رحى حربه من اهل القرآن ، وذوي العبادة والايمان ، من شيخ كبير ، وشاب غرير ، كلّهم بالله تعالى مؤمن ، وله مخلص ، وبرسوله مقر عارف ، فان كنت ابا حسن انما تحارب على الامرة والخلافة فلعمري لو صحت خلافتك لكنت قريباً من ان تعذر في حرب المسلمين ، ولكنها ما صحت لك ، أنّى بصحتها واهل الشام لم يدخلوا فيها؟ فقد والله اكلتهم الحرب فلم يبق منهم الا كالثمد في قرارة الغدير [٤] والله المستعان .

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٣ / ٣٠٢ .
(٢) الزمر : ٦٥ .
(٣) بله اسم فعل بمعنى دع واترك .
(٤) الثمد : الماء القليل يتجمع في الشتاء وينضب في الصيف

فكتب علي عليه السلام اليه جواباً عن كتابه :

من عبد الله امير المؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان .

اما بعد : اتتني منك موعظة موصلة [1] ، ورسالة محبّرة ، نمقتها بضلالك ، وامضيتها بسوء رأيك وكتاب امرىء ليس له بصر يهديه ، ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فاجابه ، وقاده الضلال فاتبعه ، فهجر لاغطاً ، وضل خابطاً [2] .

فأما امرك لي بالتقوى فأرجو ان اكون من اهلها ، واستعيذ بالله من ان اكون من الذين إذا امروا بها اخذتهم (العزة بالاثم) .

واما تحذيرك اياي ان يحبط عملي ، وسابقتي في الاسلام ، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك ان تحذرني ذلك ، ولكني وجدت الله تعالى يقول (فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى امر الله) [3] فانظر إلى الفئتين ، اما الفئة الباغية فوجدنا الفئة التي انت فيها ، لان بيعتي في المدينة لزمتك وانت بالشام كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وانت امير لعمر على الشام وكما لزمت يزيد اخاك بيعة عمر وهو امير لابي بكر على الشام .

واما شق عصا هذه الامة فانا احق ان انهاك عنه ، فاما تخويفك لي من قتل اهل البغي ، فان رسول الله امرني بقتالهم وقتلهم ، وقال لاصحابه « ان

---

(١) موصلة : مجموعة الألفاظ من ها هنا وهاهنا ، وذلك عيب في الكتابة والخطابة ، وهو الظاهر على رسالة معاوية كما ترى :

(٢) هجر : هذى ، واللاغط : ذو اللغط وهو الصوت والجلبة ، والخبط هنا المشي على غير هدى .

(٣) الحجرات : ٩ .

فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله(٢ » واشار إلى وانا اول من اتبع امره [١] .

واما قولك : ان بيعتي لم تصح لان اهل الشام لم يدخلوا فيها ! كيف وانما هي بيعة واحدة ، تلزم الحاضر والغائب ، لا يثني فيها النظر [٢] ولا يستأنف فيها الخيار ، الخارج منها طاعن ، والمروي فيها مداهن [٣] ، فاربع على ظلعك [٤] وانزع سربال غيك ، واترك ما لا جدوى له عليك ؛ فليس لك عندي الا السيف حتى تفيىء إلى امر الله صاغراً وتدخل في البيعة راغماً ،

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « يا علي ستقاتلك الفئة الباغية ، وأنت على الحق ، فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني » شرح المواهب للزرقاني : ٣ / ٣١٧ ، وتراترت اخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « تقتل عمار الفئة الباغية »وهذا من أخباره بالغيب ، وأعلام نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وهو من أصح الأحاديث . قاله ابن عبدالبر في « الإستيعاب» : ج ٢ / ٤٧٤ في ترجمة عمار بن ياسر رضي الله عنه .

وإلى ذلك أشار عمار بن ياسر برجزه يوم صفين كما رواه ابن عبد البر في ترجمته :

نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله
ضرباً يزيل الهام من مقيله ويذهل الخليل عن خليله
أو رجع الحق إلى سبيله

والحديث المذكور في المتن رواه إبن كثير في تاريخه : ٧ / ٣٠٥ من طريق الإمام أحمد . وكون علي عليه السلام مأموراً بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين متواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبحسبك أن ترجع إلى « البداية والنهاية » ج ٧ ص ٣٠ وما بعدها لترى هناك ما رواه ابن كثير من ذلك عن أحمد وأبي يعلى ، وابن عدي ، والخطيب البغدادي، وابن عساكر ، والحاكم ، أن علياً عليه السلام قال : أمرني رسول الله (ص) بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين ، وما روى في ذلك عن أم سلمة وأبي سعيد الخدري ، وأبي أيوب الأنصاري ، وعتاب بن ثعلبة وغيرهم .

(٢) لا يثنى فيها النظر : أي لا يعاود ولا يراجع فيها ثانية .

(٣) المروي فيها : الذي يبطيء ويفكر أصله من الروية ، والمداهن : المنافق .

(٤) أربع على ظلعك : أي انك ضعيف . فأرفق بنفسك ولا تحمل عليها أكثر مما تطيق أي اسكت على ما فيك من العيب وأبصر نفسك وعجزك وظلع كمنع ، غمز في مشيه ، وربع كمنع أيضاً وقف وانتظر وتحبس .

والسلام [1] .

٨ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى ٱلْفَصْلِ ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ ٱلْجَزْمِ ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فَإِنِ ٱخْتَارَ ٱلْحَرْبَ فَٱنْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنِ ٱخْتَارَ ٱلسِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَٱلسَّلَامُ .

كان جرير قد ارسله علي عليه السلام إلى معاوية ــ كما قدمنا ــ فأبطأ جرير عند معاوية حتى اتهمه الناس ، فكتب اليه امير المؤمنين عليه السلام بهذا الكتاب [2] ، وقد رواه قبل الشريف نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ٥٥ ، وابن عبد ربه في « العقد الفريد » ٢ ــ ٢٣٢ ط : الازهرية .

٩ ــ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَٱجْتِيَاحَ أَصْلِنَا ، وَهَمُّوا

---

(١) شرح النهج للحديدي : ٣ / ٣٠٢ .

(٢) أنظر ص ٢٠٩ من هذا الجزء .

بِنَا ٱلْهُمُومَ وَفَعَلُوا بِنَا ٱلْأَفَاعِيلَ ، وَمَنَعُونَا ٱلْعَذْبَ ، وَأَحْلَسُونَا ٱلْخَوْفَ ، وَٱضْطَرُّونَا إِلى جَبَلٍ وَعْرٍ ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَعَزَمَ ٱللَّهُ لَنَا عَلَى ٱلذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ ، وَٱلرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ . مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذٰلِكَ ٱلْأَجْرَ ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ ٱلْأَصْلِ . وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ ، فَهُوَ مِنَ ٱلْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ .

وَكَانَ رَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا ٱحْمَرَّ ٱلْبَأْسُ وَأَحْجَمَ ٱلنَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ ٱلسُّيُوفِ وَٱلْأَسِنَّةِ . فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ ٱلْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ ، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ . وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ ٱسْمَهُ مِثْلَ ٱلَّذِي أَرَادُوا مِنَ ٱلشَّهَادَةِ ، وَلٰكِنْ آجَالُهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتُهُ أُجِّلَتْ . فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي ، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي ٱلَّتِي لاَ يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلاَّ أَنْ

يَدَّعِي مُدَّعٍ مَا لاَ أَعْرِفُهُ ، وَلاَ أَظُنُّ ٱللّٰهَ يَعْرِفُهُ وَٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ .

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلاَ إِلَىٰ غَيْرِكَ ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ ، لاَ يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلاَ بَحْرٍ وَلاَ جَبَلٍ وَلاَ سَهْلٍ ، إِلاَّ أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ ، وَزَوْرٌ لاَ يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ وَٱلسَّلاَمُ لِأَهْلِهِ .

كان ابو مسلم الخولاني [1] قد قدم على معاوية في اناس من قراء اهل الشام — قبل مسير امير المؤمنين عليه السلام إلى صفين — فاحتجوا عليه لعزمه على قتال علي وليس له مثل صحبته ، ولا هجرته ، ولا قرابته ولا سابقته ، فادعى عليهم انما يفعل ذلك لان علياً قد آوى قتلة عثمان ، ولو دفعهم اليه

---

(١) هو عبد الله بن توب : أدرك الجاهلية ، ولم ير النبي صلى الله عليه وآله وسلم فهو معدود من تابعي أهل الشام ، تنسب له كرامات يكذبها واقعه الذي عاش فيه من مناصرته لمعاوية وحربه لأمير المؤمنين مثل : أنه القى في النار فكانت عليه برداً وسلاماً (مثل ابراهيم الخليل تماماً) ! ومثل : أنه جاء إلى دجلة وهي ترمى بالخشب لطغيان مائها ، فخاضها بدابته وتبعه أصحابه (كما فعل موسى الكليم !) ومثل : أن صبياً نظر إلى ظبي تعدو في الفلاة فعلم أبو مسلم أنه يريدها فدعى الله وحبسها .. إلى آخر ما ذكره ابن عساكر في تاريخه ، وأبو نعيم في حليته : ٢ / ١٢٢ عندما تعرضا لذكر أحواله ، ولو أن أحداً نسب دون هذه الكرامات لأحد الأئمة من أهل البيت الذين هم أعــدال القرآن لنسب إلى الغلو ورمي بالكفر ، ووسم بالالحاد ، توفي أبو مسلم في أيام يزيد بن معاوية .

ليقتص منهم — وهو وليه — لما قاتله ، فطلبوا منه ان يكتب اليه بذلك ، فكتب معاوية إلى علي عليه السلام بذلك ، وارسل الكتاب مع ابي مسلم الخولاني ، فقدم بالكتاب على امير المؤمنين عليه السلام ، ثم قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

اما بعد فانك قد قمت بأمر وتوليته ، والله ما احب انه لغيرك ان اعطيت الحق من نفسك ، ان عثمان قتل مسلماً محرماً [1] مظلوماً ، فادفع الينـا قتلته ، وانت اميرنا ، فان خالفك احد من الناس كانت ايدينا لك ناصرة ، والسنتنا لك شاهدة ، وكنت ذا عذر وحجة .

فقال له علي عليه السلام : اغد علي غداً فخذ جواب كتابك ، ثم رجع من الغد ليأخذ جواب كتابه ، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه فملأوا المسجد واخذوا ينادون : كلنا قتل ابن عفان ، واذن لابي مسلم فدخل على امير المؤمنين فدفع اليه جواب كتاب معاوية ، فرجع ابو مسلم بالجواب من امير المؤمنين وهو يقول : الآن طاب الضراب ، في قصة مشهورة رواها المؤرخون تجدها مفصلة في « صفين » لابن مزاحم : ص ٨٥ وما بعدها كما تجد الكتاب والجواب هناك ، وما ذكره الشريف هنا هو آخر الكتاب ، وقد رواه مختصراً ابن عبد ربه في العقد الفريد : ج ٤ ص ٣٣٥ . كما رواه البلاذري في ترجمة علي عليه السلام من « انساب الاشراف » ص ٢٨٢ ط الأعلمي واستشهد في قطعة منه شيخنا المفيد رحمه الله كما في (الفصول المختارة) من (العيون والمحاسن) : ٢ — ٧٦ ، ونقله الخطيب الخوارزمي في (المناقب) : ١٧٦ ويشتمل ما رووه على جميع ما اختاره الرضي في هذا الموضع ، وسيأتي كلام عليه في الكتاب (٢٢) ان شاء الله تعالى .

---

(١) محرماً : أي له حرمة وذمة قال الراعي :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مقتولا

١٠ – ومن كتاب له عليه السلام

إليـه أيضاً

وَكَيفَ أَنْتَ صَانِعٌ إذا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلاَبِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا ، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا ، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا . وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لاَ يُنْجِيكَ مِنْهُ مُنْجٍ . فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا ٱلأَمْرِ ، وَخُذْ أُهْبَةَ ٱلْحِسَابِ ، وَشَمِّرْ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلاَ تُمَكِّنِ ٱلْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ ٱلشَّيْطَانَ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى ٱلرُّوحِ وَٱلدَّمِ .

وَمَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ سَاسَةَ ٱلرَّعِيَّةِ ، وَوُلاَةَ أَمْرِ ٱلأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلاَ شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ ٱلشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِياً فِي

غِرَّةِ ٱلْأُمْنِيَّةِ مُخْتَلِفَ ٱلْعَلاَنِيَةِ وَٱلسَّرِيرَةِ .

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى ٱلْحَرْبِ فَدَعِ ٱلنَّاسَ جَانِباً وَٱخْرُجْ إِلَيَّ وَأَعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَٱلْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ . فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخاً يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ ٱلسَّيْفُ مَعِي ، وَبِذَلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ، مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِيناً ، وَلاَ ٱسْتَحْدَثْتُ نَبِيّاً . وَإِنِّي لَعَلَى ٱلْمِنْهَاجِ ٱلَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ .

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِراً بِعُثْمَانَ وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَٱطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِباً ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ ٱلْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ ٱلْجِمَالِ بِٱلْأَثْقَالِ وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي - جَزَعاً مِنَ ٱلضَّرْبِ ٱلْمُتَتَابِعِ وَٱلْقَضَاءِ ٱلْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ - إِلَى كِتَابِ ٱللهِ ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ .

اوّل هذا الكتاب : من عبد الله علي امير المؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان ، سلام على من اتبع الهدى ، فاني احمد اليك الله الذي لا إله إلا هو .

اما بعد ، فانك رأيت الدنيا وتصرفها بأهلها فيما مضى منها ، وخير ما بقي من الدنيا ما اصاب العباد الصادقون فيما مضى منها ، ومن يقس الدنيا بشأن الآخرة يجد بينهما بوناً بعيداً .

واعلم يا معاوية بأنك قد ادعيت امراً لست من اهله ، لا في القدم ، ولا في البقية ، ولا في الولاية ، ولست تقول فيه بأمر بين يعرف لك فيه اثر ، ولا لك عليه شاهد من كتاب الله ، ولا عهد تدعيه من رسول الله ﷺ فكيف انت صانع ... إلى آخر ما رواه الشريف رحمه الله .

روى ذلك ــ قبل الرضي ــ نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ورواه بعد الرضي ابن عساكر في (تاريخ دمشق) في ترجمة معاوية عن الكلبي ، كما رواه ابن ميثم في (شرح نهج البلاغة) : ٤ ــ ٣٧١ ، ونقله ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) : م ٣ ــ ٤١٠ عن كتاب « صفين » .

ويذهب ابن ابي الحديد إلى ان الرضي قد ضمّ إلى هذا الكتاب بعض كلام امير المؤمنين عليه السلام من موضع آخر لان غرضه التقاط البليغ والفصيح من كلامه [1] وحجته في ذلك خلو رواية نصر بن مزاحم من بعض فقرات هذا الكتاب ، ولو كان الامر كما ذكر لنبه عليه الرضي فقد عرفت احتياطه في النقل ، وتثبته في الرواية [2] هذا من جهة ومن جهة اخرى ان الاختصار والنقل بالمعنى معروف عند القدامى من المؤلفين ، وبحسبي ان اذكر لك شاهداً واحداً وهو :

---

(١) الشرح : م ٣ / ٤١٣ .

(٢) لاحظ الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٤٤ .

ان ابن بطوطة ذكر في رحلته « تحفة النظار في عجائب الامصار » : ج ١ ص ١٠٩ فما بعدها مروره بالنجف الاشرف ، وزيارته لحرم امير المؤمنين عليه السلام فيقول — بعد ان وصف النجف واسواقها المتعددة يومئذ ، ومدارسها وزواياها — : (ومن تلك المدرسة — يعني الصحن الشريف — يدخل إلى القبة وعلى بابها الحجاب والنقباء والطواشية — يعني الخدم — فعندما يصل الزائر يقوم اليه احدهم او جميعهم — وذلك على قدر الزائر — فيقفون معه على العتبة ، ويستأذنون له ويقولون : عن امركم — يا امير المؤمنين — هذا العبد الضعيف يستأذن على دخوله للروضة العلية . فان اذنتم له والا رجع ، وان لم يكن اهلا لذلك فانتم اهل المكارم والستر . اه .

فارجع إلى كتب الزيارات المؤلفة قبل ابن بطوطة وبعده ، او اقرأ اللوحة المنصوبة على الباب الثاني من الروضة المباركة لتراه كيف اختصر تلك الزيارة ؟ وكيف رواها بالمعاني دون الالفاظ ، بل انه سمجها فرواها ناقصة مفككة ولم تستوف كل المعاني مع ما اضافه من زيادات لا توجد بالاصل مثل : (الروضة العلية) و (فان اذنتم والارجع) و (انتم اهل المكارم والستر) .

وانا اذكر لك اصل الزيارة لتقارن بينه وبين المذكور في الرحلة :

(اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ، واشهد ان محمداً عبده ورسوله ، جاء بالحق من عنده وصدق المرسلين ، السلام عليك يا رسول الله ، السلام عليك يا حبيب الله وخيرته من خلقه ، السلام على امير المؤمنين عبد الله واخي رسول الله ، يا مولاي يا امير المؤمنين عبدك وابن عبدك وابن امتك جاءك مستجيراً بذمتك ، قاصداً إلى حرمك ، متوجهاً إلى مقامك ، متوسلا إلى الله تعالى بك ، ءادخل يا الله ؟ ءادخل يا رسول الله ؟ ءادخل يا

المؤمنين ءادخل يا حجة الله؟ءادخل يا امين الله؟ءادخل ياملائكة الله المقيمين في هذا المشهد الشريف ؟ يا مولاي يا امير المؤمنين اتأذن لي بالدخول افضل ما اذنت لاحد من اوليائك ؟ فان لم اكن له اهلا فأنت اهل لذلك .

والزيارة هذه مروية في كتب العلماء قبل ابن بطوطة المتوفى عام (٧٧٩) كالمفيد المتوفى (٤١٣) وابن طاووس (٦٦٤) [١]

وهب ان الرضي ضم إلى هذا الكتاب فقرات من غيره فانه لم يجيء بها من عنده ، لان ابن ابي الحديد رواها [٢] عن كتاب ابي العباس الصيمري

١١ ـ ومن وصية له عليه السلام

وصىّ بها جيشاً بعثه إلى ٱلْعَدو

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ ٱلْأَشْرَافِ أَوْ سِفَاحِ ٱلْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ ٱلْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءاً وَدُونَكُمْ مَرَدّاً . وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ ٱثْنَيْنِ . وَٱجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي

---

(١) أنظر « مفاتيح الجنان المعرب » ص ٣٣٩ .

(٢) الشرح : م ٣ / ٤١٠ . وأنظر الجزء الأول من كتابنا هذا ص ٦٩ .

صَيَاصِي ٱلْجِبَالِ[1] وَمَنَاكِبِ ٱلْهِضَابِ لِئَلاَّ يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ ٱلْقَوْمِ عُيُونُهُمْ ، وَعُيُونُ ٱلْمُقَدِّمَةِ طَلاَئِعُهُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَٱلتَّفَرُّقَ ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا ٱرْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمْ ٱللَّيْلُ فَاجْعَلُوا ٱلرِّمَاحَ كِفَّةً ، وَلاَ تَذُوقُوا ٱلنَّوْمَ إِلاَّ غِرَاراً أَوْ مَضْمَضَةً .

المذكور هنا ملتقط من كتاب له عليه السلام كتبه إلى زياد بن النضر الحارثي وشريح بن هاني [2]ـ وكانا على مذحج والاشعريين ـ حين سرحهما على مقدمته إلى الشام من النخيلة في اثني عشر الفاً ، وامرهما ان يأخذا في طريق واحد ولا يختلفا فاختلفا فكتب كل واحد منهما إلى امير المؤمنين عليه السلام يشكو صاحبه ، فكتب عليه السلام اليهما :

بسم الله الرحمن الرحيم ،

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى زياد بن النضر وشريح بن هاني :

سلام عليكما ، فاني احمد اليكما الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد : فاني قد وليت مقدمتي زياد بن النضر وامرته عليها ، وشريح على طائفة منها امير ، فان انتما جمعكما بأس فزياد بن النضر على الناس ،

---

(١) صياصي الجبال : اعاليها ، ومناكب الهضاب : ارفعها .

(٢) زياد بن النضر (بالضاد المعجمة وقيل بالمهملة) كان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وكان يوم صفين على مذحج والأشعريين من اليمانيين . وشريح بن هاني يكنى أبا المقدام ولأبيه صحبة وقد دعا له رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكنى أباه به كان من أعيان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشهد معه حروبه كما شهد التحكيم بدومة الجندل عمر طويلا وسار إلى سجستان غازياً فاستشهد بها سنة ٧٨ وله من العمر ١٢٠ سنة .

وان افترقتما فكل واحد امير الطائفة التي وليناه امرها . فاذا انتما خرجتما من بلادكما ودنوتما من بلاد عدوكما فلا تسأما من توجيه الطلائع ، ومن نفض الشعاب والشجر والخمر [1] ، في كل جانب كي لا يغتركما عدو ، او يكون لهم كمين ، ولا تسيرا الكتائب من لدن الصباح والمساء الا على تعبئة ، فان دهمكم داهم ، او غشيكم مكروه كنتم قد تقدمتم في التعبئة وإذا نزلتم بعدو ... إلى آخر ما في « النهج » وبعده :

ثم ليكن ذلك شأنكما ودأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكما ، وليكن عندي كل يوم خبركما ، ورسول من قبلكما ، فاني — ولا شيء الا ما شاء الله — حثيث السير في اثاركما ، عليكما في حربكما بالتوأدة ، واياكما والعجلة الا ان تمكنكم فرصة بعد الاعذار والحجة ، وإياكما ان تقاتلا حتى اقدم عليكما الاَّ أَن تُبدآ ، أو يأتيكما امري ان شاء الله والسلام .

روى ذلك قبل الرضي نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١٢٣ ، وابن شعبة في « تحف العقول » ص ١٩١ ، والدينوري في « الاخبار الطوال » ص ١٦٦ ، ورواه بعده ابن ميثم البحراني في شرحه على «نهج البلاغة» : ٤ ص ٣٧٧ . هذا وفي خلال ما اختاره الشريف الرضي فقرات محذوفة نشير اليها إتماماً للفائدة في رواية نصر : « فاذا غشيكم ليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح والأترسة ورماتكم يلون ترستكم ورماحكم ؛ وما اقمتم فكذلك فافعلوا كي لا تصاب لكم غفلة ، ولا تلفى منكم غرة ، فما قوم حفوا عسكرهم برماحهم ، وترستهم من ليل او نهار الا كانوا كأنهم في حصون ، واحرسا عسكركما بأنفسكما واياكما ان تذوقا نوماً حتى تصبحا الا غراراً او مضمضة ... الخ [2] .

---

(١) الخمر (بالتحريك) ما واراك من جبل وغيره

(٢) الغرار والمضمضة : ما قل من النوم .

١٢ - ومن وصيّة له عليه السّلام

لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له :

اتَّقِ ٱللهَ ٱلَّذي لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلاَ مُنْتَهىٰ لَكَ دُونَهُ . وَلاَ تُقَاتِلَنَّ إِلاَّ مَنْ قَاتَلَكَ . وَسِرِ ٱلْبَرْدَيْنِ . وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ[1] . وَرَفِّهْ بِالسَّيْرِ . وَلاَ تَسِرْ أَوَّلَ ٱللَّيْلِ فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَهُ سَكَناً وَقَدَّرَهُ مُقَاماً لاَ ظَعْناً . فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ . فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ ٱلسَّحَرُ أَوْ حِينَ يَنْفَجِرُ ٱلْفَجْرُ فَسِرْ عَلَىٰ بَرَكَةِ ٱللهِ . فَإِذَا لَقِيتَ ٱلْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطاً ، وَلاَ تَدْنُ مِنَ ٱلْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ ٱلْحَرْبَ ، وَلاَ تَبَاعَدْ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ ٱلْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي ، وَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ عَلَىٰ قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَٱلْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ .

معقل بن قيس الرياحي له ادراك [2] ، كان من رجال الكوفة وابطالها ، وله رئاسة وقدم ، ارسله عمار بن ياسر إلى عمر بن الخطاب مع الهرمزان

---

(١) البردين : الغداة والعشي . وغور : انزل بهم الغائرة اي القائلة .
(٢) الإصابة : ٣ / ٤٧٥ عن ابن عساكر .

بفتح تستر وكان من شيعة علي عليه السلام [١] ، جعله على شرطته ، وكان اميراً من امراء جيشه يوم الجمل[٢] ولما خرج امير المؤمنين إلى صفين وخطب اصحابه بالنخيلة بالخطبة التي ذكر الرضي رحمه الله مختارها تحت رقم : (٤٨) [٣] والتي اولها : الحمد لله كلما وقب ليل او غسق [٤] قال معقل بن قيس : والله يا امير المؤمنين لا يتخلف عنك الا ظنين ، ولا يتربص بك الا منافق .

ولما بلغ امير المؤمنين المدائن بعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف رجل مقدمة له واوصاه بوصية اختار الشريف منها ما نقله في هذا الموضع ، وروى طرفاً من هذه الوصية نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١٩٨ ، ولا ريب ان للرضي مصدراً غير كتاب « صفين » .

١٣ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى أميرين من امراء جيشه

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِي حَيِّزِكُمَا مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَه وَأَطِيعَاهُ ، وَٱجْعَلاَهُ دِرْعاً وَمِجَنّاً ، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لاَ يُخَافُ وَهْنُهُ وَلاَ سَقْطَتُهُ وَلاَ

---

(١) شرح النهج للحديدي : م ٣ / ٤١٤ .

(٢) الإصابة : ٣ / ٤٧٥ عن ابن عساكر .

(٣) نهج البلاغة : ١ / ٩٣ .

(٤) أنظر الجزء الثاني من كتابنا هذا ص ١٥ .

بُطْؤُهُ عَمَّا ٱلْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ ، وَلاَ إِسْرَاعُه إِلَى مَا ٱلْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ .

الاميران هما زياد بن النضر وشريح بن هاني ، وكان امير المؤمنين عليه السلام سرحهما امامه في اثني عشر الفاً — كما مر ذلك — [1] فلما انتهوا إلى معاوية لقيهم ابو الاعور السلمي [2] في جند اهل الشام ، فدعوهم إلى الدخول في طاعة امير المؤمنين عليه السلام فأبوا ، فكتبا إلى امير المؤمنين عليه السلام يخبرانه بالامر ، فدعى عليه السلام مالك بن الحارث الاشتر فسرحه اليهما ، وكتب اليهما بهذا الكتاب ومفصل هذه القضية مع هذا الكتاب تجده في تاريخ الطبري ج : ٥ — ٢٣٨ ، وكتاب « صفين » لنصر بن مزاحم ص ١٣٥ .

١٤ — ومن وصيّة له عليه السّلام

لعسكره قبل لقاء العدو بصفين

لاَ تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ ٱللهِ عَلَى حُجَّةٍ ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى

(١) أنظر ص ٢٢٣ من هذا الجزء .

(٢) أبو الأعور السلمي اسمه : عمرو بن سفيان من أعيان أصحاب معاوية قال ابن الأثير في « أسد الغابة » ٤ / ١٠٩ و ٥ / ١٣٨ وعليه كان مدار الحرب بصفين ، وكان أشد من معاوية على علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وكان علي يدعو عليه في القنوت . وقال : لا تصح له صحبة ولا رواية شهد حنيناً كافراً ثم أسلم .

لَكُمْ عَلَيهِمْ . فَإِذَا كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلاَ تَقْتُلُوا مُدْبِراً ، وَلاَ تُصِيبُوا مُعْوِراً ، وَلاَ تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ . وَلاَ تَهِيجُوا ٱلنِّسَاءَ بِأَذىً وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَى وَٱلأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ . إِنْ كُنَّا لَنؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ . وَإِنْ كَانَ ٱلرَّجلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِن بَعْدِهِ .

تواترت عنه عليه السلام هذه الوصية ، ورواها جماعة من المتقدمين على الشريف الرضي نظرآء :

١ — محمد بن جرير الطبري في « التاريخ » : ٦ — ٣٢٨٢ ط : ليدن في حوادث سنة (٣٧) ، روى باسناده إلى عبد الرحمن بن جندب الازدي عن ابيه : ان علياً كان يأمرنا في كل موطن لقينا عدواً معه ، فيقول : لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم ... الخ .

٢ — نصر بن مزاحم في « صفين » : ص ٢٠٣ بسنده عن عبد الله بن جندب عن ابيه : ان علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا معه عدوه يقول : لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم ... الخ .

٣ — الكليني في فروع الكافي : ج ٥ — ٣٨ في « كتاب الجهاد » بسنده عن عبد الرحمن بن جندب عن ابيه : ان امير المؤمنين صلوات الله عليه كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول : لا تقاتلوا القوم حتى

يبدأوكم فانكم بحمد الله على حجة ... الخ .

٤ — المسعودي في «مروج الذهب : ٢ — ٧٣١ » .

٥ — احمد بن اعثم الكوفي في كتاب « الفتوح » ج ٣ — ٤٤ .

ولسنا — بعد ذلك — بحاجة إلى تعداد من روى هذه الوصية بعد الرضي .

١٥ — وكَانَ عَليهِ السَّلامُ يَقُولُ

إذا لقي العدو محارباً

ٱللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفَضَتِ ٱلْقُلُوبُ . وَمُدَّتِ ٱلْأَعْنَاقُ . وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ ، وَأُنْضِيَتِ ٱلْأَبْدَانِ . ٱللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ ٱلشَّنَآنِ . وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ ٱلْأَضْغَانِ . ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا . وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا ، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا . « رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ » .

١ — روى نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ٢٣١ : عن عمرو بن شمر ، عن عمران ، عن سلام بن سويد قال : كان علي عليه السلام إذا اراد ان يسير إلى الحرب قعد على دابته وقال :

الحمد لله رب العالمين على نعمه علينا ، وفضله العظيم ، سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون .

ثم يوجه دابته إلى القبلة ثم يرفع يديه إلى السماء ثم يقول ... وذكر الدعاء مع مغايرة طفيفة لما في « النهج » .

ورواه نصر بسند آخر عن عمرو بن شمر عن جابر عن تميم ... الخ [1] كما رواه بسند ثالث عن قيس بن الربيع ، عن عبد الواحد بن حسان العجلي عمن حدثه عن علي عليه السلام ... الخ [2] .

ورواه ايضاً بصورة اخرى عن عمرو بن شمر ، عن جابر بن عمير الانصاري قال : والله لكأني اسمع علياً يوم الهرير حين سار إلى اهل الشام وذلك بعد ان طحنت رحى مذحج فيما بينها وبين علك ولخم وجذام والاشعريين بأمر عظيم تشيب منه النواصي ، من حين استقلت الشمس حتى قام قائم الظهيرة ، ثم إن علياً قال : حتى متى بين هذين الحيين قد فنيا وانتم وقوف تنظرون اليهم ؟ اما تخافون مقت الله ؟ ثم انفتل إلى القبلة ورفع يديه إلى الله ثم نادى :

يا الله يا رحمن يا رحيم يا واحد يا صمد يا الله يا اله محمد ثم ذكر الدعاء [3] .

ويظهر من روايات نصر هذه انه عليه السلام دعا به غير مرة ولذا اختلفت الفاظه .

٢ — ورواه عبد العزيز بن يحيى الجلودي في كتاب « صفين » كما حكى ذلك المجلسي عليه الرحمة .

٣ — وروى المفيد في كتاب « النصرة » ص ١٨٢ انه عليه السلام دعا بهذا الدعاء يوم الجمل ايضاً .

---

(١) صفين : ١٣٠ .
(٢) صفين : ٢٣١ .
(٣) صفين : ٤٧٧ .

١٦ ـ وكَانَ يَقُولُ عَليهِ السلامُ لأَصحابه عند الحرب

لاَ تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ ، وَلاَ جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ وَأَعْطُوا ٱلسُّيُوفَ حُقُوقَهَا . وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا وَٱذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى ٱلطَّعْنِ ٱلدَّعْسِيِّ وَٱلضَّرْبِ ٱلطِّلَحْفَى[1] . وَأَمِيتُوا ٱلْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ . فَوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَلٰكِنِ ٱسْتَسْلَمُوا وَأَسَرُّوا ٱلْكُفْرَ ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَاناً عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ .

هذا الفصل من جملة كلام له عليه السلام قاله لاصحابه في يوم من ايام صفين ، ويظهر من رواية ابن ابي الحديد انه تابع للكلام المروي في « نهج البلاغة » تحت رقم : (٦٢) في باب الخطب وكيف كان فانه مروي قبل الرضي عليه الرحمة . فقد روى الكليني فقرات من هذا الكلام في « كتاب الجهاد » من « فروع الكافي » : ٥ ـ ٤١ في كلام له عليه السلام قال فيه : « إذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ، فاذا بدأوكم فانهدوا اليهم ـ إلى ان قال ـ : لا يشدن عليكم كرة بعد فرة ، ولا حملة بعد جولة » ... الخ .

---

(١) الدعسي : اسم من الدعس اي الطعن الشديد ، والطلحفى ـ بفتحتين فسكون ففتح ـ اشد الضرب ، وأماتة الاصوات : انقطاعها بالسكوت .

والجملة الاخيرة من هذا الكلام رواها نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٢١٥ بسنده عن يونس بن الارقم بن عوف عن شيخ من بكر بن وائل قال :

كنا مع علي بصفين فرفع عمرو بن العاص شقة خميصة سوداء [١] في رأس رمح فقال ناس : هذا لواء عقده له رسول الله ﷺ فلم يزالوا حتى بلغ علياً ، فقال : هل تدرون ما امر هذا اللواء ؟ ان عدو الله عمرو بن العاص اخرج له رسول الله هذه الشقة ، فقال : « من يأخذها بما فيها » ؟ فقال عمرو وما فيها يا رسول الله ؟ قال : « فيها ان لا تقاتل بها مسلماً ، ولا تفربها من كافر » فأخذها . فقد والله فربها من المشركين ، وقاتل بها اليوم المسلمين ، والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ما اسلموا ولكن استسلموا واسروا الكفر ، فلما وجدوا عليه اعواناً اظهروه ... الخ [٢] .

ويبدو من هذه الرواية ومما رواه الرضي انه عليه السلام قال هذه الكلمة غير مرة .

ومثل هذا ما رواه نصر ايضاً بسنده عن حبيب بن ابي ثابت قال : لما كان قتال صفين قال رجل لعمار : يا ابا اليقظان : ألم يقل رسول الله ﷺ « قاتلوا الناس حتى يسلموا ، فاذا اسلموا عصموا مني دماءهم واموالهم ؟ » قال : بلى ، ولكن والله ما اسلموا ولكن استسلموا ، واسروا الكفر حتى وجدوا عليه اعواناً » [٣] .

ورواه بطريق آخر عن منذر الثوري قال : — قال عمار بن ياسر : والله

---

(١) الخميصة : ثوب من خز أو صوف معلم ، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة .

(٢) رواه ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » : م ١ ص٣٤٧ عن كتاب « صفين » .

(٣) صفين : ٢١٥ .

ما اسلم القوم ولكن استسلموا واسروا الكفر حتى وجدوا عليه اعواناً :
وروى مثله عن محمد بن الحنفية [1].

١٧ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية جواباً عن كتاب منه إليه

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ ٱلشَّامَ فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ ٱلْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ ٱلْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ ٱلْعَرَبَ إِلا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ أَلاَ وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْحَقُّ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ ٱلْبَاطِلُ فَإِلَى ٱلنَّارِ . وَأَمَّا ٱسْتِوَاؤُنَا فِي ٱلْحَرْبِ وَٱلرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى ٱلشَّكِّ مِنِّي عَلَى ٱلْيَقِينِ وَلَيْسَ أَهْلُ ٱلشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى ٱلدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ ٱلْعِرَاقِ عَلَى ٱلآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَٰلِكَ نَحْنُ . وَلَٰكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ . وَلا حَرْبٌ كَعَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ . وَلاَ أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ . وَلاَ ٱلْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ ، وَلاَ ٱلصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ[2] . وَلاَ ٱلْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلاَ ٱلْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ . وَلَبِئْسَ ٱلْخَلَفُ خَلَفاً

---

(١) صفين : ٢١٦ .

(٢) الصريح : ذو النسب الواضح ، واللصيق من ينتمي إلى القوم وليس منهم والمدغل : المفسد .

يَتْبَعُ سَلَفاً هَوى فِي نَارِ جَهَنَّمَ .

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ ٱلنُّبُوَّةِ ٱلَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا ٱلْعَزِيزَ وَنَعَشْنَا بِهَا ٱلذَّلِيلَ[1] . وَلَمَّا أَدْخَلَ ٱللهُ ٱلْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجاً وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ ٱلأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي ٱلدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينِ فازَ أَهْلُ ٱلسَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ ، وَذَهَبَ ٱلْمُهَاجِرُونَ ٱلأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ فَلاَ تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ، وَلاَ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً .

سبق الرضي إلى نقل هذا الكتاب جماعة من المؤلفين امثال :

١ — نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ٤٧١ .

٢ — البيهقي في « المحاسن والمساوي » : ص ٥٣ .

٣ — ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » ج ١ — ١١٨ .

٤ — المسعودي في (مروج الذهب) ج ٣ ص ٢٢ .

٥ — ابن اعثم الكوفي في « الفتوح » ج ٣ — ٢٥٩ .

وهذا الكتاب من اجوبة امير المؤمنين عليه السلام لمعاوية .

قال نصر بن مزاحم : إن هذا الكتاب كتبه علي عليه السلام إلى معاوية قبل ليلة الهرير بيومين او ثلاثة [2] .

---

(١) نعشنا : رفعنا .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : م ٣ / ٤٢٣ ، وكانت ليلة الهرير الجمعة ١٠ صفر سنة ٣٧ .

وقال نصر : اظهر علي عليه السلام انه مصبح ، ومناجز له ، وشاع ذلك من قوله ، ففزع اهل الشام لذلك ، وانكسروا لقوله ، وكان معاوية بن بن الضحاك بن سفيان صاحب راية بني سليم مع معاوية مبغضاً لمعاوية واهل الشام ، وله هوى مع اهل العراق وعلي بن ابي طالب عليه السلام ، وكان يكتب بأخبار معاوية إلى عبد الله ابن الطفيل العامري وهو مع اهل العراق ، فيخبر علياً عليه السلام ، فلما شاعت كلمة علي عليه السلام ، وَجِل لها اهل الشام .

وبعث ابن الضحاك إلى عبد الله بن الطفيل : اني قائل شعراً اذعر به اهل الشام وارغم به معاوية ، وكان لا يتهمه ، وكان له فضل ونجدة لسان . فقال ليلا ليستمع أصحابه :

ألا ليت هذا الليل أطبق سرمدا	علينا وانا لا نرى بعده غــدا
ويا ليته إن جاءنا بصباحــه	وجدنا إلى مجرى الكواكب مصعدا
حذار علي انه غير مخلــف	ـ مدى الدهر مالب الملبون ـ موعدا
واما قراري في البلاد فليس لي	مقام وان جاوزت «جابلق»مصعدا

---

(١) في معجم البلدان : م ٢ / ٩١ أن جابلق مدينة بأقصى المغرب وذكر ياقوت أن الحسن بن علي عليهما السلام لما خطب عام الصلح قال في خطبته : « لو نظرتم ما بين جابلق وجابرس – وفي رواية جابلص – ما وجدتم ابن نبي غيري وغير أخي » ، هذا ما ذكره ياقوت وغيره . وأرى أن المراد بجابرس وجابلق المشرق والمغرب بعد أن ثبت عدم وجود هاتين المدينتين على وجه البسيطة ، ولا يصح أن يكون المراد بذلك الرستاق – الذي ذكره ياقوت – بأصبهان . بلى ، جاء في « شرح النهج » لابن أبي الحديد : أن معاوية لما سمع شعر ابن الضحاك هذا قال لأهل الشام : ألا تعلمون ما جابلق ، قالوا : لا ، قال : مدينة في أقصى المشرق ليس بعدها شيء . نقل ذلك عن كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم وفي المطبوع من كتاب « صفين » ص ٤٩٦ أن التفسير للمؤلف وليس لمعاوية .

كأني به في الناس كاشف رأسه على ظهر خوار الرحالة اجردا [1]
يخوض غمار الموت في مرجحنة ينادون — في نقع العجاج — محمدا [2]
فوارس بـدر والنضير وخيبر واحد يهزون الصفيح المهندا
ويوم حنين جالدوا عن نبيهم فريقاً من الاحزاب حتى تبددا
هنالك لا تلوى عجوزا على ابنها وان أكثرت من قول : نفسي لك الفدا
فقل لابن حرب ماالذي انت صانع اتثبت ام ندعوك في الحرب : قعددا [3]
فلا رأي إلا تركنا الشام جهـرة وإن ابرق الفجفاج فيها وارعدا [4]

فلما سمع معاوية شعره طلبه ، فأتوه به فهم بقتله ، ثم راقب فيه قومه وطرده عن الشام فلحق بمصر ، وندم معاوية على تسييره إياه . وقال : والله لقول السلمي اشد على اهل الشام من لقاء علي ، ما له — قاتله الله — لو اصاب خلف جابلق مصعداً نفذه ؟ [5]

وقال الاشتر حين قال علي : « انني مناجز القوم إذا اصبحت » :

قد دنا الفصل في الصباح وللسلم رجال وللحروب رجال
فرجال الحروب كل خدب مقحم لا تهده الأهوال [6]
يضرب الفارس المدجج بالسيف إذا فل في الوغى الاكفال [7]

---

(١) أجرد : صفة لخوار الرحالة ، وخوارهنا : الحسن ، والرحالة ككتابة السرج ، والأجرد : الفرس ذو الشعر القصير .
(٢) المرجحنة : الأمر العظيم .
(٣) القعدد — هنا — الجبان القاعد عن الحرب .
(٤) الفجفاج : كثير الكلام المفتخر بما ليس عنده .
(٥) نفذه : جازه .
(٦) الخدب : الشديد الصعب ، والمقحم من قحم في الأمر إذا رمى نفسه فيه .
(٧) الأكفال جمع كفل « بالكسر » هو من الرجال الذين يكونون في مؤخرهم تأهباً للفرار

يا بن هند شدّ الحيازم للموت ولا يذهبن بك الآمال[1]
إن في الصبح ان بقيت لأمراً تتفادى من هوله الابطال
فيه عز العراق او ظفر الشام بأهل العراق والزلزال
فاصبروا للطعان بالأسل السمر وضرب تجري به الأمثال [2]
ان تكونوا قتلتهم النفر البيض وغالت اولئك الآجال [3]
فلنا مثلهم وان عظم الخطب قليل امثالهم ابدال
يخضبون الوشيج طعناً إذا جرت من الموت بينهم اذيال [4]
طلب الفوز في المعاد وفي ذا تستهان النفوس والأموال

قال : فلما انتهى إلى معاوية شعر الاشتر قال : شعر منكر من شاعر منكر ، رأس اهل العراق وعظيمهم ، ومسعر حربهم ، واول الفتنة وآخرها ، وقد رأيت ان اعاود علياً واسأله اقراري على الشام — وهو الشيء الاول الذي ردني عنه — والقى في نفسه الشك والريبة ، فضحك عمرو بن العاص ، ثم قال : اين انت يا معاوية عن خدعة علي ؟ قال : ألسنا بني عبد مناف ؟ ، قال : بلى ، ولكن لهم النبوة دونك ، وإن شئت ان تكتب له فا كتب . فكتب معاوية إلى علي مع رجل من السكاسك ، يقال له : عبد الله ابن عقبة ، وكان من ناقلة اهل العراق فكتب :

اما بعد ، فاني اظنك ان لو علمت ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت وعلمنا لم يجنها بعضنا على بعض ، وان كنا قد غلبنا على عقولنا فقد بقي لنا منها ما نندم على ما مضى ونصلح به ما بقي . وقد كنت سألتك الشام على

---

(١) شد الحيازم للموت : الاستعداد له ، والحيازم : وسط الصدر .
(٢) الأسل : الرماح .
(٣) يقال : غاله غول : إذا أهلكه .
(٤) الوشيج : شجر الرماح .

الا يلزمني لك طاعة ولا بيعة فأبيت ذلك علي ، فاعطاني الله ما منعت ، وانا ادعوك اليوم إلى ما دعوتك اليه امس ، فاني لا ارجو من البقاء الا ما ترجو ، ولا اخاف من الموت الا ما تخاف وقد والله فارقت الأجناد ، وذهبت الرجال ، ونحن بنو عبد مناف فضل الافضل لا يستذل بهْ عزيز ، ولا يسترق به حر ، والسلام .

فلما انتهى كتاب معاوية إلى علي قرأه ثم قال : العجب لمعاوية ولكتابه ، ثم دعا عبيد الله بن ابي رافع كاتبه وقال له اكتب إلى معاوية :

أما بعد : فقد جاءني كتابك ، تذكر فيه ان لو علمت وعلمنا ان الحرب تبلغ بنا وبك ما بلغت لم يجنها بعضنا على بعض ، فانا وإياك منها في غاية لم تبلغها ، واني لو قتلت في ذات الله وحييت ثم قتلت ثم حييت سبعين مرة لم ارجع عن الشدة في ذات الله ، والجهاد لا عداء الله .

واما قولك انه قد بقي من عقولنا ما نندم به على ما مضى ، فاني ما نقصت عقلي ، ولا ندمت على فعلي .

واما طلبك إلى الشام [1] ... إلى آخر الكتاب .

قال : فلما اتى معاوية كتاب علي عليه السلام كتمه عن عمرو بن العاص اياماً ، ثم دعاه فأقرأه إياه ، فشمت به عمرو ، ولم يكن احد من قريش اشد اعظاماً لعلي من عمرو بن العاص منذ يوم لقيه وصفح عنه ، فقال عمرو فيما كان اشار به على معاوية :

ألا لله درك يا بن هنـــد ودر الآمرين لك الشهود
أتطمع لا ابا لك في علي وقد قرع الحديد على الحديد
وترجو أن تحيره بشاك وتأمل ان يهابك بالوعيد

(١) أنظر صفين لنصر بن مزاحم ص ٤٧٠ و ٤٧١ .

وقد كشف القناع وجرحرباً | يشيب لهولها رأس الوليد
له جأوآء مظلمة طحون | فوارسها تلهب كالاسود [1]
يقول لها إذا دلفت اليه | وقد ملت طعان القوم : عودي
فان وردت فاولها وروداً | وان صدت فليس بذي صدود
وما هي من ابي حسن بنكر | ولا هو من مسائلك بالبعيد
وقلت له مقالة مستكين | ضعيف الرأي منقطع الوريد :
دَعَنْ لي الشامَ حسبك يابن هند | من السوآت والرأي الزهيد
ولو اعطاكها ما ازددت عزاً | ولا لك لو اجابك من مزيد
فلم تكسر بذاك الرأي عوداً | لركته ولا ما دون عـود

فلما بلغ معاوية شعر عمرو دعاه ، فقال له : العجب لك تفيل رأيي ! وتعظم علياً وقد فضحك ! فقال اما تفييلي رأيك [2] فقد كان ، واما إعظامي علياً فانك باعظامه اشد معرفة مني ، ولكنك تطويه وانا انشره ، واما فضيحتي فلم يفتضح امرؤ لقي ابا حسن .

١٨ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن عباس وهو عامله على البصرة

ٱعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ ٱلْفِتَنِ ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بالإِحسانِ إِلَيْهِـمْ ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةَ ٱلْخَوْفِ

---

(١) الجاوآء : الكتيبة يعلوها لون أسود لكثرة الدروع .

(٢) تفيل الرأي : ضعف .

عَنْ قُلُوبِهِــم .

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِــمْ ، وإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلاَّ طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ ، وَإِنَّهُم لم يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ[1] فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلاَ إِسْلاَمٍ . وإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا . فَارْبعِ أَبَاٱلْعَبَّاسِ رَحِمَكَ ٱللَّهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِن خَيرٍ وشَرٍّ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ ، وَكُن عِند صَالِــحِ ظَنِّي بِكَ ، ولاَ يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ . وَٱلسَّلاَمُ .

روي ان ابن عباس كان قد أضر ببني تميم حين ولي البصرة من قبل علي عليه السلام للذي عرفهم به من العداوة يوم الجمل ، لانهم كانوا من شيعة طلحة والزبير وعائشة ، فحمل عليهم ابن عباس فأقصاهم ، وتنكر عليهم ، وعيرهم بالجمل حتى كان يسميهم : شيعة الجمل وانصار عسكر[2] وحزب الشيطان . فاشتد ذلك على نفر من شيعة علي عليه السلام من بني

---

(١) التنمر : تنكر الأخلاق ، والوغم - بفتح فسكون - الحرب والحقد .

(٢) قال الدميري الشافعي في «حياة الحيوان : ج ١ / ١٩٨» : (فائدة) كان اسم الجمل الذي ركبته عائشة رضي الله تعالى عنها يوم وقعته عسكراً اشتراه لها يعلى بن أمية بأربعمائة درهم ، وقيل بمائتي درهم وهو الصحيح . اهـ .

تميم ، منهم جارية بن قدامة [١] وغيره ، فكتب بذلك جارية إلى علي يشكو اليه ابن عباس ، فكتب عليه السلام إلى ابن عباس :

اما بعد : فان خير الناس عند الله غداً اعملهم بطاعته فيما عليه وله ، واقولهم بالحق وإن كان مراً ، الا وانه بالحق قامت السموات والارض فيما بين العباد ، فلتكن سريرتك فعلا ، وليكن حكمك واحداً ، وطريقك مستقيماً واعلم ان البصرة .. إلى آخر الفصل .

روى ذلك ابن ميثم [٢] والسياق يقتضي انه اخذه عن غير الرضي

وروى ابو هلال العسكري في (الصناعتين) ص٢٧٧ فقرات منه والباقلاني في (اعجاز القرآن) ج١ص ١٠٣ . وقد روى السيد العلوي في « الطراز » : ج ١ ص ٢١٩ وص ٤١٦ طرفاً من هذا الكتاب وفيه ما يغاير رواية « النهج » فروى (تنمرك على بني تميم) مكان (لبني تميم) و (منهم نجم) مكان (لهم نجم) وفي هذا مقتنع على انه نقله عن غير « النهج » .

١٩ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً

---

(١) جارية « بالجيم بعدها ألف والمثناة التحتانية بعد الراء المهملة» التميمي السعدي رأى النبي صلى الله عليه وآله وسمع حديثه وروى عنه هذا الحديث : أن رجلا قال : يا رسول الله قل لي قولا وأقلل لعلي أعقله ، قال : « لا تغضب » فأعاد عليه مراراً كل ذلك يقول : « لا تغضب » ، وكان من أصحاب علي عليه السلام وشهد معه حروبه وهو الذي حصر ابن الحضرمي بالبصرة في دار ابن شبيل وحرقها عليه في قصة أشرنا إليها في هذا الكتاب ، ج ٢ ص ٢٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة : ٤ / ٣٩٥ .

وَقَسْوَةً ، وَٱحْتِقَاراً وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلاً لأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ، وَلاَ أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ، فَٱلْبَسْ لَهُم جِلْبَاباً مِنَ ٱللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ ٱلشِّدَّةِ ، وَدَاوِلْ لَهُم بَيْنَ ٱلْقَسْوَةِ وَٱلرَّأْفَةِ ، وَٱمْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ ٱلتَّقْرِيبِ وَٱلإِدْنَاءِ ، وَٱلإِبْعَادِ وَٱلإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ .

هذا الكتاب رواه قبل الرضي البلاذري في « أنساب الاشراف » : ص ١٦١ ط الاعلمي وابن واضح في تاريخه : ج ٢ — ١٩٢ بمغايرة في بعض بعض الكلمات ، وزيادة على ما في « النهج » ، وذكرا ان العامل المكتوب اليه هذا الكتاب هو عمر بن ابي سلمة الارحبي .

٢٠ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى زياد بن أبيه وهو خليفة عامله عبد الله بن عباس على البصرة . وعبدالله عامل امير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها وعلى كور الاهواز وفارس وكرمان

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَماً صَادِقاً لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ ٱلْمُسْلِمِينَ شَيْئاً صَغِيراً أَوْ كَبِيراً لأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ ٱلْوَفْرِ، ثَقِيلَ ٱلظَّهْرِ، ضَئِيلَ ٱلأَمْرِ ، وَٱلسَّلاَمُ .

أول هذا الكتاب :

« أما بعد : فإن رسولي أخبرني بعجب ، زعم أنك قلت له فيما بينك وبينه : إن الأكراد هاجت بك فكسرت عليك كثيراً من الخراج ، وقلت له : لا تعلم أمير المؤمنين وأقسم بالله ... الخ .

ذكر ذلك ابن واضح في « التاريخ » : ج ٢ ص ١٩٣ ورواه البلاذري في « أنساب الأشراف » ص ١٦٢ ط الأعلمي .

وروى البيهقي في « المحاسن والمساويء » ج ٢ ص ٢٠١ ط مصر فقرات من هذا الكتاب وهي « لا شدّك عليك شدة أدعك فيها قليل الوفر ثقيل الظهر » .

٢١ - ومن كتاب له عليه السلام

فَدَعِ ٱلإِسرَافَ مُقْتَصِداً ، وَٱذْكُرْ فِي ٱلْيَوْمِ غَداً ، وَأَمْسِكْ مِنَ ٱلْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدِّمِ ٱلْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ[١] .

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيكَ ٱللهُ أَجْرَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ ٱلْمُتَكَبِّرِين . وَتَطْمَعُ – وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ[٢] فِي ٱلنَّعِيمِ تَمْنَعُهُ ٱلضَّعِيفَ وَٱلْأَرْمَلَةَ – أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ

---

(١) الفضل : ما يزيد عن الحاجة من المال ، فقدمه ليوم الحاجة كالأعداد ليوم الحرب مثلا ، أو المراد بيوم الحاجة يوم القيامة .

(٢) المتمرغ بالنعيم : المتقلب به .

ٱلْمُتَصَدِّقِين . وَإِنَّما ٱلْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ[١] ، وَقَادِمٌ عَلَىَ مَا قَدَّمَ . وَٱلسَّلاَمُ .

هذا الكتاب رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » ص ١٦٩ ط الأعلمي والسبب في إرساله : أن أمير المؤمنين عليه السلام كان قد أخرج إليه سعداً مولاه يحثه على حمل مال البصرة إلى الكوفة ، وكان بين سعد وزياد ملاحات ومنازعة ، وعاد سعد وشكاه إلى علي عليه السلام وعابه فكتب علي عليه السلام إليه كتاباً اقتبس منه الشريف الرضي الفقرات التي مر ذكرها .

وكان جواب زياد على هذا الكتاب :

أما بعد – يا أمير المؤمنين – فإن سعداً قدم علي ، فأساء القول والعمل فأنتهرته وزجرته ، وكان أهلاً لأكثر من ذلك ، وأما ما ذكرت من الإسراف ، واتخاذ الألوان من الطعام والنعم فإن كان صادقاً فأثابه الله ثواب الصالحين ، وإن كان كاذباً فوقاه الله أشد عقوبة الكاذبين ، وأما قوله : إني أصف العدل وأخالفه إلى غيره فإني أذن لمن الأخسرين ، فخذ يا أمير المؤمنين بمقال قلته : (الدعوى بلا بينة كالسهم بلا نصل) فإن أتاك بشاهدي عدل وإلا تبين لك كذبه وظلمه [٢] .

ومن لطيف تعليقات ابن أبي الحديد تعليقه على هذا الكتاب بقوله : « قبّح الله زياداً فإنه كافأ إنعام علي عليه السلام ، وإحسانه إليه واصطناعه له بما لا حاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبيه ، والإسراف في لعنه ، وتهجين أفعاله ، والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير

---

(١) أسلف : قدم في سالف أيامه .
(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد : م ٤ / ٧٣ .

منه ، ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية ، كلا ، بل يفعله بطبعه ، ويعاديه بباطنه وظاهره : وأبى الله إلا أن يرجعه إلى أمه ، ويصحح نسبه (وكل إناء ينضح بما فيه) ثم جاء ابنه بعده فختم تلك الأعمال السيئة بما ختم (وإلى الله ترجع الأمور) .

٢٢ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس وكان يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله كانتفاعي بهذا الكلام

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرَكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَه ، وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ . فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ . وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا . وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلاَ تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحاً . وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلاَ تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعاً . وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ

هذا الكتاب متواتر عنه عليه السلام نذكر من رواته :

١ – نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » : ص ١٠٧ .

٢ – محمد بن يعقوب الكليني في « روضة الكافي » ص ٢٤٠ .

٣ – ثعلب في « مجالسه » ص ١٨٦ .

٤ – أبو علي القالي في « الأمالي » ج ٢ ص ٩٦ .

٥ – ابن واضح في « التاريخ » ج ٢ ص ١٤٨ .

٦ ـ ابن عبد ربه في « العقد الفريد » ج ٢ ص ١٤٢ .

٧ ـ أبو طالب المكي في « قوت القلوب » ج ١ ص ١٥٨ .

٨ ـ البلاذري في « أنساب الأشراف » ص ١١٧ ط الأعلمي في ترجمة علي عليه السلام .

ورواه بعد الرضي :

٩ ـ الراغب الأصفهاني في « المحاضرات » ج ٢ ص ١٧٣ ، تحت عنوان (الحث على الإهتمام بأمر الآخرة دون الدنيا) .

١٠ ـ القاضي القضاعي في « دستور معالم الحكم » ص ٩٦ ، وذكر كلام ابن عباس في الكتاب .

١١ ـ سبط ابن الجوزي في « تذكرة الخواص » ص ١٦٠ ، بسند متصل بالمأمون عن آبائه عن عبد الله بن عباس ، كما نقل قول ابن عباس في هذا الكتاب .

١٢ ـ ابن هذيل في « عين الأدب والسياسة » ص ٢١٠ .

وقال السيد في (الطراز) ج ٢ ص ٣٧٠ وأنا أقول أيضاً : ما قرع مسامعي مرة بعد مرة إلا وأحدث لي موعظة لي وانشأ لي عن الغفلة يقظة

٢٣ ـ وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

قاله قبيل موته على سبيل الوصية لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لاَ تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً . وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فلاَ تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هٰذَيْنِ

ٱلْعَمُودَيْنِ وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ وَخَلاَكُمْ ذَمٌّ[1] .

أَنَا بِٱلْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَٱلْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ . إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَ فَٱلْفَنَاءُ مِيعَادِي . وَإِنْ أَعْفُ فَٱلْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ، فَاعْفُوا « أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ ٱللهُ لَكُمْ » .

وَٱللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ ٱلْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ، وَلاَ طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ . وَمَا كُنْتُ إِلاَّ كَقَارِبٍ وَرَدَ[2] وَطَالِبٍ وَجَدَ « وَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ » .

(أَقول) : وَقَدْ مضيٰ بَعْضُ هٰذَا ٱلْكَلاَمِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ ٱلْخُطَبِ إِلاَّ أَنَّ فِيهِ هٰهُنَا زِيَادَةً أَوْجَبَتْ تَكْرِيرَهُ .

هذا الكلام تابع الكلام الذي مر في باب الخطب تحت رقم: (١٤٧) وقد أعاده الرضي هنا لأنه عثر على زيادة أوجبت تكريره ، وقد وعدنا هناك أن نذكر مصادره في هذا الموضع[3] .

١ — روى محمد بن يعقوب الكليني بسند ذكره هناك ، قال : لما ضرب أمير المؤمنين عليه السلام حف به العواد ، وقيل له يا أمير المؤمنين أوص ، فقال عليه السلام : ائتوا لي وسادة ، ثم قال :

---

(١) خلاكم ذم : أي عداكم ذم ، والمراد جاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية .

(٢) فجأه الأمر : أتاه بغتة ، والقارب : طالب الماء ، وقد بقي بينه وبين الماء ليلة .

(٣) انظر ج ٢ / ص ٣٣٣ من هذا الكتاب .

الحمد لله حق قدره ، متبعين أمره ، أحمده كما أحب ، ولا إله إلا الله الواحد الأحد الصمد كما انتسب .

أيها الناس كل إمرىء لاق في فراره ما منه يفر ، والأجل مساق النفس إليه (١) والهرب منه موافاته ؛ كم اطردت الأيام (٢) أبحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله عن ذكره إلا إخفاءه ، هيهات علم مكنون .

أما وصيتي فان لا تشركوا بالله جل ثناؤه شيئاً . ومحمد صلى الله عليه وآله فلا تضيعوا سنته أقيموا هذين العمودين ، وأوقدوا هذين المصباحين وخلاكم ذم ما لم تشردوا (٣) .

حمل كل إمرىء منكم مجهوده ، وخفف عن الجهلة رب رحيم ، وإمام عليم ، ودين قويم (٤) .

أنا بالأمس صاحبكم ، وأنا اليوم عبرة لكم ، وغداً مفارقكم . إن تثبت الوطأة في هذه المزلة فذاك ، وان تدحض القدم (٥) فانا كنا في أفيآء أغصان وذرى رياح ، وتحت ظل غمامة اضمحل في الجو متلفقها ، وعفى في الأرض مخطها (٦) ، وإنما كنت جاراً جاوركم بدني أياماً وستعقبون

---

(١) مساق النفس : تسوقها إليه أطوار الحياة حتى توافيه .

(٢) أطردت الأيام : صيرتها طريدة لي اتبع بعضها بعضاً بالبحث عن كيفية قتلي ، وتعرف مكنون هذا الأمر : أي الذي دفع له من القتل ، وان كان قد أخبره رسول الله بالكيفية ولكن (ليس الخبر كالمعاينة) .

(٣) أي عداكم الذم إذا وحدتم الله سبحانه ، واتبعتم سنة رسوله صلى الله عليه وآله ، وهو داخل في باب الإستعارة اذ شبه توحيد الله ورسوله بعمودي الخيمة تقوم عليهما ، وبمصباحين يستضاء بهما .

(٤) أي أن التكليف بذلك يتفاوت بحسب الطاقات والتحمل ؛ فالعلماء مثلا يختلف تكليفهم عن تكليف العامة .

(٥) دحضت القدم : زلت وزلقت .

(٦) اضمحل : تقشع ، ومتلقفها : ما اجتمع منها والتلفيق الجمع ، وعفا : درس ، ومخطها : أثرها والضمير في متلقفها للغمام ، وفي مخطها للرياح .

مني جثة خلاء ، ساكنة بعد حركة ، كاظمة بعد نطق . ليعظكم هدوي ، وخفوت اطراقي [1] . وسكون أطرافي . فإنه أوعظ من الناطق البليغ .

ودعتكم وداع امرىء مرصد للتلاقي[2] ، غداً ترون أيامي ، ويكشف الله عز وجل عن سرائري ، وتعرفوني بعد خلو مكاني ، وقيام غيري مقامي .

إن أبق فأنا ولي دمي ، وان أفن فالفناء ميعادي ، وإن أعف فالعفو لي قربة ، ولكم حسنة . فأعفوا وأصفحوا (ألا تحبون أن يغفر الله لكم) .

فيا لها حسرة على كل ذي غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤديه .

جعلنا الله وإياكم ممن لا يقصر به عن طاعة الله رغبة ، أو تحل به بعد الموت نقمة ، فإنما نحن له وبه [3] .

٢ ــ ورواها المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ص ٤٣٦ بأخصر من رواية الكليني . وقال : وقد ذكر جماعة من أهل النقل عن أبي عبدالله جعفر ابن محمد عن أبيه محمد بن علي بن الحسين : أن علياً قال في صبيحة الليلة التي ضربه فيها عبد الرحمن بن ملجم ... وذكر الوصية .

٣ ــ ورواها المسعودي أيضاً في كتاب « إثبات الوصية » ص ١٠٣ .

٤ ــ وابن عساكر في « مقتل أمير المؤمنين عليه السلام » من تاريخه م ١٢ الورقة ٢١١ (مخطوطة مكتبة الإمام الحكيم في النجف الأشرف) بسنده عن عوانة بن الحكم قال : لما ضرب عبد الرحمن بن ملجم علياً وحمل إلى منزله أتاه العواد فحمد الله وأثنى عليه وصلى الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : كل

---

(١) الخفوت : السكون ، وأطراقي بكسر الهمزة والقاف من أطرق أي أرخى عينه .
(٢) مرصد : منتظر .
(٣) الكافي « الأصول » : ١ / ٢٩٩ .

إمرىء لا يفرّ منه فراره الوصية وفي آخرها :

عش ما بدا لك قصرك المـوت ... لا مرحل عنه ولا فـوت
بينـا غنى بيـت ببهجـته ... زال المغنى وتقـوّض البيـت
يا ليت شعري ما يراد بنـا ... ولقلّ ما يجدي لنا ليـت

٢٤ - ومن وصيّة له عليه السّلام

بما يعمل في أمواله كتبها بعد منصرفه من صفين

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي مَالِهِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ لِيُولِجَهُ بِهِ ٱلْجَنَّةَ وَيُعْطِيَهُ بِهِ ٱلْأَمَنَةَ .

(مِنْهَا) وإِنَّهُ يَقُومُ بِذٰلِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ مِنْهُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ .

وَإِنَّ لِٱبْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ ٱلْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَى ٱبْنَيْ فَاطِمَةَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ .

وَيَشْتَرِطُ عَلَى ٱلَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ ٱلْمَالَ عَلَى

أُصُولِهِ ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ ، وَأَنْ لاَ يَبِيعَ مِنْ أَوْلاَدِ نَخِيلِ هذهِ ٱلْقُرٰى وَدِيَّةً حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاساً[1] .

وَمَنْ كانَ مِنْ إِمَائِي ٱللاَّتِي أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حامِلٌ فَتُمْسَكُ علىَ وَلَدِهَا وهِيَ مِنْ حَظِّهِ ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِيَ حَيَّةٌ فهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا ٱلرِّقُّ وَحَرَّرَهَا ٱلْعِتْقُ .

قال الرضي : قوله عليه السلام في هذه الوصية « أن لا يبيع من نخيلها ودية » . الودية : الفسيلة ، وجمعها ودى ، وقوله عليه السلام « حتى تشكل أرضها اغراساً » هو من أفصح الكلام ، والمراد به أن الأرض يكثر فيها غراس النخل حتى يراها الناظر على غير تلك الصفة التي عرفها بها فيشكل عليه أمرها ويحسبها غيرها .

حذف الرضي رحمه الله فصولاً من هذه الوصية ، وقد رويت عنه عليه السلام بطرق مختلفة ، وأسانيد عديدة ، وإليك الوصية لتطلع على المحذوف منها :

هذا ما اوصى به ، وقضى في ماله عبد الله علي امير المؤمنين ابتغاء وجه الله ليولجه به الجنة ويعطيه به الأمنة (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) :

---

(١) أي تمتلىء بالغراس حتى يشكل طريقها فلا يرى واضحاً .

إن ما كان لي من مال بينبع [1] ، يعرف لي فيها وما حولها صدقة . ورقيقها غير ابي رياح [2] وابي نيزر [3] وجبير عتقاء ، ليس لاحد عليهم سبيل ، فهم موالي يعملون في المال خمس حجج ومنه نفقتهم وأرزاق اهاليهم .

وما كان لي بوادي القرى [4] من مال لبني فاطمة ، ورقيقه صدقة .

وما كان لي بديمة واهلها صدقة ، غير ان زريقاً له مثل مـــا كتبت

---

(١) ينبع : حصن به نخيل وماء وزرع وبها وقوف لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتولاها ولده (أنظر معجم البلدان ٥ / ٤٥٠) .

(٢) رياح : بالمثناة التحتية بعد الراء وقيل بالباء الموحدة ، وهو ومن ذكر معه من موالي أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد روى عنه صلوات الله عليه أعتق ألف مملوك من ماله وكد يده وفي ذلك يقول السيد الحميري :

وأعتق من يديه ألف نفس فأضحوا بعد رق معتقينــا

(٣) قال المبرد في « الكامل » ج ٢ / ١٣٢ كان أبو نيزر من ولد بعض ملوك العجم وصح عندي بعد أنه من ولد النجاشي ، رغب في الإسلام صغيراً ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأسلم وكان معه في بيوته فلما توفي رسول الله صار مع فاطمة وولدها وذكر قصة مفادها : أن أبا نيزر كان يقوم بضيعتي علي عليه السلام اللتين هما « عين أبي نيزر » و « البغيبغة » وأن علياً عليه السلام أتاه فأطعمه طعاماً فيه قرع صنعه بأهالة وقام إلى الربيع فغسل يديه بالرمل حتى أنقاها ، ثم ضم يديه كل واحد منهما إلى أختها ، وشرب بهما ، حسى من ماء الربيع ثم قال : « يا أبا نيزر الأكف أنظف الآنية » ثم مسح ندا ذلك الماء على بطنه وقال : « من أدخله بطنه النار فأبعده الله » ثم أخذ معولا وجعل يضرب فأستخرج العين المعروفة بعين أبي نيزر ، وكتب بتحبيس الضيعتين على فقراء المدينة وابن السبيل إلا أن يحتاج الحسن والحسين عليهما السلام فهما طلق لهما .

قال : وركب الحسين عليه السلام دين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف فأبى أن يبيع وقال : إنما تصدق بها أبي ولست بائعها بشيء ، أهـ . ومن ولد أبي نيزر نصر بن أبي نيزر انضم إلى الحسين عليه السلام بعد علي والحسن عليهما السلام ، ثم خرج معه إلى كربلاء فقتل بها ، وكان فارساً فعقرت فرسه ، ثم قتل في الحملة الأولى رضي الله عنه .

(٤) وادي القرى : وادي بين المدينة والشام ، وهو من أعمال المدينة كثير القرى فتحها النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنوة في جمادى الآخرة سنة سبع ، « معجم البلدان : ٥ / ٣٤٥

لاصحابه .

وما كان بارينة [1] واهلها صدقة .

والفقيرين [2] كما قد علمتم صدقة في سبيل الله .

وإن الذي كتبت من اموالي هذه صدقة واجبة بتلة [3] حياً انا او ميتاً ، ينفق في كل نفقة يبتغي بها وجه الله ، في سبيل الله ووجهه ، وذوي الرحم من بني هاشم ، وبني المطلب ، والقريب والبعيد .

وانه يقوم بذلك الحسن بن علي يأكل منه بالمعروف ، وينفقه حيث يراه الله عز وجل في حل محلل لا حرج عليه فيه . فان اراد ان يبيع نصيباً من المال فيقضي به الدين فليفعل إن شاء ، ولا حرج عليه فيه .

فان حدث بحسن حدث وحسين حي قام بالأمر من بعده ، واصدره مصدره .

وإن لبني فاطمة من صدقة علي ، مثل الذي لبني علي ، وإني إنما جعلت القيام بذلك إلى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله عز وجل ، وقربة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتكريماً لحرمته ، وتشريفاً لوصلته [4] إلى آخر ما نقله الرضي رحمه الله ، وبعد : هذا ما قضى به علي بن ابي طالب في امواله من يوم قدم مسكن ابتغاء وجه الله والدار الآخرة ، والله المستعان على كل حال ،

---

(1) في الأصل أذينة بالذال المعجمة والظاهر أنه تصحيف، وأرينة بالضم ثم الفتح ثم ياء ساكنة ونون وهاء من نواحي المدينة كما في « معجم البلدان : ١ / ١٦٦ » ويؤيده ما عن مناقب ابن شهر أشوب أنه عليه السلام وقف أرنية .

(2) في « معجم البلدان : ٤ / ٢٦٩ » : عن جعفر بن محمد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقطع علياً رضي الله عنه أربع ارضين ، الفقيرين ، وبئر قيس ، والشجرة .

(3) يقال : هذه صدقة بتلة أي مقطوعة عن صاحبها .

(4) الوصلة « بالضم » : الصلة وهي هنا القرابة .

ولا يحل لامرىء مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ان يقول في شيء قضيته من مالي ، ولا يخالف فيه امري من قريب او بعيد .

روى هذه الوصية قبل الرضي ثقة الاسلام الكليني في « فروع الكافي » : ج ٧ – ٤٩ في « كتاب الوصايا » بسنده عن عبد الرحمن بن الحجاج قال : بعث إلي ابو الحسن موسى عليه السلام بوصية امير المؤمنين عليه السلام وهي هذه ... الخ .

ورواها بعده شيخ الطائفة في « التهذيب » ج ٢ ص ٣٧٥ .

٢٥ – ومن وصيّة له عليه السّلام

كان يكتبها لمن يستعمله على الصَّدقات وإنما ذكرنا هنا جملا منها ليعلم بها أنه عليه السلام كان يقيم عماد الحقِّ ويشرع أمثلة العدل في صغير الأُمور وكبيرها ودقيقها وجليلها .

ٱنْطَلِقْ عَلَىٰ تَقْوَى ٱللهِ وَحْدَهُ لَاشَرِيكَ لَهُ.وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِماً ١ وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهاً ، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنهُ أَكثَرَ مِن حَقِّ ٱللهِ فِي مالِهِ ، فإِذَا قدِمْتَ عَلَى ٱلْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ، ثُمَّ ٱمْضِ إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَٱلْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ

(١) الروع : الفزع ، والاجتياز : المرور أي لا تمرن عليه وهو كاره .

عَلَيْهِمْ ، وَلاَ تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ[1] ، ثُمَّ تَقُولَ : عِبادَ ٱللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ ٱللهِ وَخَلِيفَتُهُ لآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ ٱللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَهَلْ لِلهِ فِي أَمْوالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَىٰ وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لاَ ، فَلاَ تُرَاجِعْهُ ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ[2] فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلاَ تَدْخُلْهَا إِلاَّ بِإِذْنِهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلاَ تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلاَ عَنِيفٍ بِهِ ، وَلاَ تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلاَ تُفْزِعَنَّهَا وَلاَ تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا ، وَٱصْدَعِ ٱلْمَالَ صَدْعَيْنِ[3] ثُمَّ خَيِّرْهُ ، فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ . ثُمَّ ٱصْدَعِ ٱلْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ[3] فَإِذَا ٱخْتَارَ فَلاَ تَعَرَّضَنَّ لِمَا ٱخْتَارَهُ . فَلاَ تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ ٱللهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ ٱللهِ مِنْهُ . فَإِنِ ٱسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ[4]

---

(١) لا تخدج بالتحية : أي لا تنقصها من أخدجت السحابة اذا قل مطرها .

(٢) أنعم : قال نعم ، والعسف : الأخذ بشدة ، والإرهاق : تكليف العسر .

(٣) أصدع المال صدعين : أقسمه قسمين .

(٤) أي فإن طلب الإعفاء من هذه القسمة فأعفه ، وأخلط ، وأعد القسمة .

ثُمَّ ٱخلطْهُمَا ثُم ٱصْنَعَ مِثْلَ ٱلَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلاً حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ ٱللهِ فِي مَالِهِ . وَلاَ تَأْخُذَنَّ عَوْداً[١] وَلاَ هَرِمَةً وَلاَ مَكْسُورَةً وَلاَ مَهْلُوسَةً وَلاَ ذَاتَ عَوَارٍ[١] ، وَلاَ تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلاَّ مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقاً بِمَالِ ٱلْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلاَ تُوَكِّلْ بِهَا إِلاَّ نَاصِحاً شَفِيقاً وَأَمِيناً حَفِيظاً ، غَيْرَ مُعَنِّفٍ وَلاَ مُجْحِفٍ[٢] ، وَلاَ مُلْغِبٍ وَلاَ مُتْعِبٍ ، ثُمَّ ٱحْدُرْ إِلَيْنَا مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ ٱللهُ بِهِ . فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلاَّ يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا وَلاَ يُمَصِّرْ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذٰلِكَ بِوَلِيدِهَا ، وَلاَ يَجْهَدَنَّهَا رُكُوباً . وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذٰلِكَ وَبَيْنَهَا ؛ وَلْيُرَفِّهْ عَلَى ٱللاَّغِبِ . وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَٱلظَّالِعِ[٣]. وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ

---

(١) العود — بفتح العين المهملة — المسن من الابل وهو الذي جاوز في السن البازل ، والهرمة أسن من العود ، والمكسورة : التي أنكسرت احدى قوائمها ، والمهلوسة المصابة بالهلاس وهو السل والمراد هنا الضعيفة ، والعوار — بضم العين وفتحها — العيب .

(٢) المجحف : الذي يسوقها سوقاً عنيفاً حتى تهزل ، والملغب : المعيي .

(٣) اللاغب : المتعب ، والنقب — بفتح فكسر — الذي رقت أخفافه ، والظالع الذي غمز في مشيته .

ٱلْغُدُرِ١ وَلاَ يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ ٱلْأَرْضِ إِلَىٰ جَوَادِّ ٱلطَّرِيقِ ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي ٱلسَّاعَاتِ وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ ٱلنِّطَافِ٢ وَٱلْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِينَا بِإِذْنِ ٱللَّهِ بُدُناً مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلاَ مَجْهُودَاتٍ٣ ، لِنَقْسِمَهَا عَلَىٰ كِتَابِ ٱللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . فَإِنَّ ذٰلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ .

هذه الوصية معروفة بين العلماء قبل الرضي رحمه الله تعالى ، فقد رواها الكليني في كتاب « الزكاة » من « فروع الكافي » : ٣ ــ ٥٣٦ ، تحت عنوان (ادب المصدق) بسنده عن بريد بن معاوية (٤) ، قال : سمعت ابا عبد الله عليه السلام يقول بعث امير المؤمنين صلوات الله عليه مصدقاً من الكوفة إلى باديتها . فقال له : يا عبد الله انطلق وعليك بتقوى الله .. إلى آخر الوصية .

(١) الغدر : جمع غدير : وهو ما غادره السيل من المياه .

(٢) النطاف : جمع نطفة وهي الماء القليل .

(٣) البدن : جمع بادنة أي سمينة ، والمنقيات : التي صارت من سمنتها ذات نقى وهو مخ العظام والنقو : كل عظم ذي مخ .

(٤) هو أبو القاسم بريد بن معاوية بن أبي حكيم ــ واسمه حاتم ــ العجلي ، وجه من وجوه الشيعة ، وفقيه من أكابر فقهائهم ، وراو من أوثق رواتهم ، روى عن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام ، وله مكانة عندهما عليهما السلام ، وعده الإمام الصادق عليه السلام : من أوتاد الأرض ، وأعلام الدين ، وأمناء الله على حلاله وحرامه ، الذين لولاهم لأنقطعت آثار النبوة وأندرست ، وعده عليه السلام من المخبتين السابقين الذين سبقوا إليهم في الآخرة ولذا كانوا أحب الناس إليه أحياء وأمواتاً .

مات في حياة الصادق عليه السلام سنة ١٥٠ .

قال ثم بكى ابو عبد الله عليه السلام [١] ثم قال :

يا بريد والله ما بقيت لله حرمة الا انتهكت ، ولا عمل بكتاب الله ، ولا سنة نبيه في هذا العالم ، ولا أقيم في هذا الخلق حد منذ قبض امير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ، ولا عمل بشيء من الحق إلى يوم الناس هذا .

ومن نقلته قبل الشريف ابراهيم بن هلال الثقفي في « الغارات » على ما نقله المجلسي في كتاب « الزكاة » من « بحار الانوار » والمحدث النوري في « مستدرك الوسائل » : ١ — ٥١٦ بسند عن عبد الرحمن بن سليمان [٢] عن ابي جعفر محمد بن علي عليهم السلام قال : بعث علي عليه السلام مصدقاً من الكوفة إلى باديتها وذكر الوصية . وانظر الغارات ص ١٢٦

ومنهم المفيد في « المقنعة » ص ٥٤٢ ونقله عن « المقنعة » محمد بن ادريس في « السرائر » ص ١٠٧ .

ومن رواة هذه الوصية شيخ الطائفة في « التهذيب » : ١ — ٣٨٦ .

والزمخشري في (ربيع الابرار) في الباب : ٥٢ بصورة تختلف قليلا مع رواية الرضي [٣] .

---

(١) أقسم بالله تعالى أن هذه الوصية أبكتني أكثر من مرة عندما أقرأها في « نهج البلاغة » قبل أن أطلع على ما رواه صاحب « الكافي » من بكاء الصادق عليه السلام عند روايتها والحمد لله رب العالمين .

(٢) لعل عبد الرحمن هذا هو ابن سليمان بن الغسيل المدني ، وكان قد رأى سهل بن سعد وروى عن عكرمة ، وعمر مائة وستين سنة أو هو عبد الرحمن بن سليمان الأصبهاني فكلاهما في عصر واحد والاول أقرب لأنه من الرواة عن الباقر والصادق عليهما السلام .

(٣) أنظر « روضات الجنات » : ج ٨ ص ١٢٢ .

٢٦ ـ ومن عهدٍ له عليه السَّلامُ

إلى بعض عماله وقد بعثه على الصَّدقة

آمُرُهُ بِتَقْوَى ٱللهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ ، حَيْثُ لاَ شَهِيدَ غَيْرُهُ وَلاَ وَكِيلَ دُونَهُ . وَآمُرُهُ أَنْ لاَ يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ ٱللهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلاَنِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى ٱلأَمَانَةَ وَأَخْلَصَ ٱلْعِبَادَةَ .

وَآمُرُهُ أَنْ لاَ يَجْبَهَهُمْ وَلاَ يَعْضَهَهُمْ[١] ، وَلاَ يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلاً بِالإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمُ ٱلإِخْوَانُ فِي ٱلدِّينِ وَٱلأَعْوَانُ عَلَى ٱسْتِخْرَاجِ ٱلْحُقُوقِ .

وَإِنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ ٱلصَّدَقَةِ نَصِيباً مَفْرُوضاً وَحَقّاً مَعْلُوماً ، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ ، وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَإِلاَّ تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ ٱلنَّاسِ خُصُوماً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ ، وَبُؤْساً لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ ٱللهِ ٱلْفُقَرَاءُ وَٱلْمَسَاكِينُ وَٱلسَّائِلُونَ وَٱلْمَدْفُوعُونَ

---

(١) يعضههم : يرميهم بالعضيهة وهي الكذب ، والبهتان .

وَٱلْغَارِمُ وَٱبْنُ ٱلسَّبِيلِ . وَمَنِ ٱسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ وَرَتَعَ فِي ٱلْخِيَانَةِ وَلَمْ يُنزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي فِي ٱلدُّنْيَا ٱلْخِزيَ وَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَىٰ . وَإِنَّ وَإِنَّ أَعْظَمَ ٱلْخِيَانَةِ خِيَانَةُ ٱلْأُمَّةِ ، وَأَفْظَعَ ٱلْغِشِّ غِشُّ ٱلْأَئِمَّةِ . وَٱلسَّلَامُ .

العامل المذكور هو مخنف بن سليم الازدي كما نص على ذلك القاضي النعمان في « دعائم الاسلام » : ١ — ٢٥٢ قال :

عن علي عليه السلام انه اوصى مخنف بن سليم الازدي [١] وقد بعثه على الصدقة بوصية طويلة ، امره بتقوى الله ربه في سرائر اموره ، وخفيات اعماله ، وان يلقاهم ببسط الوجه ، ولين الجانب ، وامره ان يلزم التواضع ، ويجتنب التكبر ؛ فان الله يرفع المتواضعين ، ويضع المتكبرين ، ثم قال له :

يا مخنف بن سليم إن لك في هذه الصدقة نصيباً وحقاً مفروضاً ، ولك فيها شركاء فقراء ومساكين ، وغارمين ومجاهدين ، وابناء سبيل ، ومملوكين ، ومتألفين ، وانا موفوك حقك فوفهم حقوقهم ، وإلا فانك من اكثر الناس يوم القيامة خصماء ، وبؤساً لامرىء ان يكون خصمه مثل هؤلاء .

فترى ان رواية النعمان هذه مع تلخيصه لها تضمنت معنى ما ذكره الرضي من هذه الوصية .

---

(١) مخنف بن سليم الازدي الغامدي له صحبة وعداده في الكوفيين ، وكان من اصحاب علي عليه السلام استعمله على اصبهان ، وشهد معه صفين ، وكان معه راية الازد ، ومن ولد مخنف هذا ابو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد بن مخنف بن سليم صاحب السير والاخبار .

٢٧ ـ ومن عهدٍ له عليه السَّلامُ

إلى محمد بن أَبي بكر (رض) حين قلده مصر

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ[١] بَيْنَهُمْ فِي ٱللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ حَتَّى لا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلاَ يَيْأَسَ ٱلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ بِهِمْ، فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَىٰ يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ ٱلصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَٱلْكَبِيرَةِ، وَٱلظَّاهِرَةِ وَٱلْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ ٱلْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ ٱلدُّنْيَا وَآجِلِ ٱلْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ ٱلدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ ٱلدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ. سَكَنُوا ٱلدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا مِنَ ٱلدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ ٱلْمُتْرَفُونَ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ ٱلْجَبَابِرَةُ ٱلْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ ٱنْقَلَبُوا عَنْهَا

---

(١) آس : امر من آسى (بمد الهمزه) اي سوى ، واللحظة : اخف من النظرة .

بِالزَّادِ ٱلْمُبَلِّغِ وَٱلْمَتْجَرِ ٱلرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ ٱلدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ ٱللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ . لا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلاَ يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ ٱلْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ لاَ يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً ، أَوْ شَرٌّ لاَ يَكُونَ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً . فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا[1] ؟ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلنَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ؟ . وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ ٱلْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ . وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ . ٱلْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ[2] وَٱلدُّنْيَا تُطْوَىٰ مِنْ خَلْفِكُمْ . فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ . دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلاَ تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلاَ تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ . وَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ ٱللهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ

---

(١) استفهام بمعنى النفي ، اي لا اقرب إلى الجنة ممن يعمل لها ... الخ .

(٢) النواصي جمع ناصية : وهي مقدم شعر الرأس .

إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ[1] ، وَإِنَّ أَحْسَنَ ٱلنَّاسِ ظَنًّا بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلهِ .

وَٱعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ[2] ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلاَّ سَاعَةٌ مِنَ ٱلدَّهْرِ ، وَلاَ تُسْخِطِ ٱللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي ٱللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ .

صَلِّ ٱلصَّلاَةَ لِوَقْتِهَا ٱلْمُوَقَّتِ لَهَا ، وَلاَ تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ ، وَلاَ تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ . وَٱعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلاَتِكَ .

(وَمِنْهُ) فَإِنَّهُ لاَ سَوَاءٌ إِمَامُ ٱلْهُدَىٰ وَإِمَامُ ٱلرَّدَىٰ ، وَوَلِيُّ ٱلنَّبِيِّ وَعَدُوُّ ٱلنَّبِيِّ . وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ ٱللهِ صلى الله عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي لاَ أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِناً وَلاَ مُشْرِكاً . أَمَّا

---

(١) اي ان مقدار حسن ظن العبد بربه مطابق لمقدار خوفه منه .

(٢) محقوق : اي حقيق ، والمنافحة : المجالدة .

ٱلْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ ٱللَّهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا ٱلْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ ٱللَّهُ بِشِرْكِهِ ، وَلٰكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ ٱلْجَنَانِ عَالِمِ ٱللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ[1] .

هذا العهد كتبه امير المؤمنين عليه السلام لمحمد بن ابي بكر لما ولاه مصر ، وكان محمد رحمه الله ينظر فيه ، ويتأدب بأدبه ، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص وقتله اخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ، ويعجب منه ، فقال الوليد بن عقبة وهو عند معاوية ، وقد رأى إعجابه به : مر بهذه الاحاديث ان تحرق ، فقال معاوية : مه لا رأي لك ، فقال الوليد : أفمن الرأي ان يعلم الناس ان احاديث أبي تراب عندك تتعلم منها ! فقال معاوية : ويحك أتأمرني ان احرق علماً مثل هذا ؟ والله ما سمعت علماً هو اجمع منه ولا احكم ، فقال الوليد : ان كنت تعجب من علمه وقضائه فعلام تقاتله ؟ فقال : لولا ان ابا تراب قتل عثمان ثم افتانا لاخذنا عنه .

ثم سكت هنيهة ، ثم نظر إلى جلسائه ، فقال :

إنا لا نقول : إن هذه من كتب علي بن ابي طالب وكلامه ، ولكن نقول : هذا من كتب ابي بكر الصديق كانت عند ابنه محمد فنحن ننظر فيها ، ونأخذ منها .

فلم تزل تلك الكتب في خزائن بني امية حتى ولي عمر بن عبد العزيز ، فهو الذي اظهر انها من احاديث علي بن ابي طالب عليه السلام .

---

(١) صاحب هذه الصفة أضر على المؤمنين من الكافر ، لانه يقول بلسانه ما يعرف صوابه ، وما يفعل سراً لو علمه المؤمنون لا نكروا عليه .

روى ذلك ابراهيم بن هلال الثقفي في « كتاب الغارات » ص ٢٥٢

وليعلم ان ما ذكره الرضي من هذا العهد مختاره .

اما رواته قبل الرضي فمنهم :

١ ـ ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » ص ٢٣٢

٢ ـ ابن شعبة في « تحف العقول » : ص ١٧٦ .

ورواه بعد الرضي :

٣ ـ الشيخ المفيد في « المجالس » : ص ١٣٧ .

٤ ـ شيخ الطائفة في « الامالي » : ج ١ ـ ٢٤

٥ ـ الطبري في « بشارة المصطفى » ص ٥٢ .

وكل هؤلاء رووا هذا العهد بأسانيد ذكروها في كتبهم .

٦ ـ ابن ابي الحديد في « شرح النهج » : م ٢ ـ ٢٦ ، عن كتاب « الغارات » للثقفي .

٧ ـ الشيخ ورام ذكر فقرات منه في مجموعته ص ١٢ وص ٤٨٩ .

٢٨ ـ ومن كتاب له عليه السّلام

إلى معاوية جواباً ، وهو من محاسن الكتب

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ ٱصْطِفَاءَ ٱللهِ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِه لِدِينِهِ وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا ٱلدَّهْرُ مِنْكَ عَجَباً[1] إِذْ

---

(١) موضع العجب : ان معاوية يخبر علياً عليه السلام باصطفاء الله محمداً صلى الله عليه وآله وتشريفه له .

طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلاَءِ ٱللهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ ٱلتَّمْرِ إِلَى هَجَرَ١ أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى ٱلنِّضَالِ . وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلنَّاسِ فِي ٱلْإِسْلاَمِ فُلاَنٌ وَفُلاَنٌ ، فَذَكَرْتَ أَمْراً إِنْ تَمَّ ٱعْتَزَلَكَ كُلُّهُ٢ ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ تَلْحَقْكَ ثَلْمُهُ . وَمَا أَنْتَ وَٱلْفَاضِلَ وَٱلْمَفْضُولَ٣ ، وَٱلسَّائِسَ وَٱلْمَسُوسَ ؟ وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ ٱلطُّلَقَاءِ وَٱلتَّمْيِيزَ بَيْنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ ٱلْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ . هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا٤ ، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ ٱلْحُكْمُ لَهَا .

---

(١) هجر : هنا ناحية بالبحرين كثيرة النخل ، وقيل : ناحية البحرين كلها هجر ، واصل هذا المثل : ان رجلا قدم البصرة للتجارة فلم يجد فيها اكسد من التمر ، فاشترى بجميع ما معه من المال تمراً وحمله إلى هجر ، وادخره ينتظر به السعر فلم يزدد الا رخصاً حتى فسد جميعه وتلف ماله فضرب به المثل .

(٢) ان صح ما ادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه لانك بمعزل عنه .

(٣) وما للطلقاء .. الخ : استفهام على سبيل الاستحقار ، واستنكار عليه ان يخوض في مثل هذه الامور العظيمة مع حقارته .

(٤) حن : صوت ، والقدح – بكسر القاف – السهم من قداح الميسر ، وإذا كان احد القداح من غير اخواته فاجاله المفيض خرج له صوت يخالف اصواتها فيعرف به انه ليس من جملة القداح ؛ مثل يضرب لمن يفاخر بقوم ليس منهم ، وقد تمثل به عمر بن الخطاب « رضي الله عنه » حين امر رسول الله علياً عليهما السلام ان يضرب عنق عقبة بن ابي معيط فقال : اقتل من بين قريش فقال عمر : (حن قدح ليس منها) ، وذلك ان جده ذكوان غلام من اهل صفورية تبناه امية .

أَلاَ تَرْبَعُ أَيُّهَا ٱلإِنْسَانُ عَلَى ظَلَعِكَ[١] وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ؟ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ ٱلْقَدَرُ ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ ٱلْمَغْلُوبِ وَلاَ لَكَ ظَفَرُ ٱلظَّافِرِ .

وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي ٱلتِّيهِ[٢] رَوَّاغٌ عَنِ ٱلْقَصْدِ . أَلاَ تَرَى ـ غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلٰكِنْ بِنِعْمَةِ ٱللهِ أُحَدِّثُ ـ أَنَّ قَوْماً[٣] ٱسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ، حَتَّى إِذَا ٱسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا[٤] قِيلَ سَيِّدُ ٱلشُّهَدَاءِ ، وَخَصَّهُ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ . أَوَلاَ تَرَى أَنَّ قَوْماً قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللهِ ـ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ ـ حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ[٥] قِيلَ ٱلطَّيَّارُ فِي ٱلْجَنَّةِ وَذُو ٱلْجَنَاحَيْنِ ، وَلَوْلاَ مَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ ٱلْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ

---

(١) استفهام على سبيل التنبيه له على قصوره عن درجة السابقين ، واستعار لفظ الظلع لقصوره ، ووجه المشابهة قصوره عن لحاق رتبة السابقين كقصور البعير الظالع عن شأو الضليع .

(٢) التيه : الضلال ، والرواغ : الميال ، والقصد : الاعتدال .

(٣) قوله عليه السلام لست مخبراً لك : اي لست عندي اهلا لأخبرك بذلك ، و « ان قوماً » مفعول لترى .

(٤) يعني حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه .

(٥) المراد به جعفر بن ابي طالب رضوان الله عليه .

ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً[1] تَعْرِفُهَا قُلُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ تَمُجُّهَا آذَانُ ٱلسَّامِعِينَ فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ ٱلرَّمِيَّةُ[2] فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا[3] وَٱلنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا . لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا[4] وَلاَ عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ ٱلْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ . وَأَنَّى يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ وَمِنَّا ٱلنَّبِيُّ وَمِنْكُمُ ٱلْمُكَذِّبُ[5] ، وَمِنَّا أَسَدُ ٱللهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ ٱلْأَحْلاَفِ ، وَمِنَّا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ ٱلنَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ ٱلْعَالَمِينَ

---

(١) اشارة إلى نفسه عليه السلام .

(٢) الطريدة : التي يرميها الصائد ، والمراد بها الدنيا ، اي دع عنك من مال إلى الدنيا ومالت به من الطمع والمقاصد ، الذين يغرونك بالمضي في الباطل طلباً للدنيا وطمعاً فيها . قيل يعرض عليه السلام بهذا بعمرو بن العاص وامثاله من اصحاب معاوية وفي « نهاية الارب » ودع عنك من مالت به (الدنية) وهي الدنيا ، او الامر الخسيس .

(٣) يقال : (فلان صنيعة فلان) اذا اختصه لموضع نعمته كقوله تعالى : (واصطنعتك لنفسي) والمعنى : ان الله اصطفانا ، وجعل النبوة في بيتنا ومنه فاضت الهداية على الورى .

(٤) قديم مفعول (يمنع) والفاعل (ان خلطنا كم) والعادي : الاعتيادي المعروف ، والاكفاء : جمع كفء : وهو النظير في الشرف .

(٥) المكذب : عتبة بن ربيعة او شيبة وفيهما وفي جماعة من قريش نزل قوله تعالى : (ذرني والمكذبين) ، او المراد به ابو سفيان فان تكذيبه لرسول الله معلوم . و (اسد الله) حمزة و (اسد الاحلاف) عتبة بن ربيعة ووهم بعض شراح « النهج » فقال : اسد بن عبد العزى لانه من بني زهرة ولا يمكن ان يعير به معاوية و(سيدا شباب اهل الجنة) الحسن والحسين ، و (صبية النار) اولاد عقبة بن ابي معيط ، و (خير نساء العالمين) فاطمة بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما مر في مصادر الكلام برقم ٢٠٠ (خطب) ، و (حمالة الحطب) ام جميل عمة معاوية .

وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ ٱلْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ[١] .

فَإِسْلاَمُنَا قَدْ سُمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لاَ تُدْفَعُ[٢] ، وَكِتَابُ ٱللهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ « وَأُولُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ» وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ « إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ » فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَىٰ بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَىٰ بِالطَّاعَةِ . وَلَمَّا ٱحْتَجَّ ٱلْمُهَاجِرُونَ عَلَى ٱلْأَنْصَارِ يَوْمَ ٱلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ يَكُنِ ٱلْفَلْجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَىٰ دَعْوَاهُمْ[٣] .

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ ٱلْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَعَلَى كُلِّهِمْ

---

(١) اي هذه الفضائل المعدودة لنا واضدادها المسرودة لكم .

(٢) اشارة الى ان شرف بيته على غيره لا يخفى به في الاسلام فقط فان شرف هاشم في الجاهلية ايضاً مشهور ، ومكارم اخلاقهم لا يدفعها دافع .

(٣) وهو الزام لهم وصورته ان الانصار لما طلبوا الامامة لانفسهم وقالوا للمهاجرين (منا امير ومنكم امير) احتج المهاجرون عليهم بان رسول الله منهم وانه من شجرتهم فهم بذلك احق بالأمر من بعده فسلموا لهم ، ولا يخلو هذا التسليم اما لكونهم اقرب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الانصار او لغير ذلك ، فان كان الاول فاهل البيت اولى بذلك الحق لكونهم اقرب اليه صلى الله عليه وآله وسلم من غيرهم ، وهم ثمرة تلك الشجرة ، وان كان بغيره فحجة الانصار قائمة ، وهم على دعواهم .

بَغيتَ ، فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ ٱلْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ ٱلْعُذْرُ إِلَيْكَ . (وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا)١ .

وَقُلْتَ : «إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ ٱلْجَمَلُ ٱلْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ»٢ وَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ . وَمَا عَلَى ٱلْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً مَا لَمْ يَكُنْ شَاكاً فِي دِينِهِ وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ٣ . وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَىٰ غَيْرِكَ قَصْدُهَا ، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا٤ .

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ

---

(١) شكاة – بالفتح – اي نقيصة ، واصلها المرض ، وظاهر اي بعيد والشطر لابي ذؤيب واول البيت :

(وعيرها الواشون اني احبها وتلك ... الخ) .

(٢) المخشوش : الذي جعل في انفه الخشاش – ككتاب – وهو خشبة توضع في انف الفحل ليسهل قياده .

(٣) الغضاضة : النقص ، واراد معاوية الغض من الامام بقوده إلى البيعة يوم السقيفة ، فقلبه الامام عليه لعدم تفريقه بين ما يمدح به ويذم . وفي قوله عليه السلام : ما لم يكن شاكاً في دينه .. الخ تعريض بمعاوية كما لا يخفى .

(٤) اي ان حجتي هذه على كوني مظلوماً في اخذي لبيعة غيري فان المقصود بها غيرك ، إذ لست في هذا الامر بشيء فنتخاطب فيه و (سنح) بمعنى عرض .

عَنْ هٰذِهِ لِرَحْمِكَ مِنْهُ ١ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدٰى لَهُ وَأَهْدٰى إِلٰى مَقَاتِلِه٢ . أَمَّنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ٣ ، أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخٰى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ٤ حَتَّى أَتٰى قَدَرُهُ عَلَيْهِ . كَلاَّ وَاللهِ (لَقَدْ عَلِمَ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ٥ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلاَ يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلاَّ قَلِيلاً) .

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً٦ ، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لاَ ذَنْبَ لَهُ .

وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ٧ (وَمَا أَرَدْتُ إِلاَّ الْإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

---

(١) لقرابتك منه يصح الجدال معك فيه .

(٢) اعدى : اشد عدواناً ، والمقاتل : وجوه القتل .

(٣) اي طلب قعوده والكف عن نصرته .

(٤) وذلك ان عثمان بعث إلى معاوية مستصرخاً فلم يزل يعده ويتراخى عنه إلى ان قتل.

(٥) المانعون من النصرة .

(٦) نقم عليه : عاب عليه ، والاحداث جمع حدث : وهو البدعة .

(٧) الظنة – بكسر الظاء – : التهمة ، والمتنصح : المبالغ في النصح . والمذكور عجز بيت صدره :

وكم سقت في آثاركم من نصيحة ... وقد .... البيت

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا ٱلسَّيْفُ. فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ ٱسْتِعْبَارٍ١ ، مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ عَنِ ٱلْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ٢ وَبِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ .(لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ ٱلْهَيْجَا حَمَلْ)٣ . فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ٤ فِي جَحْفَلٍ مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ وَٱلتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ ، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ ٱلْمَوْتِ٤ أَحَبُّ ٱللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ «وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ» .

---

(١) الاستعبار : البكاء . وهو يضحك عجباً لتهديد معاوية له بعد بكائه على الدين الذي تلاعب به معاوية واشباهه .

(٢) الاستفهام انكاري ، والفيت : وجدت ، وناكلين : متأخرين .

(٣) لبث – بالتشديد – فعل امر ، اي امهل ، والهيجاء : الحرب ، وحمل – بالتحريك – هو حمل بن بدر القشيري اغير على ابله في الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل　　　ما احسن الموت اذا الموت نزل

(٤) مرقل : مسرع ، والجحفل : الجيش العظيم ، والقتام : الغبار ، وساطع : منتشر ، وسرابيل جمع سربال : وهو القميص او الدرع ، او كل ما لبس ، والمعنى أنهم مستعدون للموت ، مرحبون به .

كان معاوية قد كتب لامير المؤمنين عليه السلام كتاباً مع ابي امامة الباهلي [1] يقول فيه :

من معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب :

اما بعد : فان الله تعالى جده ، اصطفى محمداً عليه الصلاة والسلام لرسالته ، واختصه بوحيه وتأدية شريعته ، فأنقذ به من العماية، وهدى به من الغواية ، ثم قبضه اليه رشيداً حميداً ، قد بلغ الشرع ، ومحق الشرك ، واخمد نار الأفك ، فأحسن الله جزاءه ، وضاعف عليه نعمه وآلاءه .

ثم إن الله اختص محمداً عليه الصلاة والسلام بأصحاب ايدوه ونصروه ، وكانوا كما قال الله سبحانه لهم (اشداء على الكفار رحماء بينهم) ، فكان افضلهم مرتبة واعلاهم عند الله والمسلمين منزلة . الخليفة الاول الذي جمع الكلمة ، ولم الدعوة ، وقاتل اهل الردة ، ثم الخليفة الثاني الذي فتح الفتوح ، ومصر الأمصار ، واذل رقاب المشركين ، ثم الخليفة الثالث المظلوم ، الذي نشر الملة ، وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية .

فلما استوثق الاسلام ، وضرب بجرانه [2] عدوت عليه ، فبغيته الغوائل ، ونصبت له المكايد ، وضربت له بطن الامر وظهره ، ودسست عليه ، واغريت به وقعدت — حيث استنصرك — عن نصره ، وسألك ان تدركه قبل ان يمزق فما ادركته ، وما يوم المسلمين منك بواحد .

---

(١) ابو امامة « بضم الهمزة » : صدي « بالتصغير » بن العجلان الباهلي صحابي مشهور ، سكن مصر ثم انتقل إلى الشام فسكن حمص ، وبعثه معاوية الى علي عليه السلام مع ابي الدرداء بالكتاب المذكور ، وعاد بالجواب إلى معاوية ، واعتزل القتال ، ويقال : ان معاوية وضع عليه الحراس لئلا يلحق بامير المؤمنين عليه السلام ، وله رد على معاوية وقد قال له ذات يوم : انا خير من علي تجده في « التاسع » من « بحار الانوار » ص ٦٤٢ . ط الكمباني .

مات ابو امامة بحمص سنة « ٨١ » او « ٨٦ » وهو آخر من مات من الصحابة بالشام .

(٢) جران البعير مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره ، ومعنى ضرب الاسلام بجرانه : اي استقام وقر في قراره ، كما ان البعير اذا برك واستراح مد جرانه على الارض .

لقد حسدت ابا بكر والتويت عليه ، ورمت افساد امره ، وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس حتى تعدوا عن بيعته ، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته ، وسررت بقتله ، واظهرت الشماتة بمصابه ، حتى انك حاولت قتل ولده[1] لأنه قتل قاتل ابيه .

ثم لم يكن اشد منك حسداً لابن عمك عثمان ، نشرت مقابحه ، وطويت محاسنه ، وطعنت في فقهه ، ثم في دينه ، ثم في سيرته ، ثم في عقله ، واغريت به السفهاء من اصحابك وشيعتك ، حتى قتلوه بمحضر منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد وما من هؤلاء الا من بغيت عليه ، وتلكأت في بيعته ، حتى

---

(١) كان الهرمزان من عظماء الفرس ، وقد استولى على الاهواز ونواحيها فلما فتح المسلمون الاهواز سنة ١٧ ، حاصروا الهرمزان في قلعته ، فطلب الصلح على حكم عمر ، فارسلوا به إلى المدينة ، فلما مثل بين يدي عمر استسقى ، فاتي بماء ، فقال لعمر – وكان الترجمان بينهما المغيرة بن شعبة – : اخاف ان تقتلني وانا اشرب فقال عمر : لا بأس عليك حتى تشرب ، فرمى الهرمزان بالاناء فانكسر فقصد عمر قتله ؛ فقال : انك قد امنتني ، فقال عمر كذبت ، فقال الحاضرون من الصحابة انك امنته بقولك : لا بأس عليك حتى تشرب ولم يشرب ذلك الماء – قيل ان القائل هو علي عليه السلام – فتركه عمر وعفا عنه ، فلما رأى ذلك الهرمزان قال : أهكذا دينكم ! فاسلم وفرض عمر له الفين فسكن المدينة له ما للمسلمين وعليه ما عليهم .

قال ابن كثير : « وحسن اسلام الهرمزان فكان لا يفارق عمر » .

فلما قتل عمر اتهم الهرمزان بممالات ابي لؤلؤة ، فجاءه عبيد الله بن عمر فقال له : اصحبني ننظر إلى فرس لي – وكان الهرمزان بصيراً بالخيل – فخرج بين يدي عبيد الله فعلاه بالسيف فقتله وهو يقول : لا إله الا الله ، ثم قصد عبيد الله إلى جفينة – وهو رجل ذمي من النصارى من اهل الحيرة اقدمه سعد بن ابي وقاص المدينة ليعلم الناس الكتابة – ثم قصد ابنة ابي لؤلؤة وهي صغيرة فقتلها ، فاخذ عبيد الله وحبس حتى يتم الاستخلاف ، وقد اعظم المسلمون فعله ، فلما بويع عثمان استشار الصحابة في القضية فاشار علي عليه السلام بقتله ، وقال جماعة : بالأمس قتل عمر وتريدون ان تتبعوه ابنه اليوم ، فأخذ عثمان بقولهم وعفا عن عبيد الله ، فلما بويع علي عليه السلام طلب عبيد الله ليقتص منه فهرب إلى معاوية وقتل بين يديه يوم صفين وقد اشرنا إلى مقتله فيما مضى من هذا الكتاب « انظر ص ١٠ من هذا الجزء » .

حملت اليه قهراً تساق بخزام الإقتسار [1] كما يساق الفحل المخشوش . ثم نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك وسجراؤك[2] والمحدقون بك . وتلك من اماني النفوس ، وضلالات الاهواء .

فدع اللجاج والعبث جانباً ، وادفع الينا قتلة عثمان ، واعد الامر شورى بين المسلمين ، ليتفقوا على من هو لله رضى ، فلا بيعة لك في اعناقنا ، ولا طاعة لك علينا ، ولا عتبى [3] لك عندنا ، وليس لك ولاصحابك عندي الا السيف ، والذي لا اله الا هو لاطلبن قتلة عثمان اين كانوا ، وحيث كانوا ، حتى اقتلهم او تلحق روحي بالله .

فأما ما لا تزال تمن به من سابقتك وجهادك فأني وجدت الله سبحانه يقول (يمنون عليك أن اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم ، بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين)[4]ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها اشد الانفس امتناناً على الله بعملها ، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل اجر الصدقة فالامتنان على الله يبطل اجر الجهاد ، ويجعله (كصفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلداً [5] لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين) .

فاجابه امير المؤمنين عليه السلام في الكتاب المسطور .

وقد روى هذا الكتاب ابو العباس القلقشندي في « صبح الاعشى » : ج١ ص ٢٢٩ وشهاب الدين النويري في « نهاية الارب » ج ٧ ص ٢٣٣ .

---

(١) الاقتسار : القهر .
(٢) الخلصاء : جمع خلص – بالكسر – : وهو الصاحب ، والسجراء : جمع سجير – ككريم – وهو الخليل .
(٣) العتبى : الرضى .
(٤) الحجرات : ١٧ .
(٥) الصفوان : واحدته صفوانة ، وهي الحجر الصلب الضخم . والوابل : المطر ، والصلد : الصلب . والآية الكريمة في سورة البقرة : ٢٦٤

باختلاف قليل مع رواية الرضي في بعض الألفاظ ، وذلك ما نهتدي به إلى ان مصدرهما غير « نهج البلاغة » .

وقال ابن ابي الحديد : سألت النقيب ابا جعفر يحيى ين ابي زيد [1] فقلت له :

ارى هذا الجواب منطبقاً على جواب معاوية الذي بعثه مع ابي مسلم الخولاني إلى علي عليه السلام فان كان هذا هو الجواب فالجواب الذي ذكره ارباب السيرة ، واورده نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » اذن غير صحيح ، وان كان ذلك الجواب فهذا الجواب اذن غير صحيح ولا ثابت ، فقال : بل كلاهما ثابت مروي [2] ، وكلاهما كلام امير المؤمنين عليه السلام والفاظه ، ثم امرني ان اكتب ما يمليه علي فكتبته ، قال رحمه الله :

---

(١) ولد ابو جعفر يحيى بن محمد بن ابي زيد العلوي سنة « ٥٤٨ » بالبصرة ونشأ بها ، وتخرج على علمائها ، واخذ عن ادبائها ، وبرع في كثير من العلوم كالفقه والحديث واللغة والادب ، ونظم الشعر .

وولي نقابة الطالبيين بعد وفاة ابيه سنة « ٥٦٠ » في عهد المستنجد العباسي وله من العمر اثنتي عشرة سنة . واستبعد الدكتور مصطفى جواد ان يكون باشر مهام النقابة وهو بهذا السن ، وقال : ففي مثل هذا يجب ان يكون له نائب يباشرها عنه .

وقدم بغداد متظلماً من ناظر البصرة واجتمع في هذه القدمة بالناصر لدين الله وحبب اليه هذا الاجتماع الهجرة إلى بغداد فانتقل اليها سنة « ٦٠٥ » ، وكانت حافلة بالعلماء والأدباء ، وما حط رحله ببغداد حتى قصده طلاب الادب ، واهل الحديث ، ورواة الشعر والاخبار والانساب وكان من اقرب التلاميذ اليه ، واكثرهم اختلافاً إلى مجلسه عبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي ، وقد نثر ابن ابي الحديد في شرحه على « نهج البلاغة » بعض تقريراته في مختلف الفنون وجمعها الدكتور مصطفى جواد في كتابه « ابو جعفر النقيب » .

توفي ابو جعفر في شهر رمضان سنة « ٦١٣ » .

(٢) تأمل في قول النقيب رحمه الله : كلاهما ثابت مروي ... الخ .

كان معاوية يتسقط [1] علياً وينعي عليه ما عساه يذكره من حال ابي بكر وعمر ، وانهما غصباه حقه ، ولا يزال يكيده بالكتاب يكتبه ، والرسالة يبعثها يطلب غرته لينفث مافي صدره من حال ابي بكر وعمر ، اما مكاتبة او مراسلة فيجعل ذلك حجة عليه عند اهل الشام ، ويضيفه إلى ما قرَّره في انفسهم من ذنوبه – كما زعم – فقد كان غمصه [2] عندهم بأنه قتل عثمان ومالأ على قتله ، وانه قتل طلحة والزبير ، وأسر عائشة ، واراق دماء اهل البصرة . وبقيت خصلة واحدة ، وهو ان يثبت انه يتبرأ من ابي بكر وعمر ، وينسبهما إلى الظلم ، ومخالفة الرسول في أمر الخلافة ، وانهما وثبا عليها غلبة وغصباه اياها ، فكانت هذه الطامة الكبرى ليست مقتصرة على فساد اهل الشام عليه ، بل واهل العراق الذين هم جنده وبطانته وانصاره ، لأنهم كانوا يعتقدون امامة الشيخين الا القليل الشاذ من خواص الشيعة . فلما كتب ذلك الكتاب مع ابي مسلم الخولاني قصد ان يغضب علياً ويحوجه إذا قرأه إلى ذكر ابي بكر وانه افضل المسلمين إلاَّ ان يخط خطه في الجواب بكلمة تقتضي طعناً في ابي بكر فكان الجواب مجمجماً غير بيّن،ليس فيه تصريح في التظليم لهما ، ولا التصريح ببرائتهما . وتارة يترحم عليهما ، وتارة يقول : اخذا حقي وقد تركته لهما ، فاشار عمرو بن العاص على معاوية ان يكتب كتاباً مناسباً ثانياً للكتاب الاول ليستفزا فيه علياً عليه السلام ويستخفّاه ويحمله الغضب منه ان يكتب كلاماً يتعلقان به في تقبيح حاله وتهجين مذهبه .

وقال له عمرو : وان علياً رجل نزق [3] تيَّاه فما استطعمت منه الكلام بمثل تقريض ابي بكر وعمر فاكتب فكتب كتاباً انفذه مع ابي امامة الباهلي

---

(١) يتسقط يقال ، فلان يتسقط فلاناً أي : عالجه ليبوح بما عنده ، وينعى عليه : اظهر ذنوبه .

(٢) غمصه : هنا ، عابه .

(٣) النزق : الطائش .

وهو من الصحابة بعد ان عزم على بعثته مع ابي الدرداء[1] ونسخة الكتاب :
من عبد الله معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب :

اما بعد : فان الله تعالى جده اصطفى محمداً عليه السلام .. إلى آخر الكتاب الذي ذكرناه فيما تقدم .

ثم قال النقيب ابو جعفر : فلما وصل هذا الكتاب إلى علي عليه السلام مع ابي امامة الباهلي كلم ابا امامة بنحو مما كلم به ابا مسلم وكتب معه هذا الجواب .

قال النقيب : وفي كتاب معاوية هذا ذكر لفظ الجمل المخشوش أو الفحل المخشوش لا في الكتاب الواصل مع ابي مسلم . وليس في ذلك هذه اللفظة ، وإنما فيه حسدت الخلفاء ، وبغيت عليهم ، عرفنا ذلك من نظرك الشزر ، وقولك الهجر ، وتنفسك الصعداء ، وابطائك عن الخلفاء .

قال : وانما كثير من الناس لا يعرفون الكتابين والمشهور عندهم كتاب ابي مسلم فيجعلون هذه اللفظة فيه والصحيح انها في كتاب ابي امامة ، الا تراها عادت في جوابه ؟ ولو كانت في كتاب ابي مسلم لعادت في جوابه اه[2]

وعلى كل حال فالكتاب من كتبه عليه السلام المشهورة ومتنه يغني عن سنده . مضافاً إلى انه مروي قبل الرضي في « كتاب الفتوح » لابي محمد احمد بن اعثم الكوفي ج ٢ ص ٩٦١ مع زيادة فقرات لم تذكر في « النهج » .

---

(١) عويمر او عامر بن مالك بن زيد الانصاري صحابي معروف ، ولي قضاء دمشق من قبل عثمان بن عفان ، وقد وهم من قال : ان ابا الدرداء توفي قبل مقتل عثمان لاجماع اهل السيرة على انه من جملة الرسل إلى علي عليه السلام يطلب منه ان يدفع اليه قتلة عثمان ؛ ويقال ان ابا الدرداء من جملة من اعتزل القتال بصفين .

(٢) شرح النهج م ٣ ص ٤٤٧ .

٢٩ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل البصرة

وَقَدْ كَانَ مِنَ ٱنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبَوا عَنْهُ[١] فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ ، وَرَفَعْتُ ٱلسَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ . فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ ٱلْمُرْدِيَةُ وَسَفَهُ ٱلْآرَاءِ ٱلْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي فَهَا أَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي[٢] وَرَحَلْتُ رِكَابِي ، وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ ٱلْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلَعْقَةِ لَاعِقٍ[٣] ، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي ٱلطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي ٱلنَّصِيحَةِ حَقَّهُ ، غَيْرَ مُتَّهِماً إِلَى بَرِيءٍ ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ[٤] .

كتب عليه السلام هذا الكتاب مع جارية بن قدامة السعدي لما وجهه إلى

---

(١) ما لم تغبوا عنه : اي لم تسهو عنه ولم تغفوا .

(٢) قربت جيادي : امرت بتقريب خيلي لاركب واسير اليكم ، ورحلت ركابي : شددت على ظهورها الرحل ، والركاب : الابل .

(٣) مثل يضرب للشيء الحقير التافه ، واللعقة ـ بفتح اللام ـ : اللحسة ـ بضم اللام ـ ما تأخذه الملعقة .

(٤) الناكث : الناقض عهده .

البصرة لقمع فتنة ابن الحضرمي وقد مر فيما تقدم من هذه الكتاب مجمل القصة [١] ، واول هذا الكتاب :

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى من قرأ عليه كتابي هذا من ساكني البصرة من المؤمنين والمسلمين :

سلام عليكم ،

اما بعد : فان الله حليم ذو اناة ، لا يعجل بالعقوبة قبل البينة [٢] ، ولا يأخذ المذنب عند اول وهلة ، ولكنه يقبل التوبة ، ويستديم الأناة ، ويرضي بالانابة ليكون اعظم للحجة ، وابلغ في المعذرة ، وقد كان من انتشار حبلكم ، وشقاق جلكم . إلى آخر ما ذكره الرضي ، وبعده :

وإني لظان ان لا تجعلوا ان شاء الله على انفسكم سبيلا ، وقد قدمت هذا الكتاب اليكم حجة عليكم ، ولن اكتب اليكم من بعده كتاباً ان انتم استغششتم نصحي ونابذتم رسولي حتى اكون انا الشاخص اليكم ان شاء الله تعالى والسلام .

ص ٤٠٣

ذكر ذلك ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » بسند عن كعب بن قعين وصاحب « الغارات » متقدم على الشريف كما ذكرنا ذلك في غير موطن من هذا الكتاب .

٣٠ ـ ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

فَاتَّقِ ٱللَّهَ فِيمَا لَدَيْكَ ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ وَٱرْجِعْ

---

(١) انظر الجزء الاول ص ٦٢ و ٦٣ .

(٢) لعل الصواب : قبل النية .

إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَاماً وَاضِحَةً ، وَسُبُلاً نَيِّرَةً ، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً[1] وَغَايَةً مُطَّلَبَةً يَرِدُهَا ٱلْأَكْيَاسُ وَيُخَالِفُهَا ٱلْأَنْكَاسُ . مَنْ نَكَّبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ ٱلْحَقِّ وَخَبَطَ فِي ٱلتِّيهِ[2] ، وَغَيَّرَ ٱللهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ . فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَ ٱللهُ لَكَ سَبِيلَكَ . وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرّاً ، وَأَقْحَمَتْكَ غَيّاً[3] ، وَأَوْرَدَتْكَ ٱلْمَهَالِكَ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَسَالِكَ[4] .

اول هذا الكتاب :

اما بعد : فقد بلغني كتابك تذكر فيه مشاغبتي ، وتستقبح موازرتي ، وتزعمني متجبراً . وعن حق الله مقصراً . فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة ، وتستحسن العضيهة[5] ، فاني لم اشاغب الا في امر بمعروف ، او نهي عن منكر ، ولم اتجبر الا على باغ مارق ، او ملحد منافق ، ولم آخذ في ذلك الا

---

(١) المحجة : الطريق ، ونهجة واضحة ، ومطلبة : بمعنى متطلبة . والاكياس العقلاء ، والانكاس : الادنياء .

(٢) نكب : عدل ، وجار : مال ، وخبط مشى على غير هدى ، والتيه : الضلال .

(٣) أولجتك : أدخلتك ، واقحمتك : رمت بك ، والغي : ضد الرشاد .
ويروى (اوحلتك شراً) اي اورطتك في الوحل .

(٤) اوعرت : جعلتها وعرة : اي صعبة .

(٥) العضيهة : الكذب والبهتان .

بقول الله (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او ابناءهم)[1] .

واما التقصير في حق الله تعالى فمعاذ الله ، والمقصر في حق الله جل ثناؤه من عطل الحقوق المؤكدة ، وركن إلى الاهواء المبتدعة ، واخلد إلى الضلالة المحيرة .

ومن العجب ان تصف – يا معاوية – الاحسان ، وتخالف البرهان ، وتنكث الوثائق التي هي لله عز وجل طلبة وعلى عباده حجة ، مع نبذ الاسلام ، وتضييع الاحكام وطمس الاعلام ، والجري في الهوى ، والتهوس في الردى ، فاتق الله فيما بين يديك . إلى آخر ما ذكر في « النهج » . وفيه زيادات يسيرة لم يذكرها الرضي رحمه الله .

منها : وان للناس جماعة يد الله عليها ، وغضب الله على من خالفها ، فنفسك نفسك قبل حلول رمسك ، فانك إلى الله راجع ، وإلى حشره مهطع[2] وسيبهضك كربه ، ويحل بك غمه ، يوم لا يغني النادم ندمه ، ولا يقبل من المعتذر عذره ، (يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون)[3].

روى هذا الكتاب بهذه الصورة مع هذه الزيادة كل من ابن ابي الحديد ، وابن ميثم في شرحيهما على « نهج البلاغة »[4] وفي الاختلاف الجزئي بين روايتيهما دلالة على ان لكل واحد منهما مصدره الخاص .

ونضيف إلى ذلك ان السيد العلوي روى في « الطراز » : ج ٢ ص ١٢٣ بعض هذا الكتاب وفي روايته كلمات تختلف مع رواية الرضي مما يدل على ان مصدره غير « نهج البلاغة » فانه روى : (تاهت بك الامور) بمكان (تناهت) و (اوصلتك شراً) مكان (اولجتك) فتأمل .

---

(١) المجادلة : ٢٢ .
(٢) مهطع : اي مسرع .
(٣) الدخان : ٤١ .
(٤) شرح ابن ابي الحديد م ٤ ص ٤٤٩ .

٣١ - ومن وصيّة له عليه السّلام

للحسن بن علي عليهما السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفاً من صفين[١] .

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ . ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ[٢] ، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمُرِ ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ . ٱلذَّامِّ لِلدُّنْيَا ، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَىٰ . وَٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَداً . إِلَىٰ ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَا لاَ يُدْرَكُ ، أَلسَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ . وَرَمِيَّةِ ٱلْمَصَائِبِ[٣] . وَعَبْدِ ٱلدُّنْيَا . وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ . وَغَرِيمِ ٱلْمَنَايَا . وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ . وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ . وَقَرِينِ ٱلْأَحْزَانِ . وَنُصْبِ ٱلْآفَاتِ[٤]. وَصَرِيعِ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ ٱلْأَمْوَاتِ .

---

(١) حاضرين : اسم بلدة في نواحي صفين (قاله الشيخ محمد عبده) وقال ابن ابي الحديد كنا نقرأه قديماً كتبها بالحاضرين على صيغة التثنية ، يعني حاضر حلب وحاضر قنسرين وهي الارباض والنواحي المحيطة بهذه البلاد .

(٢) المقر للزمان : المعترف له بالشدة أو القهر والغلبة .

(٣) الرمية : الهدف .

(٤) نصب : اذا كانت بالضم فمن قولهم « فلان نصب عيني » اي لا يفارقني ، واذا كانت بفتحتين او فتح فسكون فالمراد به الغاية .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ ٱلدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ ٱلدَّهْرِ عَلَيَّ[1] وَإِقْبَالِ ٱلْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ[2] ، وَٱلاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ ٱلنَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ،فَصَدَفَنِي رَأْيِي[3] وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلىٰ جِدٍّ لاَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَصِدْقٍ لاَ يَشُوبُهُ كَذِبٌ.

وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ ٱلْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ .

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوى ٱللهِ أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَٱلْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ ؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوِّهِ

---

(١) جموح الدهر : استعصاؤه من قولهم جمح الفرس : اذا غلب صاحبه فلم يملكه .

(٢) يزعني اي يمنعني وتروى : يرغبني من رغب عنه اذا لم يرده .

(٣) صدفه عنه : اماله .

بِالْيَقِينِ ، وَنَوِّرْهُ بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ ٱلْمَوْتِ ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِـعَ ٱلدُّنْيَا ، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ ٱلدَّهْرِ وفُحْشَ تَقَلُّبِ ٱللَّيَالِي وَٱلأَيَّامِ ، وَٱعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ ٱلْمَاضِينَ ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ ٱلْأَوَّلِينَ ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِـمْ وَآثَارِهِـمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا ٱنْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا . فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ ٱنْتَقَلُوا عَنِ ٱلْأَحِبَّةِ ، وَحَلُّوا دِيَارَ ٱلْغُرْبَةِ ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِـمْ . فَاصْلِـحْ مَثْوَاكَ ، وَلاَ تَبِـعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ . وَدَعِ ٱلْقَوْلَ فِيمَا لاَ تَعْرِفُ وَٱلْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ . وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلاَلَتَهُ فَإِنَّ ٱلْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ ٱلضَّلاَلِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ ٱلْأَهْوَالِ . وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنْكِرِ ٱلْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ[1] . وَجَاهِدْ فِي ٱللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلاَ تَأْخُذْكَ فِي ٱللهِ لَوْمَةُ لاَئِـمٍ . وَخُضِ ٱلْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ ،

---

(١) باين : اي باعد .

وَتَفَقَّهْ فِي ٱلدِّينِ ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ ٱلتَّصَبُّرَ عَلَى ٱلْمَكْرُ
وَنِعْمَ ٱلْخُلُقُ ٱلتَّصَبُّرُ . وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي ٱلْأُمُورِ كُلِّ
إِلَىٰ إِلَٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَىٰ كَهْفٍ حَرِيزٍ١ ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ
وَأَخْلِصْ فِي ٱلْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ بِيَدِهِ ٱلْعَطَاءَ وَٱلْحِرْمَانَ
وَأَكْثِرِ ٱلاسْتِخَارَةَ٢ وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْ
صَفْحاً٣ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلْقَوْلِ مَا نَفَعَ . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِ
عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ .

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنّاً ، وَرَأَيْتُنِ
أَزْدَادُ وَهْناً بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأَوْرَدْتُ خِصَا
مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِ
فِي نَفْسِي ، وَأَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقَصْتُ فِ
جِسْمِي ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ ٱلْهَوَى وَفِتَ
ٱلدُّنْيَا ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ ٱلنَّفُورِ . وَإِنَّمَا قَلْبُ ٱلْحَدَ

---

(١) استعار عليه السلام لفظ الكهف له تعالى باعتبار ان من توكل عليه كفاه ومنعه يمنع الكهف من يلتجيء اليه .

(٢) الاستخارة : الطلب إلى الله سبحانه ان يخير له فيما يأتي ويذر .

(٣) صفحاً : جانباً ، وانتصب على الحال .

كَالْأَرْضِ ٱلْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ . فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ ٱلتَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ ٱلطَّلَبِ ، وَعُوفِيتَ مِنْ عِلاَجِ ٱلتَّجْرِبَةِ ، فَأَتَاكَ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ ، وَٱسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ١ .

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ ، بَلْ كَأَنِّي بِمَا ٱنْتَهٰى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلٰى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ٢ وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ

---

(١) اتاك ... الخ : اي تجشم غيرك به المشقة في اكتسابه جاءك عفواً صفواً ، واستبان . بمعنى ظهر .

(٢) النخيل المختار المصطفى ، و، ، نخيله : اي خلاصته ، ر ° ويروى جليلة اي عظيمة ، وتوخيت لك : اي تطلبته دون سواك .

عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي ٱلْوَالِدَ ٱلشَّفِيقَ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ أَنْ يَكُونَ[١] ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ ٱلْعُمُرِ وَمُقْتَبِلُ ٱلدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ ٱللهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ ٱلإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أُجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ . ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ[٢] ، فَكَانَ إِحْكَامُ ذٰلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ ٱلْهَلَكَةَ . وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ ٱللهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى ٱللهِ وَٱلاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ ٱللهُ عَلَيْكَ ، وَٱلأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ ٱلأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ ، وَٱلصَّالِحُونَ

---

(١) ان يكون في محل نصب مفعول اول لرأيت والمفعول الثاني لرأيت محذوف تقديره انفع واصلح .

(٢) التبس تشابه واختلف ، والمعنى : خفت ان يلتبس ما اختلف الناس فيه من اهوائهم وآرائهم مثل ما التبس عليهم .

مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ١ ، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَى ٱلْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَٱلْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا. فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ ، لَا بِتَوَرُّطِ ٱلشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ ٱلْخُصُومَاتِ٢ . وَٱبْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ بِالاسْتِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ وَٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ٣ ، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ . فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ قَدْ صَفَا قَلْبُكَ فَخَشَعَ ، وَتَمَّ رَأْيُكَ فَٱجْتَمَعَ ، وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذٰلِكَ هَمّاً وَاحِداً فَٱنْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ . وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ ، وَفَرَاغِ نَظَرِكَ وَفِكْرِكَ فَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخْبِطُ ٱلْعَشْوَاءَ٤ ،

---

(١) امره بالاقتصار على ما افترضه عليه من النظر في ظواهر الادلة دون التوغل في الفكر وخوض الشبهات مما لم يكلف به اخذا بما مضى عليه الصالحون من اهل بيته .

(٢) « علو الخصومات » اي رفع الاصوات بالخصومة والجدال ، والمعنى : ان ابت نفسك الاقتصار على ما افترضه الله عليك فليكن طلبك لما انت طالب بتفهم وتعلم لا بجدال وخصومة ، وان يبدأ قبل نظره في ذلك الطلب بالاستعانة بالله والرغبة اليه في توفيقه لاصابة الحق ، والوصول اليه .

(٣) الشائبة : ما يشوب الفكر من شك وحيرة ، واولجتك ادخلتك .

(٤) العشواء : الناقة التي لا تبصر امامها ، وخبط العشواء ، ركوب الامر على غير بصيرة ، وتورط في الامر على صعوبة في التخلص منه .

وَتَتَوَرطُ ٱلْظَّلْمَاءَ . وَلَيْسَ طَالِبُ ٱلدِّينِ مَنْ خَبَطَ أَوْ خَلَطَ ، وَٱلْإِمْسَاكُ عَنْ ذٰلِكَ أَمْثَلُ[١] .

فَتَفَهَّمْ يَا بُنَيَّ وَصِيَّتِي ، وَٱعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ ٱلْمَوْتِ هُوَ مَالِكُ ٱلْحَيَاةِ ، وَأَنَّ ٱلْخَالِقَ هُوَ ٱلْمُمِيتُ ، وَأَنَّ ٱلْمُفْنِيَ هُوَ ٱلْمُعِيدُ ، وَأَنَّ ٱلْمُبْتَلِيَ هُوَ ٱلْمُعَافِي ، وَأَنَّ ٱلدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ إِلاَّ عَلَى مَا جَعَلَهَا ٱللهُ عَلَيْهِ مِنْ ٱلنَّعْمَاءِ[٢] ، وَٱلِابْتِلاَءِ ، وَٱلْجَزَاءِ فِي ٱلْمَعَادِ أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لاَ نَعْلَمُ ، فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذٰلِكَ فَٱحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جَاهِلاً ثُمَّ عَلِمْتَ . وَمَا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ ٱلْأَمْرِ وَيَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيُكَ وَيَضِلُّ فِيهِ بَصَرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذٰلِكَ . فَاعْتَصِمْ بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ[٣] .

---

(١) امثل : افضل .

(٢) اي لا ثبت الدنيا الا على ما اثبته الله في طبيعتها من التلون بالنعماء تارة ، والاختبار بالبلاء تارة ، واعقابها للجزاء في المعاد على الخير خيراً ، وعلى الشر شراً .

(٣) شفقتك : اي خوفك .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَداً لَمْ يُنْبِئْ عَنِ ٱللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ ٱلرَّسُولُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَارْضَ بِهِ رَائِداً[١]. وَإِلَى ٱلنَّجَاةِ قَائِداً ، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً[٢] . وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي ٱلنَّظَرِ لِنَفْسِكَ – وَإِنِ ٱجْتَهَدْتَ – مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَلٰكِنَّهُ إِلٰهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ . لاَ يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلاَ يَزُولُ أَبَداً . وَلَمْ يَزَلْ ، أَوَّلٌ قَبْلَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلاَ أَوَّلِيَّةٍ[٣] ، وَآخِرٌ بَعْدَ ٱلْأَشْيَاءِ بِلاَ نِهَايَةٍ . عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذٰلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي

---

(١) الرائد : من يتقدم القوم في طلب الكلأ لتعرف موقعه ، واستعار عليه السلام لفظة الرائد باعتبار انه قد اختبر ما في الآخرة من الثواب المقيم ، والسعادة الدائمة وبشر به امته كما يبشر الرائد اهله .

(٢) اي لم اقصر في نصحك ، ونصحاً منصوب على التمييز لا على المفعولية ، لان الفعل لازم .

(٣) هو سبحانه اول بالنسبة الى الاشياء لكونه قبلها الا انه جل جلاله لا اولية اي لا ابتداء له ، وكذلك هو تعالى آخر الاشياء آخرية مطلقة ليس تنتهي إلى غاية معينة .

صِغَرِ خَطَرِه[1] ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِه ، وَكَثْرَةِ عَجْزِه ؛ وَعَظِيمِ حَاجَتِه إِلَى رَبِّه فِي طَلَبِ طَاعَتِه ، وَٱلرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِه ، وَٱلشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلاَّ بِحَسَنٍ وَلَمْ يَنْهَكَ إِلاَّ عَنْ قَبِيحٍ .

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَٱنْتِقَالِهَا ، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ ٱلْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا ، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا ٱلْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا . إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ ٱلدُّنْيَا[2] كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً ، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ ٱلطَّرِيقِ[3] وَفِرَاقَ ٱلصَّدِيقِ ، وَخُشُونَةَ ٱلسَّفَرِ ، وَجُشُوبَةَ ٱلْمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً ، وَلاَ يَرَوْنَ نَفَقَةً فِيهِ مَغْرَماً ، وَلاَ شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ :

---

(١) الخطر : القدر .

(٢) تحذو : تقتدي وخبر الدنيا : عرفها كما هي بامتحان احوالها ، والسفر : المسافرون ، ونبا المنزل بأهله : لم يطب لهم المقام فيه ، واموا : قصدوا ، والجناب الفناء والمريع ذو الكلأ والخصب .

(٣) وعثاء السفر : مشقته ، وجشوبة المطعم : غلظته ، او كون الطعام بلا ادام .

وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ .

وَمَثَلُ مَنِ ٱغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلاَ أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ[1] وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ .

يَا بُنَيَّ ٱجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ ، وَٱكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا ، وَلاَ تَظْلِمْ كَمَا لاَ تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ . وَٱسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَٱرْضَ مِنَ ٱلنَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[2] . وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ ، وَلاَ تَقُلْ مَا لاَ تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلإِعْجَابَ ضِدُّ ٱلصَّوَابِ وَآفَةُ ٱلأَلْبَابِ[3] .

---

(١) هجم عليه : وقع عليه بغتة .

(٢) اي كل ما رضي ان يفعله بهم فينبغي ان يرضى بمثله منهم وتروى (وارض من الناس لك) قال ابن ابي الحديد : وهي الحسن .

(٣) الاعجاب استحسان ما يصدر عن النفس مطلقاً ، وهو ضد الصواب ، وآفة العقول .

فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[1] وَلاَ تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[2] . وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ .

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[3] وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ . وَأَنَّهُ لاَ غِنَى فِيهِ عَنْ حُسْنِ الارْتِيَادِ[4] .وَقَدِّرْ بَلاَغَكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ . فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبَالاً عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ[5] . وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلاَ تَجِدُهُ . وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ .

---

(١) الكدح اشد السعي ، قيل والمراد به هنا : المال الذي كدح في حصوله والسعي فيه : انفاقه في وجوه البر .

(٢) يعني الوارثين .

(٣) هو طريق الآخرة ، وفي هذا الطريق شدائد يعسر النجاة منها ، ولذا كان عليه السلام يتأوه من بعد هذا السفر .

(٤) الارتياد : الطلب ، والبلاغ : الكفاية ، وخفة الظهر : كناية عن تقليل اكتساب الآثام

(٥) الفاقة : الفقر ، واستعار للمتصدق عليه لفظ الحامل باعتبار انه سبب لوصول ثوابها إلى المتصدق يوم القيامة ، وهذا معنى الموافاة بها غداً ، قيل وهذا الكلام من افصح ما قيل في الحث على الصدقة .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةً كَؤُوداً[1] ، ٱلْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالاً مِنَ ٱلْمُثْقِلِ ، وَٱلْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالاً مِنَ ٱلْمُسْرِعِ ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لاَ مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ . فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ[2] وَوَطِّئِ ٱلْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ ، فَلَيْسَ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ[3] ، وَلاَ إِلَىٰ ٱلدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي ٱلدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِٱلْإِجَابَةِ ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَىٰ مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ ٱلتَّوْبَةِ ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِٱلنِّقْمَةِ ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِٱلْإِنَابَةِ[4] وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ ٱلْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَىٰ ، وَلَمْ يُشَدِّدْ

---

(١) كؤود : صعبة المرتقى ، والمخف – بضم فكسر – من خفف حمله والمراد به قلة الآثام والمثقل بعكسه .

(٢) ارتد لنفسك : ابعث رائداً من طيبات الاعمال توفقك الثقة به على جودة المنزل ووطىء المنزل : اي مهده بالعمل الصالح وتروى ووطن .

(٣) الاستعتاب : طلب الرضا ، والمنصرف : العودة .

(٤) رويت بالنون وبالمثلثة فبالأول معناها الرجوع إلى الله وبالثانية تحتمل معنيين : الاول كمعنى السابقة من ثاب اذا رجع ، والثاني بمعنى الثواب .

عَلَيْكَ فِي قَبُولِ ٱلْإِنَابَةِ ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ . بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ ٱلذَّنْبِ حَسَنَةً[1] ، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً ، وَحَسَبَ حَسَنَتَكَ عَشْراً ، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ ٱلْمَتَابِ . فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ[2] ، فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ[3] ، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ ، وَٱسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[4] ، وَٱسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ ٱلْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ ٱلْأَبْدَانِ وَسَعَةِ ٱلْأَرْزَاقِ . ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ ، فَمَتَى شِئْتَ ٱسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ ، وَٱسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ[5] . فَلاَ يُقْنِطَنَّكَ

---

(١) النزوع عن الذنب : الخروج منه .

(٢) النجوى : المحادثة سراً .

(٣) افضيت : القيت ، وابثثته ذات نفسك : كاشفته بحاجتك .

(٤) اي طلبت اليه كشفها .

(٥) شآبيب : جمع شؤبوب « بالضم » وهو الدفعة من المطر ، واستعار عليه السلام الاستمطار لطلب نعم الله تعالى ملاحظة لشبهها بالمطر في كونها سبباً للحياة وصلاح الحال في الدنيا ، ولشبه طالبها بالمستمطر .

إِبْطَاءُ إِجَابَتِه١ فَإِنَّ ٱلْعَطِيَّةَ عَلَىٰ قَدْرِ ٱلنِّيَةِ ، وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ ٱلْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذٰلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ ٱلسَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ ٱلْآمِلِ . وَرُبَّمَا سَأَلْتَ ٱلشَّيْءَ فَلاَ تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْراً مِنْهُ عَاجِلاً أَوْ آجِلاً ، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ . فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلاَكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ . فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ . فَالْمَالُ لاَ يَبْقَىٰ لَكَ وَلاَ تَبْقَىٰ لَهُ .

وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لاَ لِلدُّنْيَا ، وَلِلْفَنَاءِ لاَ لِلْبَقَاءِ ، وَلِلْمَوْتِ لاَ لِلْحَيَاةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ٢ وَدَارِ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقٍ إِلَى ٱلْآخِرَةِ ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِي لاَ يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ وَلاَ يَفُوتُهُ طَالِبُهُ ، وَلاَ بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَىٰ حَذَرِ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَىٰ حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ

---

(١) القنوط : اليأس . والعطية على قدر النية : اي ان الاجابة موقوفة على الاستعداد باخلاص النية ، فبقدر ما يستجيب العبد لربه يستجيب الرب لعبده ، قال تعالى : « فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون » .

(٢) منزل قلعة : لا يصلح للاستيطان ، او لا يملك لنازله ولا يدري متى ينتقل عنه ، والبلغة : الكفاية اي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة .

ذٰلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ .

يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[1] ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ ، وَلاَ يَأْتِيكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[2] . وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلاَدِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا[3] ، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا ، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا[4] ، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا ، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلاَبٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضاً[5] ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا . نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[6] ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا[7] وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا ، سُرُوحُ عَاهَةٍ[8] بِوَادٍ وَعْثٍ .

---

(١) الحذر : « بالكسر » الاحتراز ، والازر : « بالفتح » القوة .

(٢) يبهره : يغلبه ويتعبه ، واصل البهر تتابع النفس من التعب .

(٣) اخلد إلى كذا : استند اليه ، والتكالب : التواثب .

(٤) النعي في الاصل خبر الموت ، وحيث ان الدنيا تخبر بحالها عن فنائها فكأنها نعت نفسها ، وتروى نعت فعل ما ضي من النعت وهو الوصف فيكون معطوفاً على نبأ .

(٥) ضارية : مولعة بالافتراس ، والهرير : صوت الكلب دون نباحه .

(٦) النعم : « بالتحريك » الابل ومعقلة : مقيدة .

(٧) اضلت : اضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول .

(٨) السروح بالضم جمع سرح بفتح فسكون : وهي الانعام السائمة ، والوعث : الرخو ويصعب السير فيه .

لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ، وَلاَ مُقِيمٌ يُسِيمُهَا[1] . سَلَكَتْ بِهِـمُ ٱلدُّنْيَا طَرِيقَ ٱلْعَمٰى ، وَأَخَذَتْ بِـأَبْصَارِهِـمْ عَنْ مَنَارِ ٱلْهُدٰى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا ، وَٱتَّخَذُوهَا رَبّاً فَلَعِبَتْ بِهِـمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا.

رُوَيْداً يُسْفِرُ ٱلظَّلاَمُ[2] . كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ ٱلْأَظْعَانُ[3] . يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ .

وَٱعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفاً ، وَيَقْطَعُ ٱلْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيماً وَادِعاً[4].

وَٱعْلَمْ يَقِيناً أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ . فَخَفِّضْ فِي ٱلطَّلَبِ[5] ،

---

(١) المسيم : الراعي ، واسام الدابة : سرحها إلى المرعى .

(٢) رويداً : امهل وتأن ، ويسفر : يكشف ، والمعنى : عن قريب يكشف ظلام الجهل عما خفي من الحقيقة بحلول الموت .

(٣) الاظعان جمع ظعينة : وهي الهودج تركب فيه المرأة ؛ قال ابن ابي الحديد : استقرأني ابو الفرج محمد بن عباد رحمه الله – وانا يومئذ حدث – هذه الوصية فقرأتها عليه من حفظي فلما وصلت إلى هذا الموضع صاح صيحة شديدة وسقط وكان جباراً قاسي القلب .

(٤) الوادع : الساكن المستريح .

(٥) خفض : امر من خفض بالتشديد اي ارفق وفي معناها اجمل .

وَأَجْمِلْ فِي ٱلْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[1]. فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ ، وَلاَ كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ . وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى ٱلرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضاً[2] ، وَلاَ تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ ٱللهُ حُرّاً . وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لاَ يَنَالُ إِلاَّ بِشَرٍّ[3] ، وَيُسْرٍ لاَ يُنَالُ إِلاَّ بِعُسْرٍ[4] .

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا ٱلطَّمَعِ[5] فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ ٱلْهَلَكَةِ . وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لاَ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ . فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ . وَإِنَّ ٱلْيَسِيرَ مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ ٱلْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ .

وَتَلاَ فِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا

---

(١) الحرب – بالتحريك – سلب المال .
(٢) الرغايب جمع الرغيبة : وهو الامر المرغوب فيه .
(٣) يريد اي خير فيما سمي خيراً وهو لا يتوصل اليه الا بالشر .
(٤) الانسان انما يطلب اليسر فراراً من العسر ، فاذا كان اليسر لا ينال الا بالعسر فقد وقع فيما هرب منه .
(٥) توجف : تسرع ، والمناهل : ما ترده الابل ونحوها للشرب .

فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ[1] ، وَحِفْظُ مَا فِي ٱلْوِعَاءِ بِشَدِّ ٱلْوِكَاءِ . وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ[2] . وَمَرَارَةُ ٱلْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ ٱلطَّلَبِ إِلىٰ ٱلنَّاسِ . وَٱلْحِرْفَةُ مَعَ ٱلْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ ٱلْغِنىٰ مَعَ ٱلْفُجُورِ . وَٱلْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ[3] . وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ[4] . مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[5] . وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . قَارِنْ أَهْلَ ٱلْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ ، وَبَايِنْ أَهْلَ ٱلشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ . بِئْسَ ٱلطَّعَامُ ٱلْحَرَامُ . وَظُلْمُ ٱلضَّعِيفِ أَفْحَشُ ٱلظُّلْمِ . إِذَا كَانَ ٱلرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ ٱلْخُرْقُ رِفْقاً[6] . رُبَّمَا كَانَ ٱلدَّوَاءُ دَاءً وَٱلدَّاءُ دَوَاءً . وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ ٱلنَّاصِحِ ، وَغَشَّ ٱلْمُسْتَنْصَحُ[7] .

---

(١) التلافي : التدارك لاصلاح ما فسد او كاد . وما فرط : قصر عن افادة الغرض ، وادراك ما فات : هو اللحاق به لاسترجاعه وفات هنا سبق إلى غير صواب .

(٢) ارشاد للاقتصاد في المال ، وليس مراد امير المؤمنين عليه السلام وصايته بالامساك والبخل بل نهيه عن التفريط والتبذير قال تعالى « ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً » .

(٣) اي الاولى ان لا تبوح بسرك الى احد فانت احفظ له من غيرك .

(٤) قد يسعى الانسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده لخضوع الامور للمقادير .

(٥) اهجر : هذى في كلامه او افحش في منطقه وهذا مثل قوله عليه السلام : « من كثر كلامه كثر سقطه » .

(٦) الخرق – بالتحريك او بضم الخاء وسكون الراء – : ضد الرفق ، وقد يكون الرفق في بعض المواطن كالخرق في مضرته فاللازم وضع كل واحد منهما في موضعه حسب ما تقتضيه المصلحة .

(٧) المستنصح – على زنة اسم المفعول – المطلوب منه النصح .

وَإِيَّاكَ وَٱتِّكَالَكَ عَلَى ٱلْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ ٱلْمَوْتَى ١ ، وَٱلْعَقْلُ حِفْظُ ٱلتَّجَارِبِ . وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ ٢ . بَادِرِ ٱلْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ . وَلاَ كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ . وَمِنَ ٱلْفَسَادِ إِضَاعَةُ ٱلزَّادِ ٣ وَمَفْسَدَةُ ٱلْمَعَادِ . وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ . سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ . ٱلتَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ . لاَ خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ ٤ وَلاَ فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ . سَاهِلِ ٱلدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ ٥ . وَلاَ تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ ٱللَّجَاجِ ٦ . ٱحْمِلْ

---

(١) المنى : جمع منية – بضم فسكون – وهو ما يتمناه الانسان من نفسه ويعلل نفسه باحتمال وصول اليه ، وهي بضائع الموتى لأن المتجر فيها يموت ولا يصل إلى شيء ، (وهي رأس مال نفس) اذا لم تكن مقرونة بالعمل ، وتروى « بضائع النوكى » جمع انوك وهو الأحمق الضعيف العقل .

(٢) افضل التجربة ما زجرت عن سيئة ، وحملت على حسنة ، وتلك الموعظة .

(٣) زاد التقوى ، او المراد اضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف في الشهوات .

(٤) مهين : اما بفتح الميم بمعنى حقير ، فان الحقير لا يصلح ان يكون معيناً ، او بضمها بمعنى فاعل الاهانة ، فيعينك ويهينك فيفسد ما يصلح ، والظنين بالظاء المتهم ، وبالضاد البخيل . وبهما يروى .

(٥) القعود : البكر حين يمكن ظهره من الركوب إلى ان يثني ، اي ساهل الدهر ما دام منقاداً وخذ حظك من قياده .

(٦) اللجج – بالفتح – الخصومة وتروى : اياك ان تطيح بك مطية اللجاج : وأطاح به هلكه . والمعنى : احذرك من ان تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع في مضارها .

نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى ٱلصِّلَةِ[1] ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى ٱللُّطْفِ وَٱلْمُقَارَبَةِ ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى ٱلْبَذْلِ[2] ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى ٱلدُّنُوِّ ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى ٱللِّينِ ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى ٱلْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذٰلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ . لاَ تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ . وَٱمْحَضْ أَخَاكَ ٱلنَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . وَتَجَرَّعِ ٱلْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَىٰ مِنْهَا عَاقِبَةً وَلاَ أَلَذَّ مَغَبَّةً[3] . وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ[4] فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ . وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِٱلْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَىٰ ٱلظَّفَرَيْنِ[5] وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَٱسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً

---

(١) الصرم : القطيعة .

(٢) اللطف – بفتح اللام – : من الطفه بكذا : اي بره ، واللطف – بضم اللام – الرفق بالامر ، وقرأت بهما ، والجمود : البخل ، اوصاه اذا قطعه اخوه ان يصله ، واذا جفاه ان يبره ، واذا بخل عليه ان يجود عليه إلى آخره حتى يكون كأنه عبد له ، او كأنه المنعم عليه بشرط ان يضع ذلك في موضعه ويفعله مع مستحقه .

(٣) المغبة : العاقبة .

(٤) لن : امر من اللين .

(٥) تروى : « احد الظفرين » .

مَا[1] . وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْراً فَصَدِّقْ ظَنَّهُ[2] . وَلاَ تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ ٱتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ . وَلاَ يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى ٱلْخَلْقِ بِكَ . وَلاَ تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ . وَلاَ يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ[3] وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى ٱلْإِحْسَانِ ، وَلاَ يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ . وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ .

وَٱعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ ٱلرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ . مَا أَقْبَحَ ٱلْخُضُوعَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْجَفَاءَ عِنْدَ ٱلْغِنَى ؟ إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ[4] . وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ

(١) اي بقية من الصلة يسهل معها الرجوع اليك اذا ظهر له حسن العودة .
(٢) صدقه : بلزوم ما ظن بك من الخير .
(٣) مراده اذا اتى اخوك باسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يكونن هو اقدر على ما يوجب القطيعة منك على ما يوجب الصلة .
(٤) منزلتك من الكرامة في الدنيا والآخرة .

يَدَيْكَ[1] فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . ٱسْتَدِلَّ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ . فَإِنَّ ٱلْأُمُورَ أَشْبَاهٌ وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ ٱلْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ ، فَإِنَّ ٱلْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِٱلْآدَابِ وَٱلْبَهَائِمُ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ . ٱطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ ٱلْهُمُومِ بِعَزَائِمِ ٱلصَّبْرِ وَحُسْنِ ٱلْيَقِينِ . مَنْ تَرَكَ ٱلْقَصْدَ جَارَ[2] وَٱلصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ[3] . وَٱلصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[4] . وَٱلْهَوَى شَرِيكُ ٱلْعَمَى[5] رُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . وَٱلْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّى ٱلْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ . وَمَنِ ٱقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ . وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللّٰهِ سُبْحَانَهُ . وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ[6] قَدْ يَكُونُ ٱلْيَأْسُ

---

(١) اي لا ينبغي ان تجزع على ما ذهب من مالك كما لا ينبغي ان تجزع على ما فاتك من المنافع والمكاسب فانه لا فرق بينهما الا ان هذا حصل ، وذاك لم يحصل وهو لا يحصر فينال فالجزع عليه غير لائق فكذا الاول .

(٢) عزائم الصبر : ما جزمت به منه ولزمته . والقصد : الاعتدال ، وجار مال عن الصواب

(٣) يراعى فيه ما يراعى في قرابة النسب .

(٤) عرف الصديق الحق بعلامته وهي حفظه لحقك وهو غائب عنك .

(٥) الهوى . شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والادب .

(٦) لم يبالك : لم يهتم بأمرك .

دَرَاكَ إِذَا كَانَ ٱلطَّمَعُ هَلَاكاً . لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ . وَرُبَّمَا أَخْطَأَ ٱلْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَأَصَابَ ٱلْأَعْمَى رُشْدَهُ . أَخِّرِ ٱلشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ[1] . وَقَطِيعَةُ ٱلْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ ٱلْعَاقِلِ . مَنْ أَمِنَ ٱلزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ[2] . لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ . إِذَا تَغَيَّرَ ٱلسُّلْطَانُ تَغَيَّرَ ٱلزَّمَانُ . سَلْ عَنِ ٱلرَّفِيقِ قَبْلَ ٱلطَّرِيقِ ، وَعَنِ ٱلْجَارِ قَبْلَ ٱلدَّارِ . إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكاً وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ ٱلنِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَىٰ أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَىٰ وَهْنٍ[3] . وَٱكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ ٱلْحِجَابِ أَبْقَىٰ عَلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ[4] ، وَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ . وَلَا تُمَلِّكِ ٱلْمَرْأَةَ

---

(١) هذا مثل قولهم ابدأ بالحسنة قبل السيئة فلست بمستطيع للحسنة في كل وقت وانت على الاساءة مهما شئت قادر .

(٢) لان من هاب شيئاً سلطه على نفسه .

(٣) الأفن : ضعف الرأي ، والوهن : الضعف .

(٤) نهاه ان يدخل عليهن من لايوثق به وهو اعم من الرجال والنساء قال ان خروجهن اهون من ذلك ، وذلك ان دخوله عليهن امكن لخلوته بهن ، والحديث معهن ممن يراهن في الطرقات .

مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ ٱلْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ[1] وَلاَ تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلاَ تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِهَا . وَإِيَّاكَ وَٱلتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ[2] فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى ٱلسُّقْمِ وَٱلْبَرِيئَةَ إِلَى ٱلرِّيَبِ . وَٱجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلاً تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لاَ يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ[3] . وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ ٱلَّذِي بِهِ تَطِيرُ ، وَأَصْلُكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وَيَدُكَ ٱلَّتِي بِهَا تَصُولُ .

أَسْتَوْدِعُ ٱللهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ . وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ ٱلْقَضَاءِ لَكَ فِي ٱلْعَاجِلَةِ وَٱلْآجِلَةِ وَٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . وَٱلسَّلاَمُ .

هذه الوصية من أشهر وصايا امير المؤمنين عليه السلام ؛ رواها جماعة من أكابر العلماء قبل ان يتنسم الرضي روح الحياة ، منهم :

١ ـ محمد بن يعقوب الكليني في كتاب « الرسائل » كما ستطلع عليه .

---

(١) القهرمان : هو الذي يحكم في الامور ، ويتصرف بها كيف شاء ، والكلمة فارسية معربة . ولا تعد ـ بفتح فسكون ـ لا تتجاوز اي لا تكرمها بكرامة تتعدى ما يخص نفسها من مأكول او ملبوس .

(٢) التغاير : اظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن من غير موجب .

(٣) يتواكلوا : يتكل بعضهم على بعض .

٢ — ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري [1] من مشايخ الصدوق في كتاب « الزواجر والمواعظ » كما سيأتي .

٣ — احمد بن عبد ربه المالكي ذكر شيئاً منها في « العقد الفريد » في موضعين ، تحت عنوانين في « باب مواعظ الآباء للابناء » .

(الاول) في الجزء الثالث ص ١٥٥ تحت عنوان : وكتب علي بن ابي طالب إلى ولده الحسن عليهما السلام : (من الوالد الفان المقر للزمان ..) إلى آخر ما ذكر بتقديم وتأخير ، واختصار وحذف كما هي عادته فيما ينقله من كلام امير المؤمنين عليه السلام .

(الثاني) في ص ١٥٦ تحت عنوان : وكتب (يعني علياً عليه السلام) إلى ولده محمد بن الحنفية : (تفقه في الدين — إلى قوله عليه السلام — فان المرأة ريحانة وليست بقهرمانة) وفي روايته فقرات لا توجد في « النهج » .

٤ — الشيخ الصدوق روى طرفاً منها في موضعين من « الفقيه » :

(الاول) في الجزء الثالث ص ٣٦٢ .

(الثاني) في الجزء الرابع ص ٢٧٥ .

٥ — ابن شعبة الحراني في « تحف العقول » : ص ٥٢ .

اما من روى هذه الوصية بعد الرضي فهم كثيرون نكتفي بذكر واحد منهم وهو السيد ابو طالب يحى بن هارون بن الحسين الحسني المتوفى سنة ٤٢٤

---

(١) نسبة إلى عسكر مكرم وهي مدينة من كور الاهواز اختطها مكرم الباهلي ، والعسكري هذا احد الأئمة في الادب والحفظ ، وصاحب اخبار ونوادر وله تصانيف منها « المختلف والمؤتلف » و « الحكم والامثال » و « التصحيف والتحريف » و « راحة الارواح » و « علم المنطق » وهو خال ابي هلال العسكري صاحب « الصناعتين » . توفي ابو أحمد يوم الجمعة ٩ ذي الحجة سنة ٣٨٢ .

فقد نقلها في (اماليه ص ٨١) بسنده عن جابر الجعفي عن ابي جعفر محمد بن علي الباقر عن آبائه عليهم السلام ان امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كتب إلى ابنه الحسن بعد انصرافه من صفين إلى حاضرين : « من الوالد الفان ... » وذكر الوصية بأخصر من رواية الرضي .

اما اسانيد هذه الوصية فقد اشبع القول فيها السيد ابن طاووس عطر الله مرقده في « كشف المحجة إلى ثمرة المهجة » في الفصل (١٥٤) ص ١٥٧ . وهاك ما ذكره بنصه :

قال : « قد وقع في خاطري ان اختم هذا الكتاب بوصية ابيك امير المؤمنين صلى الله عليه إلى ولده العزيز عليه السلام – إلى ان قال : ورأيت ان يكون رواية الرسالة إلى ولده بطريق المخالفين والمؤالفين فهو اجمع على ما تضمنته من سعادة الدنيا والدين .

قال ابو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري في كتاب « الزواجر والمواعظ » في الجزء الأوّل منه من نسخة تاريخها ذو القعدة من سنة ثلاث وسبعين واربعمائة ما هذا لفظه :

وصية امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لولده .
قال : ولو كان من الحكمة ما يجب ان يكتب بالذهب لكانت هذه .
قال : وحدثني بها جماعة .

أ – فحدثني علي بن الحسين بن اسماعيل [1] فقال : حدثنا الحسن بن ابي عثمان الادمي .

قال : اخبرنا ابو حاتم المكتب يحيى بن حاتم بن عكرمة ، قال : حدثني

---

(١) هو ابو القاسم المحاملي توفي ليلة السبت ٩ شهر رمضان سنة ٣٨٦ .

يوسف بن يعقوب بانطاكية قال حدثني بعض اهل العلم ، قال : لما انصرف علي عليه السلام من صفين إلى قنسرين [1] كتب إلى ولده الحسن بن علي عليه السلام : من الوالد الفان .

ب ـ وحدثنا احمد بن عبد العزيز ، قال : حدثنا سليمان بن الربيع النهدي ، قال : حدثنا احمد بن روحه الزاهد [2] قال : حدثنا صباح بن يحيى المزني .

ج ـ وحدثنا علي بن عبد العزيز الكوفي الكاتب ، قال : حدثنا جعفر بن هرون بن زياد ، قال : حدثنا محمد بن علي بن موسى الرضا عن ابيه عن جده جعفر الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام : ان علياً كتب إلى الحسن بن علي .

د ـ وحدثنا علي بن محمد بن ابراهيم التستّري ، قال : حدثنا جعفر بن عنبسة ، قال : حدثنا عباد بن زياد ، قال : حدثنا عمرو بن ابي المقدام عن ابي جعفر محمد بن علي عليه السلام قال : كتب امير المؤمنين إلى الحسن بن علي عليه السلام .

هـ ـ وحدثنا محمد بن علي بن زاهر الرازي ، قال : حدثنا محمد بن العباس قال : حدثنا عبد الله بن داهر عن ابيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عن علي عليه السلام قال : كتب علي إلى ابنه الحسن عليهما السلام .

كل هؤلاء حدثونا [3] : ان امير المؤمنين عليه السلام كتب بهذه الرسالة إلى ابنه الحسن عليه السلام .

---

(١) بلدة قريبة من حلب فتحها ابو عبيدة بن الجراح سنة ١٧ وما زالت عامرة آهلة إلى سنة ٣٥١ و ٣٥٥ ثم تفرق أهلها بسبب غارة الروم عليها .

(٢) في البحار ٧٧ / ١٩٦ كادح بن رحمة الزاهدي .

(٣) لا يخفى أن هذا الكلام لصاحب « المواعظ والزواجر » .

و ـ واخبرني احمد بن عبد الرحمن بن فضال القاضي ؛ قال : حدثنا الحسن بن محمد بن احمد ، واحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام قال حدثنا جعفر بن محمد الحسيني ، قال حدثنا الحسن بن عبدل قال : حدثنا الحسن بن طريف بن ناصح ، عن الحسن بن علوان ، عن سعد بن طريف عن الاصبغ بن نباتة المجاشعي[1] .

واعلم يا ولدي محمد ضاعف الله جل جلاله عنايته بك ، ورعايته لك قد روى الشيخ المتفق على ثقته وامانته محمد بن يعقوب الكليني تغمده الله جل جلاله برحمته رسالة مولانا امير المؤمنين عليه السلام ، إلى جدك الحسن سلام الله ـ جل جلاله ـ عليهما .

وروى رواية مختصرة عن خط علي عليه السلام إلى ولده محمد بن الحنفية رضي الله عنه وذكر الرسالتين في كتاب « الرسائل » .

ثم قال رحمه الله تعالى :

ورأيت يا ولدي بين رواية الحسن بن عبد الله العسكري مصنف كتاب « الزواجر والمواعظ » الذي قدمناه وبين رواية الشيخ محمد بن يعقوب في رسالة ابيك امير المؤمنين علي عليه السلام تفاوتاً ، فنحن نوردها برواية محمد بن يعقوب الكليني فهو اجمل وافضل فيما قصدناه .

فذكر محمد بن يعقوب الكليني في كتاب « الرسائل » بأسناده إلى ابي جعفر بن عنبسة ، عن عباد بن زياد الاسدي عن عمر بن ابي المقدام[2] عن

---

(١) الى هنا انتهى كلام العسكري الذي نقله السيد ابن طاووس .

(٢) عمر بن ابي المقدام ثابت بن هرمز الحداد العجلي مولاهم روى عن علي بن الحسين وابي جعفر الباقر وابي عبد الله الصادق عليهم السلام .

ابي جعفر عليه السلام قال : لما اقبل امير المؤمنين عليه السلام من صفين كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام :

بسم الله الرحمن الرحيم

من الوالد الفان ، المقر للزمان ... إلى آخر الوصية بزيادة قليلة على ما في « نهج البلاغة » مما يدل على ان ما نقله الشريف الرضي مختارها .

وقد ترجمت هذه الوصية إلى غير واحدة من اللغات وشرحت بعدة شروح منها الشرح المسمى « منثور الادب الالهي » للمولى محمد صالح بن محمد باقر الروغني القزويني احد شراح « نهج البلاغة » [1] وهو باللغة الفارسية .

و « الاخلاق المرضية في شرح الوصية » و « هداية الامم » [2] ونظمها بالفارسية السيد حسين بن ابراهيم القزويني المتوفى سنة ١٠٢٨ وهو من مشايخ السيد بحر العلوم ، وقد طبعت هذه المنظومة في استانبول .

واخيراً شرحها شرحاً ضافياً العلامة الخطيب السيد حسن القبانجي ، سماه « الاسس التربوية في شرح الوصية » وقد قدم له الامام الفقيه الفيلسوف السيد محمد جواد التبريزي مقدمة تنبي عن فضل المؤلف وقيمة المؤلف .

٣٢ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية

وَأَرْدَيْتَ جِيلاً[3] مِنَ ٱلنَّاسِ كَثِيراً خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ[4] ،

---

(١) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٢٣٦ .

(٢) الذريعة ١٣ / ٢٢٥ .

(٣) ارديت اهلكت ، وجيلا ، قبيلا وروى جبلا بالباء الموحدة اي خلقاً .

(٤) الغي : ضد الرشد .

وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ ، تَغْشَاهُمُ ٱلظُّلُمَاتُ وَتَتَلاَطَمُ بِهِمُ ٱلشُّبُهَاتُ ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ[1] وَنَكَصُوا عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ ، وَتَوَلَّوْا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ ، وَعَوَّلُوا عَلَىٰ أَحْسَابِهِمْ[2] إِلاَّ مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ ، وَهَرَبُوا إِلَى ٱللهِ مِنْ مُؤَازَرَتِكَ[3] إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى ٱلصَّعْبِ وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ ٱلْقَصْدِ . فَاتَّقِ ٱللهَ يَا مُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[4] ، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَٱلآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ . وَٱلسَّلاَمُ .

هذا فصل من كتاب له عليه السلام رواه ابو الحسن علي بن محمد المدائني واوله :

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى معاوية بن ابي سفيان .

اما بعد : فان الدنيا دار تجارة : وربحها او خسرها الآخرة ، فالسعيد من كانت بضاعته فيها الاعمال الصالحة ، ومن رأى الدنيا بعينها ، وقدرها بقدرها ، واني لاعظك مع علمي بسابق العلم فيك ، مما لا مرد له دون

---

(١) الوجهة : القصد .

(٢) عولوا : اي اعتمدوا على شرف قبائلهم فتعصبوا تعصب الجاهلية الا من فاء اي – رجع – إلى الحق ، والاشارة إلى بني امية الذين اتهموه بدم عثمان فحاموا عن الحسب ولم ياخذوا بموجب الشرع .

(٣) المؤازرة : المعاضدة .

(٤) القياد : ما تقاد به الدابة .

نفاذه . ولكن الله تعالى اخذ على العلماء ان يؤدوا الامانة ، وان ينصحوا الغوي والرشيد ، فاتق الله ولا تكن ممن لا يرجو لله وقاراً ، ومن حقت عليه كلمة العذاب فان الله له بالمرصاد، وان دنياك ستدبر عنك، وستعود حسرة عليك ، فاقلع عما انت عليه من الغي والضلال ، على كبر سنك وفناء عمرك ، فان حالك اليوم كحال الثوب المهيل [1] الذي لا يصلح من جانب الا فسد من جانب آخر ، وقد ارديت جيلا من الناس ... إلى آخر الكتاب .

قال المدائني : فكتب اليه معاوية :

من معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب .

اما بعد : فقد وقفت على كتابك ، وقد ابيت على الفتن الا تمادياً ، واني لعالم ان الذي يدعوك إلى ذلك مصرعك الذي لا بد لك منه ، وانت كنت موائلا [2] فازدد غياً إلى غيك ، فطالما خف عقلك ومنيت نفسك ما ليس لك ، والتويت على من هو خير منك ، ثم كانت العاقبة لغيرك ، واحتملت الوزر بما احاط بك من خطيئتك والسلام .

فكتب علي عليه السلام :

اما بعد : فان ما اتيت به من ضلالك ليس ببعيد الشبه مما اتى به اهلك وقومك الذين حملهم الكفر ، وتمني الأباطيل على حسد محمد ﷺ حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت لم يمنعوا حريماً ، ولم يدفعوا عظيماً وانا صاحبهم في ذلك المواطن ، الصالي بحربهم ، والفال لحدهم ، والقاتل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة ، والمتبع ان شاء الله خلفهم بسلفهم فبئس الخلف خلفاً اتبع سلفاً محله ومحطه النار والسلام .

---

(١) المهيل : المتداعي في التمزق وتروى المهلهل والمعنى واحد .

(٢) الموائل : طالب النجاة .

قال : فكتب اليه معاوية :

اما بعد : فقد طال في الغي ما استمررت أدراجك [١] ، كما طالما تمادى عن الحرب نكوصك [٢] وابطاؤك فتوعد وعيد الأسد ، وتروغ روغان الثعلب ، فحتام تحيد عن لقاء مباشرة الليوث الضارية ، والافاعي القاتلة ، ولا تستبعدنها فكل ما هو آت قريب ان شاء الله والسلام .

قال : فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد : فما اعجب ما يأتيني منك ، وما اعلمني بما انت اليه صائر ، وليس ابطائي عنك الا ترقباً لما انت له مكذب ، وانا به مصدق ، وكأني بك غداً وانت تضج ضجيج الجمال من الاثقال ، وستدعوني واصحابك إلى كتاب تعظمونه بألسنتكم وتجحدونه بقلوبكم والسلام .

فكتب اليه معاوية :

اما بعد فدعني من اساطيرك ، واكفف عني من احاديثك ، واقصر عن تقولك على رسول الله ﷺ ، وافترائك من الكذب ما لم يقل ، وغرور من معك ، والخداع لهم ، فقد استغويتهم ، ويوشك امرك ان ينكشف لهم فيعتزلوك ، ويعلموا ان ما جئت به باطل مضمحل والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد فطالما دعوت انت واولياؤك ، اولياء الشيطان الرجيم ، الحق اساطير الاولين ، ونبذتموه وراء ظهوركم ، وجهدتم باطفاء نور الله بأيديكم وافواهكم ، (والله متم نوره ولو كره الكافرون) ولعمري ليتمن

---

(١) الادراج : جمع درج بالتحريك وهو الطريق ، واستمر درجه وادراجه : مضى في طريقه ، كما يقال : عاد ادراجه : اي رجع في طريقه الذي جاء منه .

(٢) النكوص : الأحجام .

النور على كرهك ، ولينفذن العلم بصغارك ، ولتجازين بعملك ، فعث في دنياك المنقطعة عنك ما طاب لك ، فكأنك بباطلك وقد انقضى ، وبعملك وهو هوى ، ثم تصير إلى لظى ، لم يظلمك الله شيئاً (وما ربك بظلام للعبيد) .

فكتب اليه معاوية :

أما بعد : فما اعظم الرين على قلبك ، والغطاء على بصرك ، والشره من شيمتك ، والحسد من خليقتك ، فشمر للحرب ، واصبر للضرب ، فوالله ليرجعن الامر إلى ما علمت (والعاقبة للمتقين) .

هيهات هيهات أخطأك ما تمنى ، وهوى قلبك مع من هوى فأربع على ظلعك وقس شبرك بفترك ، لتعلم اين حالك من حال من يزن الجبال حلمه ، ويفصل بين اهل الشك علمه والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد : فان مساويك مع علم الله فيك حالت بينك وبين ان يصلح لك امرك ، وان يرعوي قلبك ، يا بن صخر اللعين .

زعمت ان يزن الجبال حلمك ، ويفصل بين اهل الشك علمك ، وانت الجلف المنافق ، الاغلف القلب ، القليل العقل ، الجبان الرذل [1] .

وقلت : فشمر للحرب : فان كنت صادقاً فيما تسطر ويعينك عليه ابن النابغة[1] فدع الناس جانباً ، وتيسر لما دعوتني اليه من الحرب ، والصبر على الضرب ، واعف الفريقين من القتال ، ليعلم اينا المرين على قلبه المغطى على بصره ، فأنا ابو الحسن قاتل جدك واخيك وخالك وما انت منهم

---

(١) في رواية المدائني : ويعينك عليه اخو سهم .

ببعيد [1] .

علق ابن ابي الحديد على المراسلة بقوله :

واعجب واطرب ما جاء به الدهر – وان كانت عجائبه وبدائعه جمة ان يفضي امر علي عليه السلام إلى ان يصير معاوية نداً له ونظيراً مماثلا يتعرضان الكتاب والجواب ، ويتساويان في ما يواجه احدهما صاحبه ، ولا يقول له علي عليه السلام كلمة الا قال مثلها ، واخشن مساً منها ، فليت محمداً ﷺ كان شاهد ذلك ليرى عيناً لا خبراً ان الدعوى التي قام بها ، وقاسى اعظم المشاق في تحملها ، وكابد الاهوال في الذب عنها ، وضرب بالسيوف عليها ، لتأييد دولتها ، وتشييد اركانها ، وملأ الآفاق بها ، خلصت صفواً عفواً لأعدائه الذين كذبوه لما دعا اليها ، واخرجوه عن اوطانه لما حض عليها ، ورموا وجهه ، وقتلوا عمه واهله ، فكأنه كان يسعى لهم ، ويدأب لراحتهم كما قال ابو سفيان في ايام عثمان وقد مر بقبر حمزة ، وضربه برجله وقال : يا ابا عمارة ان الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف امسى في يد غلماننا اليوم ، يتلاعبون به ، ثم آل الامر إلى ان يفاخر معاوية علياً كما يتفاخر الاكفاء ، والنظراء :

إذا عيّر الطائي بالبخل مادر　　　وقرع قساً بالفهاهة باقل [2]

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ٤ ص ٥٠ و ٥١ ونقل ابن ابي الحديد بعض هذه المراسلة ايضاً على ما رواه المدائني ههنا واختلاف في بعض الالفاظ في المجلد الثالث ص ٤١٠ و ٤١١ عن كتاب ابي العباس الصيمري الذي جمعه في كلام امير المؤمنين عليه السلام .

(٢) الطائي : هو حاتم ، ومادر : رجل من هلال بن عامر بلغ من بخله انه سقى إبله فبقي في اسفل الحوض ماء فسلح فيه ، ومدر الحوض به فسمي مادراً لذلك واسمه مخارق وضرب ببخله المثل فقيل (ابخل من مادر) وجر العار على قومه حتى قيل فيهم :

لقد جللت خزيا هلال بن عامر　　　بني عامر طراً بسلحة مادر
فاف لكم ، لا تذكروا الفخر بعدها　　　بني عامر انتم شرار المعاشر

وقس : هو ابن ساعدة الايادي الذي ضرب بفصاحته المثل ، وباقل رجل اشترى ظبياً باحد عشر درهماً فسئل عن ثمنه ، قيل : وكان على قنطرة وكان قد خبأ في فمه درهماً فأخرج لسانه فسقط الدرهم في الماء ، وفتح كتفيه فانفلت الظبي فضرب به المثل في العي .

وقال السها للشمس : انت خفية | وقال الدجى : ياصبح لونك حائل [1]
وفاخرت الارض السماء سفاهة | وكاثرت الشهب الحصا والجنادل [2]
فيا موت زر ان الحياة ذميمة | ويا نفس جدي ان دهرك هازل [3]

٣٣ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى قثم بن العباس وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ٤ كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ عَلَى ٱلْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ٥ ٱلْعُمْيِ ٱلْقُلُوبِ ، ٱلصُّمِّ ٱلْأَسْمَاعِ ، ٱلْكُمْهِ ٱلْأَبْصَارِ٦ ، ٱلَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ، وَيُطِيعُونَ ٱلْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ ، وَيَحْتَلِبُونَ ٱلدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ٧ ، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا

(١) السهى كوكب صغير من بنات نعش الصغرى لان الاول منها الذي هو آخرها اسمه قائد ، والثاني عناق وإلى جانبه قائد صغير وثانيه عناق ، وإلى جانبه العيدق ، وهو السهى ، والدجى : الليل المظلم ، وحائل متغير اللون .

(٢) الجنادل : جمع جندل وهي الحجارة . والابيات لابي العلاء المعري .

(٣) شرح النهج : م / ٤ ص ٥١ .

(٤) عيني بالمغرب : اي رقيبي في البلاد الغربية يعني الشام ، وسمي الشام مغربا لأنه من الأقاليم الغربية .

(٥) وجه (مبني للمجهول) : اي وجههم معاوية ، والموسم : الايام التي يقام فيها الحج .

(٦) الكمه جمع اكمه : وهو من ولد اعمى .

(٧) الدر (بفتح الدال) : اللبن والمعنى انهم يجعلون الدين وسيلة لما ينالون من حطامها وفي هذا دلالة على انهم دعاة كانوا يظهرون سمت الدين ، وناموس العبادة وقد وهم بعض الشراح حيث قال : ان المراد بذلك السرايا التي كان يبعثها معاوية فتغير على أعمال علي عليه السلام .

بِـآجِلِ ٱلْأَبْرَارِ وَٱلْمُتَّقِينَ . وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلاَّ عَامِلُهُ ، وَلاَ يُجْزَى جَزَاءَ ٱلشَّرِّ إِلاَّ فَاعِلُهُ . فَأَقِـمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ ٱلْحَازِمِ ٱلصَّلِيبِ[1] وَٱلنَّاصِحِ ٱللَّبِيبِ ، وَٱلتَّابِـعِ لِسُلْطَانِهِ ٱلْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ . وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ[2] وَلاَ تَكُنْ عِنْدَ ٱلنَّعْمَاءِ بَطِراً[3] وَلاَ عِنْدَ ٱلْبَأْسَاءِ فَشِلاً . وَٱلسَّلاَمُ

رواه قبل "النهج" في "الغارات" ص ٥٠٩ وعلق ابن ابي الحديد وابن ميثم على الكتاب بما هو آت :

كان معاوية قد بعث إلى مكة دعاة في السر يدعون إلى طاعته ، ويثبطون العرب عن نصرة امير المؤمنين عليه السلام ، ويوقعون في انفسهم انه اما قاتل لعثمان او خاذل له وعلى كلا التقديرين لا يصلح للامامة ، وينشرون عندهم محاسن معاوية — بزعمهم — واخلاقه وسيرته في العطاء ، فكتب امير المؤمنين عليه السلام إلى (قثم بن العباس) [4] عامله بمكة ينبهه على ذلك

---

(١) الصليب : الشديد ، وتروى (الحازم الطبيب) والطبيب هنا : الحاذق .

(٢) احذر ان تعمل شيئاً تحتاج إلى الاعتذار منه .

(٣) البطر : شدة الفرح .

(٤) قثم بن العباس بن عبد المطلب انه وام اخوته ام الفضل لبابة بنت الحارث بن حزن الهلالية ، روى انها اول امرأة اسلمت بعد خديجة رضي الله عنها وكان قثم من اشباه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وله فضيلة المشاركة مع امير المؤمنين عليه السلام بمواراة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفي « اسد الغابة » ان عبد الرحمن بن خالد سأل قثماً فقال له : ما شأن علي كان له من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزلة لم تكن للعباس ؟ فقال : انه كان اولنا لحوقاً ، واكثرنا لزوماً . واستعمله امير المؤمنين عليه السلام على مكة لما ولي الأمر ولم=

ليعتمد فيه على ما تقتضيه السياسة [1] .

وفي ذكرهما للسبب دلالة على انهما اعتمدا على مصدر غير « نهج البلاغة » فان ذلك لم يشر الرضي اليه من قريب ولا بعيد .

٣٤ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى محمد بن ابي بكر لما بلغه توجده [2] من عزله بالاشتر عن مصر ، ثم توفي الاشتر في توجهه إلى مصر قبل وصوله إليها .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ الأَشْتَرِ إِلى عَمَلِكَ [3] وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱسْتِبْطَاءً لَكَ فِي ٱلْجُهْدِ وَلاَ ٱزْدِيَاداً فِي ٱلْجِدِّ [4] . وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ . لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلاَيَةً .

إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ لَنَا رَجُلاً

يزل عليها الى ان قتل امير المؤمنين عليه السلام واستشهد قثم في سمرقند أيام معاوية

ويقال : ما رؤي قبور أخوة اكثر تباعداً من قبور بني العباس رحمه الله قبر عبد الله بالطائف ، وقبر عبيد الله في المدينة ، وقبر قثم بسمرقند ، وقبر عبد الرحمن بالشام ، وقبر معبد بافريقية .

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد م ٤ ص ١٢ وشرح النهج لابن ميثم ج ٥ ص ٧٢ .

(٢) توجده : تكدره .

(٣) الموجدة : الغيظ ، والتسريح : الارسال ، والعمل : الولاية .

(٤) الجهد (بالضم) ، الطاقة ، اي لم استبطئك في بذل طاقتك ووسعك .

نَاصِحاً وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيداً نَاقِماً[1] . فَرَحِمَهُ ٱللَّهُ فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ وَلَاقَى حِمَامَهُ[2] وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ . أَوْلَاهُ ٱللَّهُ رِضْوَانَهُ وَضَاعَفَ ٱلثَّوَابَ لَهُ ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ ، وَٱمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ[3] ، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ ، وَٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ، وَأَكْثِرِ ٱلِاسْتِعَانَةَ بِاللهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ وَيُعِنْكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ .

كان معاوية بعد واقعة الحكمين قد تجرد للاغارة على اطراف البلاد التي هي تحت سيطرة امير المؤمنين عليه السلام ، وكان قد جعل مصر طعمة لعمرو بن العاص ان غلب على الامر . كما قدمنا ذلك [4] فكان جل همه الاستيلاء عليها ، وبلغ امير المؤمنين عليه السلام ذلك ، وكان الوالي على مصر محمد بن ابي بكر ، فاراد عليه السلام ان ينتزعها من تحت يده ، ويوليها الاشتر ، لانه اشد بأساً من محمد واكثر تجربة ، فوجه الاشتر اليها وكتب له العهد المعروف ، وعلم معاوية بذلك فدس اليه مولى لآل عمر ، فخرج حتى أتى القلزم واقام به ، وخرج الاشتر من العراق إلى مصر ، فلما انتهى إلى القلزم استقبله ذلك الرجل فعرض عليه النزول فنزل واظهر انه من محبي امير المؤمنين عليه السلام وجعل يذكر فضل علي وبني هاشم حتى

---

(١) ناقماً : اي كارهاً من نقمت على فلان كذا اذا انكرته عليه ، ونقمت منه .

(٢) الحمام (بالكسر) : الموت .

(٣) اصحر له : اي ابرز له ، ولا تستتر عنه ، من اصحر اذا برز إلى الصحراء .

(٤) انظر الجزء الثاني ص ٢١٣ .

اطمأن اليه ، واستأنس به ، واتاه بطعام ، وكان قد اعد مزودين فيهما شراب سويق ، وقد وضع السم في احدهما ، فاستسقى الاشتر يوماً فسقاه من احدهما ، ثم استسقاه مرة اخرى فسقاه من الآخر وفيه السم فمالت عنقه ، وطلبوا الرجل ففاتهم ، ومات الاشتر رحمه الله قبل ان يعبر الى مصر .

وقد كان محمد بن ابي بكر لما بلغه توجه الاشتر شق عليه ذلك فكتب اليه امير المؤمنين عليه السلام بالكتاب المذكور وهو يؤذن باقراره على عمله واسترضاءه ، وتعريفه وجه عذره في تولية الاشتر لعمله ، وان ذلك لم يكن لموجدة عليه ، ولا تقصير منه .

والكتاب رواه قبل الشريف الرضي ابو الحسن المدائني ، وابراهيم بن هلال الثقفي في « الغارات »[1] والطبري في « التاريخ » في حوادث سنة ٣٨. والبلاذري في ترجمة علي عليه السلام من (انساب الاشراف): ص ٤٠٠ ط الاعلمي .

٣٥ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن ابي بكر

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْر

---

(١) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٢ ص ٣٠ . والغارات ص ٢٦٨

رَحِمَهُ ٱللهُ قَدِ ٱسْتُشْهِدَ . فَعِنْدَ ٱللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَداً نَاصِحاً (١) وَعَامِلاً كَادِحاً وَسَيْفاً قَاطِعاً ،وَرُكْناً دَافِعاً . وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ ٱلنَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ ٱلْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرّاً وَجَهْراً وَعَوْداً وَبَدْءاً ، فَمِنْهُمُ ٱلآتِي كَارِهاً ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُعْتَلُّ كَاذِباً ، وَمِنْهُمُ ٱلْقَاعِدُ خَاذِلاً ، أَسْأَلُ ٱللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجاً عَاجِلاً ، فَوَٱللهِ لَوْلاَ طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي ٱلشَّهَادَةِ وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى ٱلْمَنِيَّةِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لاَ أَبْقَى مَعَ هٰؤُلاءِ يَوْماً وَاحِداً وَلاَ أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَداً .

محمد بن ابي بكر امه اسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن ابي طالب عليه السلام ، وهاجرت معه إلى الحبشة فولدت له هناك عبدالله الجواد محمداً وعوناً ، ثم قتل عنها بمؤته فتزوجها ابو بكر فأولدها محمداً هذا ثم مات عنها فتزوجها علي عليه السلام فكان محمد ربيبه وخريجه وجارياً عنده مجرى اولاده ، رضع الولاء والتشيع منذ زمن الصبا فنشأ عليه ولم يكن يعرف له اباً غير علي عليه السلام ولا يعتقد فضيلة لسواه حتى قال علي عليه السلام : « محمد ابني من صلب ابي بكر » ،وكان محمد من نساك قريش ومن ولده القاسم وبه

(١) احتسبت كذا عند الله : اي طلبت به الحسبة بكسر الحاء وهي الأجر ، ويقال : احتسب ولده اذا مات كبيراً ؛ وافترط ولده اذا مات صغيراً .

يكنى – كما في (المعارف) لابن قتيبة : ص ٧٦ – والقاسم ابو ام فروة ام الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام وامها اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر ومن ثم نسب للامام الصادق عليه السلام انه قال : « ولدني ابو بكر مرتين » ، والى هذا اشار الرضي بقوله :

أخذنا عليكم بالنبي وفاطم ... طلاع المساعي من مقام ومقعد
وطلنا بسبطي احمد ووصيه ... رقاب الورى من متهمين ومنجد
وحزنا عتيقاً وهوغايةفخركم ... بمولد بنت القاسم بن محمد
فجدي نبي ثم جدي خليفة ... فأكرم بجدينا علي واحمد .

وقد حرف البيت الاخير قارن بين روايته الديوان طبع سنة ١٣٠٦ ه وبين رواية غيره لهذا البيت .

واود قبل ان استعرض مصادر هذا الكتاب ان انقل لك تعليق ابن ابي الحديد على هذا الكتاب ، لتعرف كيف عرف الفضل ذووه قال :

« انظر إلى الفصاحة كيف تعطي هذا الرجل قيادها وتملكه زمامها ؟ واعجب لهذه الالفاظ المنصوبة ، يتلو بعضها بعضاً كيف تواتيه وتطاوعه سهلة سلسلة تتدفق من غير تعسف ولا تكلف حتى انتهى إلى آخر الفصل ، فقال : يوماً واحداً ولا التقى بهم ابداً ، وانت وغيرك من الفصحاء إذا شرعوا في كتاب او خطبة ، جاءت القرائن والفصائل تارة مرفوعة ، وتارة مجرورة ، وتارة منصوبة ، فان ارادوا قسرها باعراب واحد ظهر منها في التكلف اثر بين ، وعلامة واضحة ، وهذا الصنف من البيان احد انواع الاعجاز في القرآن ، ذكره عبد القاهر قال : « انظر إلى سورة النساء وبعدها سورة المائدة ، الاولى منصوبة الفواصل ، والثانية ليس فيها منصوب اصلا ، ولو مزجت احدى السورتين بالأخرى لم تمتزجا ، وظهر اثر التركيب والتأليف بينهما » .

ثم ان فواصل كل واحدة منهما تنساق سياقة بمقتضى البيان الطبيعي لا الصناعة التكلفية .

ثم انظر إلى الصفات والموصوفات في هذا الفصل ، كيف قال : ولداً ناصحاً ، وعاملا كادحاً ، وسيفاً قاطعاً ، وركناً دافعاً ، لو قال : ولداً كادحاً ، وعاملا ناصحاً ، وكذلك ما بعده لما كان صواباً ، ولا في المواقع واقعاً ، فسبحان من منح هذا الرجل بهذه المزايا النفسية ، والخصائص الشريفة ، ان يكون غلام من ابناء مكة ينشأ بين اهله ، لم يخالطه الحكماء وخرج اعرف بالحكمة ودقائق العلوم الآلهية من افلاطون[1] ، وارسطو[2] ولم يعاشر ارباب الحكم الخلقية ، والآداب النفسانية ، لان قريشاً لم يكن احد منهم مشهوراً بمثل ذلك وخرج اعرف بهذا الباب من سقراط[3] ، ولم يرب بين الشجعان لان اهل مكة كانوا ذوي تجارة ولم يكونوا ذوي حرب وخرج اشجع من كل بشر مشى على الارض . قيل لخلف الاحمر[4] ايما اشجع عتيبة وبسطام ام علي بن ابي طالب ؟ قال : انما يذكر عتيبة[5]

---

(١) افلاطون من مشاهير فلاسفة اليونان تلميذ سقراط ومعلم ارسطو من مؤلفاته (جمهورية افلاطون) توفي (٣٤٧) ق. م. .

(٢) ارسطو فيلسوف يوناني من كبار المفكرين ، مؤدب الاسكندر ، له مؤلفات في المنطق والطبيعيات والالهيات والاخلاق توفي (٣٢٢) ق. م. .

(٣) سقراط فيلسوف يوناني كان يلقي دروسه في الازقة وبين الجماعات باسلوب عامي ينتابه السؤال والجواب وكان لها اعمق تأثير في النفوس ، قاوم تعاليم السفسطة فتحالف عليه اعداؤه وجروه امام الحكام وضغطوا عليهم فحكم عليه بشرب السم وهو في السجن فتوفي في (٣٩٩) ق. م. .

(٤) هو ابو محرز خلف بن حيان مولى ابي بردة بن ابي موسى الاشعري كان معلم الاصمعي ، واستاذ اهل البصرة ، العليم بالعرب وايامها وغريب شعرها وملاحمها .

(٥) في الاصل عنبسة واظنه تصحيف عتيبة وهو ابن الحارث ، من فرسان العرب المعدودين كبسطام بن قيس .

وبسطام مع البشر والناس لا مع من يرتفع عن هذه الطبقة ، فقيل له : فعلى كل حال ، قال : والله لو صاح في وجهيهما لماتا قبل ان يحمل عليهما . وخرج افصح من سحبان وقس . ولم تكن قريش بأفصح العرب ، كان غيرها افصح منها ، قالوا : افصح العرب جرهم وان لم تكن لهم نباهة ، وخرج ازهد الناس ، واعفهم مع ان قريشاً ذووا حرص ومحبّة للدنيا ولا غرو فيمن كان محمد ﷺ مربيه ومخرجه ، والعناية الالهية تمده وترفده ان يكون منه ما كان »[1] .

اما مصادر هذا الكتاب فقد ذكره الطبري في التاريخ في حوادث سنة ٣٨ بتفاوت يسير عما هنا ، وذكره ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » كما نقل ذلك ابن ابي الحديد[2] ، وذكر كل واحد من هذين وجواب ابن عباس لابن عمه عن هذا الكتاب .

وممن رواه بعد الرضي ابن الاثير في « الكامل » : ج ٣ — ١٧٨ .

٣٦ — ومن كتاب له عليه السّلام

إلى عقيل بن ابي طالب في ذكر جيش انفذه إلى بعض الاعداء ، وهو جواب كتاب كتبه إليه عقيل

فَسَرَّحْتُ إلَيْهِ جَيْشاً كَثِيفاً مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ هَارِباً وَنَكَصَ نَادِماً ، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ ٱلطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَّلَتِ ٱلشَّمْسُ لِلْإِيَابِ[3] فَاقْتَتَلُوا شَيْئاً

(١) شرح النهج : م ٤ ص ٥٤ .
(٢) شرح النهج : م ٢ ص ٣٠ .
(٣) طفلت (بتشديد الفاء) الشمس للاياب : اذا مالت للمغيب والاياب : الرجوع .

كَلاَ وَلاَ[١] ، فَمَا كَانَ إِلاَّ كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضاً[٢] بَعْدَمَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ ٱلرَّمَقِ[٣] . فَلأْياً بِلأْيٍ مَا نَجَا[٤] . فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشاً وَتَرْكَاضَهُمْ فِي ٱلضَّلاَلِ ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي ٱلشِّقَاقِ[٥] ، وَجِمَاحَهُمْ فِي ٱلتِّيهِ . فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشاً عَنِّي ٱلْجَوَازِي[٦] ، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ٱبْنِ أُمِّي[٧] . وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي ٱلْقِتَالِ فَإِنَّ رَأْيِي فِي قِتَالِ ٱلْمُحِلِّينَ حَتَّى

---

(١) كلاولا : كناية عن قصر المدة ، والعرب اذا ارادوا تقايل شيء ، او تقصير مدة قالوا كلا ولا . قال الشاعر :

واسرع في العين من لحظة ... واقصر في السمع من لا ولا

(٢) الجريض : المغموم الذي يبتلع ريقه وقد غص به من شدة الجهد والكرب .

(٣) المخنق-بتشديدالنون- : موضع الخنق من الحيوان ، والرمق -بالتحريك- بقية النفس .

(٤) لأياً بلأي ما نجا : اي بعد بطء وشدة وما زائدة او مصدرية .

(٥) التركاض : مبالغة في الركض ، وكذلك التجوال من الجول والجولان والشقاق : الخلاف ، وجماحهم : استعصاؤهم ، والتيه : الضلال .

(٦) الجوازي جمع جازيه وهي المكافأة .

(٧) قال ابن ابي الحديد في تعليل التعبير « بابن امي » : « لانهما ابناء فاطمة بنت عمرو بن عمران بن عائذ بن مخزوم ام عبد الله وابي طالب ولم يقل سلطان ابن ابي لان غير ابي طالب يشركه في النسب إلى عبد المطلب » .

أَلْقَى ٱللّٰهَ[1] لاَ يَزِيدُنِي كَثْرَةُ ٱلنَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلاَ تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً . وَلاَ تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أَبِيكَ – وَلَوْ أَسْلَمَهُ ٱلنَّاسُ – مُتَضَرِّعاً مُتَخَشِّعاً ، وَلاَ مُقِرّاً لِلضَّيْمِ وَاهِناً ، وَلاَ سَلِسَ ٱلزِّمَامِ لِلْقَائِدِ[2] ، وَلاَ وَطِيءَ ٱلظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ ٱلْمُتَقَعِّدِ ، وَلٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ .

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي
صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبُ[3]
يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ[3]
فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

روى الشريف الرضي رحمه الله في « باب الخطب » تحت رقم : ٢٩ [4] خطبة امير المؤمنين عليه السلام عندما اغار الضحاك بن قيس الفهري على الكوفة ، وقد استعرضنا مصادر تلك الخطبة في موضعها من هذا الكتاب وذكرنا تلك الغارة على سبيل الاجمال وقلنا هناك : ان الحاج لما قدم مكة من العراق حدثوا الناس بغارة الضحاك ، وكان عقيل بن ابي طالب رضي الله عنه يومئذ بمكة معتمراً فكتب إلى امير المؤمنين عليه السلام بما سمع ،

---

(١) يقال لكل من خرج عن الاسلام ، او حارب في الحرم او في الشهر الحرام محل .

(٢) السلس « بفتح فكسر » السهل ، والوطيء ، اللين : والمتقعد : الذي يتخذ الظهر مقعداً يستعمله للركوب في كل حاجاته .

(٣) يعز علي : اي يشق علي ، والكآبة : ما يظهر على الوجه من اثر الحزن ، وعاد اي عدو

(٤) نهج البلاغة : ١ / ٦٩ . وانظر ج ١ ص ٤٠٨ من هذا الكتاب .

وعرض عليه نفسه وولده وبني ابيه ، فأجابه عليه السلام بكتاب ذكر الرضي مختاره في هذا الموضع . وكان كتاب عقيل :

بسم الله الرحمن الرحيم

لعبد الله علي امير المؤمنين ، من عقيل بن ابي طالب .

سلام عليك ، فاني احمد اليك الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد : فان الله حارسك من كل سوء وعاصمك من كل مكروه ، وعلى كل حال ، اني قد خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت عبد الله بن سعد بن ابي سرح [1] ، في نحو من اربعين شاباً من ابناء الطلقاء فقلت لهم — وعرفت المنكر في وجوههم — إلى اين يا ابناء الشانئين ؟ أبمعاوية تلحقون ؟ العداوة والله لنا منكم قديماً ظاهرة غير مستنكرة ، تريدون بها اطفاء نور الله ، وتبديل امره فاسمعني القوم واسمعتهم .

ثم قدمت مكة فسمعت اهلها يتحدثون : ان الضحاك بن قيس اغار على الحيرة ، فاحتمل من اموال اهلها ما شاء ثم انكفأ راجعاً سالماً فأف لحياة في

---

(١) عبد الله بن سعد بن ابي سرح العامري ، اخو عثمان بن عفان من الرضاعة اسلم قبل الفتح وهاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستكتبه رسول الله فيمن استكتبهم فكان يحرف ما يمليه عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ارتد مشركاً وصار إلى قريش بمكة ، فلما كان يوم الفتح امر رسول الله بقتله في جماعة سماهم ولو وجدوا تحت استار الكعبة ، ففر عبد الله إلى عثمان بن عفان فغيبه عثمان ، ثم اتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعدما اطمأن اهل مكة ، فسألته فصمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طويلا ثم قال : نعم فلما انصرف عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمن حوله : ما صمت الا ليقوم اليه بعضكم فيضرب عنقه فقال رجل من الانصار فهلا اومأت الي يا رسول الله ، فقال : ان النبي لا ينبغي ان يكون له خائنة الاعين ، واسلم ثانياً ذلك اليوم ، ولما ولي عثمان ولاه مصر ، وبسوء سيرته نقم المصريون على عثمان ما نقموه إلى ان جرهم ذلك إلى المشاركة في قتله ، ثم لم يبايع امير المؤمنين عليه السلام ، وانضم إلى معاوية يوم صفين وتوفي بعسقلان سنة ٥٩ هـ .

دهر جرأ عليك الضحاك ! وما الضحاك الا فقع بقرقر وقد وطئت [1] .

وقد توهمت — حيث بلغني ذلك — ان شيعتك وانصارك خذلوك ، فاكتب إليّ — يا بن ام — برأيك ، فان كنت الموت تريد تحملت اليك بولد اخيك ، وبني ابيك فعشنا معك ما عشت ومتنا معك إذا مت ، فوالله ما احب ان ابقى بعدك فواقاً [2] .

واقسم بالاعز الاجل ان عيشاً اعيشه في هذه الدنيا بعدك لغير هنيء ولا مريء ، ولا نجيع [3] ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

فكتب اليه علي عليه السلام : من عبد الله علي امير المؤمنين إلى عقيل بن ابي طالب . سلام الله عليك . فاني احمد اليك الله الذي لا إله الا هو .

اما بعد : كلأنا الله واياك كلاءة [4] من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد .

قد وصل إلي كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الازدي ، تذكر فيه انك لقيت عبد الله بن سعد بن ابي سرح مقبلا من قديد [5] في نحو من اربعين فارساً من ابناء الطلقاء ، متوجهين إلى جهة الغرب ، وان ابن ابي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن سبيله .

فدع ابن ابي سرح ودع عنك قريشاً وخلهم وتركاضهم في الضلال ، وتجوالهم في الشقاق ، وجماحهم في التيه ، فان العرب قد اجمعت على حرب اخيك ، اليوم اجماعها على حرب رسول الله ﷺ قبل اليوم ،

---

(١) الفقع « بالكسر والسكون » : الرخوة من الكماة ، والقرقر والقرقرة : الارض المطمئنة ، ومن امثال العرب « هو اذل من فقع بقرقر » اي لا يمتنع على من اجتناه ، ولانه يوطأ بالارجـــل .

(٢) الفواق « بضم الفاء » : ما بين الحلبتين .

(٣) يقال : نجع الطعام نجوعاً : هنأ أكله .

(٤) كلأه كنعه : حرسه .

(٥) قديد « بضم القاف » موضع قريب من مكة .

فاصبحوا قد جهلوا حقه . وجحدوا فضله . وكادوه بالعداوة ، ونصبوا له الحرب ، وجهدوا عليه كل الجهد ، وجروا اليه جيش الاحزاب ، وجدوا في اطفاء نور الله . فجزت قريشاً عني الجوازي ، فقد قطعت رحمي ، وتظاهرت علي [1] ودفعتني عن حقي ، وسلبتني سلطان ابن امي وسلمت ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول ، وسابقتي في الاسلام الا ان يدع مدع ما لا اعرفه ولا اظن الله يعرفه ، والحمد لله على كل حال .

اما ما ذكرت من غارة الضحاك على الحيرة فهو اقل من ان يلم [2] بها او يدنو منها . ولكنه كان قد اقبل في جريدة ، فأخذ على السماوة ، ثم مر بواقصة وشراف ، والقطقطانة ، وما والى ذلك الصقع فسرحت اليه جيشاً كثيفاً من المسلمين فلما بلغه ذلك شمر هارباً ، ونكص نادماً . فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق ، وقد امعن في السير ، وقد طفلت الشمس للاياب فتناوشوا القتال قليلا كلا ولا فما كان الا كموقف ساعة فلم يصبر لوقع المشرفية [3] فولى هارباً ، وقتل من اصحابه بضعة عشر رجلا ونجا جريضاً بعدما اخذ منه بالمخنق ، ولم يبق منه غير الرمق .

واما ما سألتني ان اكتب اليك برأيي فيما انا فيه ، فان رأيي قتال المحلين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس حولي عزة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، لاني محق ، والله مع المحق ، والله ما اكره الموت على الحق ، وما الخير كله الا بعد الموت لمن كان محقاً .

واما ما عرضته علي من مسيرك إلى ببنيك وبني ابيك ، فلا حاجة لي بذلك ، فاقم راشداً محموداً ، فوالله ما احب ان تهلكوا معي ان هلكت ولا

---

(١) تظاهرت : تعاونت .
(٢) يلم : يقرب ، والجريدة : خيل لارجالة فيها .
(٣) المشرفية : السيوف ، منسوبة إلى مشارف الشام .

تحسبن ابن ابيك – ولو اسلمه الناس – متضرعاً متخشعاً ، ولا مقراً للضيم واهناً ، ولا سلس الزمام للقائد ، ولا طي الظهر للراكب المتقعد ولكنه كما قال اخو بني سليم [1] .

فان تسأليني كيف انت ؟ فانني صبور على ريب الزمان صليب
يعز علي ان ترى بي كآبة فيشمت عاد او يساء حبيب

ذكر قصة غارة الضحاك وكتاب عقيل وجواب علي عليه السلام له – قبل الرضي – ابراهيم بن هلال الثقفي في « الغارات » [2] كما ذكر الكتاب والجواب ابو الفرج الاصفهاني في « الاغاني » ج ١٥ – ٤٤ ، وذكره ايضاً ابن قتيبة في « الامامة والسياسة » : ج ١ – ٤٤ وقد نقلت لك الجواب والكتاب وبامكانك عند المقارنة تعرف مقدار ما التقطه الشريف الرضي من كتاب امير المؤمنين عليه السلام .

وبهذا الكتاب والجواب نحتج على من يقول ان عقيلا فارق اخاه لان غارة الضحاك سنة ٣٩ اي في اواخر ايام امير المؤمنين عليه السلام .

٣٧ – ومن كتاب له عليه السّلام

إلى معاوية

فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ ٱلْمُبْتَدَعَةِ وَٱلْحَيْرَةِ

---

(١) هو العباس بن مرداس السلمي .
(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد م ١ ص ١٥١ . والغارات ص ٤٣١

ٱلْمُتْعِبَةِ[1] ، مَعَ تَضْيِيعِ ٱلْحَقَائِقِ وَٱطِّرَاحِ ٱلْوَثَائِقِ ٱلَّتِي هِيَ لِلّٰهِ طِلْبَةٌ ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ[2] . فَأَمَّا إِكْثَارُكَ ٱلْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ[3] فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَكَ[4] ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَهُ . وَٱلسَّلَامُ .

اول هذا الكتاب :

اما بعد : فان الدنيا حلوة خضرة ، ذات زينة وبهجة ، لم يصب[5] اليها احد الا شغلته بزينتها عما هو انفع له منها ، وبالآخرة امرنا ، وعليها حثثنا ، فدع — يا معاوية — ما يفنى واعمل لما يبقى ، واحذر الموت الذي اليه مصيرك ، والحساب الذي اليه عاقبتك .

واعلم ان الله تعالى إذا اراد بعبد خيراً حال بينه وبين ما يكره ، ووفقه

---

(١) وتروى (المتبعة) بتقديم الباء على العين اسم مفعول من (اتبعه) ، والتعجب من شدة لزومه للاهواء التي يبتدعها وذلك انه في كل وقت يوقع شبهة ، ويبتدع رأياً يغري به اصحابه ، ويقرر في اذهانهم بذلك ان علياً عليه السلام لا يصلح للامامة ، فتارة يقول انه قتل عثمان ، وتارة يزعم انه قتل الصحابة وفرق كلمة الجماعة ، وتارة يعترف بكونه صالحاً للامامة ، والاقرار على الشام إلى غير ذلك مما يبتدعه من الاباطيل ، ويتبع الحيرة فيها مع تضييعه لحقائق الأمور التي ينبغي ان يعتقدها من كونه عليه السلام الأحق بهذا الامر ، واطراحه لوثائق الله وعهوده المطلوبة المرضية له ، وهي على عباده حجة يوم القيامة .

(٢) طلبة (بفتح فكسر) : اي مطلوبة .

(٣) الحجاج : الجدال .

(٤) حيث كان الانتصار له فائدة لك تتخذه ذريعة لجمع الناس إلى غرضك ، اما وهو حي وكان النصر يفيده فقد خذلته ، وابطأت عنه .

(٥) صبا إلى الشيء : مال وحن اليه .

لطاعته ، وإذا اراد الله بعبد سوء اغراه في الدنيا وانساه الآخرة ، وبسط له امله وعاقه عما فيه صلاحه ، وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي غير غرضك ، وتنشد غير ضالتك ، وتخبط في عماية ، وتتيه في ضلالة ، وتعتصم بغير حجة ، وتلوذ بأضعف شبهة .

فأما سؤالك إلي المتاركة ، والاقرار لك على الشام فلو كنت فاعلا اليوم لفعلته امس .

واما قولك : ان عمر ولاكه فقد عزل من كان ولاه صاحبه ، وعزل عثمان من كان عمر ولاه ، ولم ينصب للناس إمام الا ليرى من صلاح الامة ما قد كان ظهر لمن قبله ، او خفي عنهم غيبه ، والامر يحدث بعده الامر ولكل وال راي واجتهاد .

فسبحان الله ما اشد لزومك للاهواء المبتدعة ... إلى آخر ما في « نهج البلاغة » .

روى ذلك شارحا « نهج البلاغة » المعتزلي والبحراني[1] ولا جرم ان مصدرهما غير « النهج » ولكنهما لم يشيرا اليه فلاحظ .

٣٨ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى اهل مصر لما ولى عليهم الاشتر رحمه الله

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ غَضِبُوا لِلهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ وَذُهِبَ بِحَقِّهِ ، فَضَرَبَ

(١) شرح المعتزلي : م ٤ / ٥٧ ، وشرح البحراني : ٥ / ٨١ .

ٱلْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى ٱلْبَرِّ وَٱلْفَاجِرِ[1] وَٱلْمُقِيمِ وَٱلظَّاعِنِ ، فَلاَ مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ[2] ، وَلاَ مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ .

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْداً مِنْ عِبَادِ ٱللهِ لاَ يَنَامُ أَيَّامَ ٱلْخَوْفِ ، وَلاَ يَنْكُلُ عَنِ ٱلأَعْدَاءِ سَاعَاتِ ٱلرَّوْعِ[3] . أَشَدَّ عَلَى ٱلْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ ٱلنَّارِ ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ ٱلْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ ، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ ٱلْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ ٱللهِ لاَ كَلِيلُ ٱلظُّبَةِ وَلاَ نَابِي ٱلضَّرِيبَةِ[4] ، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا ، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا ، فَإِنَّهُ لاَ يُقْدِمُ وَلاَ

---

(١) السرادق : الستر الذي يمد فوق صحن البيت ، والدخان المرتفع الذي يحيط بالشيء ، ولعله عليه السلام يريد المعنى الثاني ، والبر (بفتح الباء) : التقي والظاعن : الراحل .

(٢) استراح اليه : سكن واطمأن ، والسكون إلى المعروف يستلزم العمل به .

(٣) لا ينام ايام الخوف : اي انه حذر يقظ والعرب كانت تمدح بذلك فتقول « لا ينام ليلة يخاف ولا يشبع ليلة يضاف » ، ولا ينكل : اي لا ينكص ولا يجبن والروع الخوف .

قال ابن ابي الحديد في قوله عليه السلام ، فيما طابق الحق : امرهم في ان يطيعوه فيما يأمرهم به مما طابق الحق ، وهذا من شدة دينه ، وصلابته عليه السلام ، لم يسامح نفسه في حق احب الخلق اليه ان يهمل هذا القيد .

(٤) الظبة « بضم فتح » حد السيف ، والكليل الذي لا يقطع ، ولا أدري لماذا لم يشتهر مالك بلقب سيف الله وقد لقبه بذلك علي عليه السلام كما اشتهر خالد بن الوليد حيث لقبه بذلك ابو بكر ؟ والضريبة — كذبيحة — : المضروب بالسيف وانما دخلت التاء في ضريبة وهي بمعنى المفعول لذهابها مذهب الاسماء كالنطيحة والاكيلة ، والنابي من السيوف الذي لا يقطع وضربة نابية : غير مؤثرة .

يُحْجِمُ وَلاَ يُؤَخِّرُ وَلاَ يُقَدِّمُ إلاَّ عَنْ أَمْرِي ، وَقَدْ آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ[1] .

رواه الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ص ٣٣٩٤ ط ليدن في حوادث سنة ٣٨.

ورواه الشيخ المفيد في موضعين من كتبه ، الاول في « الاختصاص » ص ٨٠ والثاني في « الامالي » ص ٤٥ ، ونقله ابن ابي الحديد مرتين ، عن « الغارات » لابراهيم بن هلال الثقفي المتوفى في حدود سنة (٢٨٣) الاولى في المجلد الثاني ص ٢٩ بسند ابراهيم المذكور عن الشعبي عن صعصعة بن صوحان ، والثانية في نفس المجلد ص ٣٠ بسند ابراهيم ايضاً عن محمد بن عبد الله عن المدائني عن مولى الاشتر ، قال : لما هلك الاشتر اصيب برجله رسالة إلى اهل مصر ، من عبد الله علي امير المؤمنين ... وذكر الرسالة بوجه يغاير ما نقله اولا بشيء يسير ، وجميع ما يحتوي عليه هذا الكتاب الذي ذكره الرضي في « النهج » تشتمل هذه المرويات على مفرداته . فلا يبعد ان يكون الرضي رحمه الله تعالى ضم بعض هذه الروايات إلى بعض ، واختار منها ما ذكره ، او انه وجده بهذه الصورة فنقله على وجهه كما وجده ، وهذا ما نظنه قوياً ، بل نعتقده يقيناً ، لان عادة الرضي في نقل الروايات المختلفة ، ان ينقل كل رواية على حدة ، واستعراض بسيط « لنهج البلاغة » ترى حقيقة ما نذهب اليه . وقد اشرنا الى ذلك فيما مرّ من هذا الكتاب[2] .

---

(١) آثرتكم خصصتكم به مع شدة حاجتي اليه ، والشكيمة في اللجام : الحديدة المعرضة في فم الفرس ، ويعبر بها عن قوة النفس ، وشدة البأس .

(٢) انظر ج ١ ص ٣٤٤ .

٣٩ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى عمرو بن العاص

فَإِنَّكَ قَدْ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا ٱمْرِىءٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ، يَشِينُ ٱلْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسَفِّهُ ٱلْحَلِيمَ بِخُلْطَتِهِ ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقِي إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ . فَإِنْ يُمَكِّنِّي ٱللهُ مِنْكَ وَمِنِ ٱبْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا[١] .

هذا الكتاب نقله قبل الرضي نصر بن مزاحم في كتاب « صفين »[٢] بصورة تختلف قليلا في بعض الفاظها مع « نهج البلاغة » قال : وكتب علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص :

من عبد الله علي امير المؤمنين إلى الابتر ابن الابتر عمرو بن العاص شانيء

---

(١) اي وان لم استطع اخذكما ، او امت قبل ذلك وبقيتما بعدي فالذي امامكما شر لكما ، لان عذاب الدنيا منقطع وعذاب الآخرة غير منقطع .

(٢) انظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٤ / ٦١ ورواه ابن ميثم في شرح النهج : ٥ / ٨٥ .

محمد وآل محمد في الجاهلية والاسلام[1] .

سلام على من اتبع الهدى . اما بعد : فانك تركت مروءتك لامرىء فاسق مهتوك ستره ، يشين الكريم بمجلسه ، ويسفه الحليم بخلطته ، فصار قلبك لقلبه تبعاً كما (وافق شن طبقة) [2] . فسلبك دينك وامانتك ، ودنياك

---

(١) الابتر : المنقطع عن كل خير الذي لا يفوز بالذكر الحسن بعد موته ، والشانيء المبغض ، وفي العاص بن وائل نزل قوله تعالى (ان شانئك هو الابتر) بأجماع المفسرين ، وذلك ان العرب كانت تسمي من لا ولد له ابتر فلما توفي القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال العاص بن وائل : يا معشر قريش لا يهمنكم امر محمد انما هو رجل ابتر فنزلت الآية .

وقد روي ان عمرو بن العاص ارسل إلى امير المؤمنين عليه السلام يعيبه بأشياء منها : انك تسمي الحسن والحسين ولدى رسول الله ، فقال للرسول : قل للشانيء ابن الشانيء : لو لم يكونا ولديه لكان ابتر كما زعم ابوك . وانظر ج ٢ ص ١١٢ من هذا الكتاب .

(٢) مثل يضرب للمتوافقين ، واصله : ان رجلا من دهاة العرب يقال له شن آلى على نفسه ان لا يتزوج الا امرأة مثله في العقل والذكاء ، وجعل يطوف في الارض من اجل ذلك ، فبينما هو في بعض مسيره اذ وافقه رجل في الطريق فقال له شن اين تريد ؟ قال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصدها شن حتى اخذا في مسيرهما قال له شن : اتحملني ام احملك . فقال له الرجل : يا جاهل انا راكب وانت راكب فكيف احملك او تحملني ؟ فسكت عنه شن ، فسارا فمرا على زرع آن حصاده فقال شن : اترى هذا اكل ام لا ؟ فقال الرجل : يا جاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول : اكل ام لا ! فسكت عنه شن ، حتى اذا دخلا القرية لقيتهما جنازة فقال شن : اترى صاحب هذا النعش حياً ام ميتاً ؟ فقال الرجل : ما رأيت اجهل منك ترى نعشاً فتسأل عن الذي فيه اميت ام حي ؟! فسكت عنه شن فأراد شن مفارقته فابى الرجل ان يتركه الا ان يصير به إلى منزله — وكان منزله في تلك القرية — فمضى معه ، وكان للرجل بنت يقال لها طبقة فلما دخل عليها ابوها سألته عن ضيفه ، فأخبرها بمرافقته اياه ، وشكا اليها جهله ، وحدثها بحديثه فقالت : يا ابت ما هذا بجاهل ، اما قوله : اتحملني ام احملك ؟ اراد تحدثني ام احدثك حتى نقطع طريقنا ؟ واما قوله : اترى هذا الزرع اكل ام لا اراد هل ان على اهله ديناً ام لا ؟ واما قوله في الجنازة فأراد اترك عقباً يحيا بهم ذكره ام لا ؟ فخرج الرجل إلى شن فحادثه ساعة فقال له : اتحب ان افسر لك ما سألتني ؟ قال : نعم ، ففسره قال شن ما هذا من كلامك فاخبرني من صاحبه ؟ قال : ابنة لي فخطبها اليه فزوجه اياها ، وحملها إلى اهله ، فلما رأوها قالوا : « وافق شن طبقة » فارسلت مثلا .

وآخرتك ، وكان علم الله بالغاً فيك ، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما دجى الليل ، او اتى الصبح ، يلتمس فاضل سؤره ، وحوايا فريسته[1] ، ولكن لا نجاة من القدر ، ولو بالحق اخذت لادركت ما رجوت وقد رشد من كان الحق قائده ، فان يمكن الله منك ومن ابن آكلة الاكباد الحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسول الله ﷺ وان تعجزا وتبقيا فالله حسبكما وكفى بانتقامه انتقاماً ، والسلام

ورواه سبط ابن الجوزي الحنفي في (التذكرة) ص ٨٤ والطبرسي في (الاحتجاج) ج ١ ص ٢٦٧ .

واتماماً للفائدة نورد تعليق ابن ابي الحديد على هذه الرسالة ، قال :

« اما قوله عليه السلام في معاوية : ظاهر غيه ، فلا ريب في ظهور ضلاله وبغيه ، وكل باغ غاو .

واما مهتوك ستره فانه كان كثير الهزل والخلاعة ، صاحب جلساء وسمار ومعاوية لم يتوقر ولم يلزم قانون الرئاسة الا منذ خرج على امير المؤمنين واحتاج إلى الناموس [2] والسكينة ، والا فقد كان في ايام عثمان شديد التهتك ، موسوماً بكل قبيح ، وكان في ايام عمر يستر نفسه قليلا خوفاً منه الا انه كان يلبس الحرير والديباج [3] ، ويشرب في آنية الذهب والفضة ، ويركب البغلات ذوات السروج المحلاة بها ، وعليها جلال [4] الديباج والوشي [5] وكان حينئذ شاباً ، وعنده نزق الصبا ، واثر الشبيبة ، وسكر

---

(١) الضرغام : الاسد . ودجا الليل : اظلم ، والحوايا (جمع حوية كقضية) وهي ما تحوي : اي ما استدار من الامعاء .

(٢) الناموس هنا : المكر والخداع .

(٣) الديباج : الثياب المنقوشة ، والدبج : النقش .

(٤) الجلال : ثوب الدابة .

(٥) الوشي : الثياب المنمقة المنقوشة .

السلطان والأمرة ، ونقل الناس عنه في كتب السيرة انه كان يشرب الخمر في ايام عثمان في الشام ، واما بعد وفاة امير المؤمنين واستقرار الامر له فقد اختلف فيه ، فقيل انه شرب الخمر في ستر وقيل : انه لم يشرب الخمر ، ولا خلاف في انه سمع الغناء ، وطرب عليه ، واعطى ووصل عليه ايضاً » (١) .

٤٠ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ .

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ ٱلْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَأَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ ، وَٱعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ ٱللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ ٱلنَّاسِ .

هذا الكتاب ساقط من النسخة التي عليها شرح كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني ، مثبت في سائر النسخ ، وكيف كان فهو مروي قبل الشريف الرضي في « العقد الفريد » : ج ٤ ص ٣٥٥ .

---

(١) الشرح : م ٤ / ٦٠ .

٤١ - ومن كلام له عليه السلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي ، وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ إِلَيَّ . فَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ ، وَٱلْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ ، وَأَمَانَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ١ ، وَهٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ٢ قَلَبْتَ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ٣ فَفَارَقْتَهُ مَعَ ٱلْمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ ٱلْخَاذِلِينَ ،

---

(١) الامانة الخلافة ، فهو امين الله عليها واشراكه فيها حيث جعله على بعض ما ائتمن عليه منها . وكلب وحرب – كفرح – ومعنى الاول : اشتد ، ومعنى الثاني استأسد واذا كان كطلب – فالمعنى سلب مالنا ، وفي رواية « العقد الفريد » حرد بالدال المهملة اي غضب ، وخزيت – كرضيت ذلت وهانت .

(٢) فنكت – بالنون قبل الكاف – من فنكت الجارية اذا صارت ماجنة ، وشغرت خلت من الخير .

(٣) المجن : الترس ، وهذا مثل يضرب لمن كان على مودة ثم حال عن العهد واصل ذلك ان الجيش اذا لقوا العدو كانت ظهور مجانهم الى وجه العدو ، وبطون مجانهم إلى وجه عسكرهم ، فاذا فارقوا رئيسهم وصاروا مع العدو كان وضع مجانهم على غير الوضع الذي كان من قبل . وذلك ان ظهور الترسة لايمكن ان تكون الا في وجوه الاعداء ، لانها مرمى سهامهم .

وَخُنْتَهُ مَعَ ٱلْخَائِنِينَ . فَلاَ ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ[1] ، وَلاَ ٱلْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ[2] وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ . فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ ٱلشِّدَّةُ فِي خِيَانَةِ ٱلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلْكَرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ ٱلْوَثْبَةَ ، وَٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ ٱخْتِطَافَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَزَلِّ دَامِيَةَ ٱلْمِعْزَى ٱلْكَسِيرَةَ[3] ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى ٱلْحِجَازِ رَحِيبَ ٱلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ[4] كَأَنَّكَ ـ لاَ أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثَكَ مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ . فَسُبْحَانَ ٱللهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِٱلْمَعَادِ ؟ أَوَ مَا تَخَافُ نِقَاشَ ٱلْحِسَابِ[5] ؟ أَيُّهَا ٱلْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ[6] كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ

---

(١) آسيت : شاركت في الملمات .
(٢) كاده : خدعه ، والغرة : الغفلة ، والفيء : الخراج والغنيمة .
(٣) الذئب الازل : خفيف لحم الوركين ، وذلك اشد لعدوه واسرع لوثبته والدامية : المجروحة . والذئب يكون اقدر على اختطاف شاة من المعزى اذا كانت كسيرة ودامية ايضاً .
(٤) والتأثم : التحرز من الاثم ، وحدرت : اسرعت .
(٥) نقاش الحساب : الاستقصاء فيه .
(٦) وسغت الشراب : بلعته بسهولة .

أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً ؟ وَتَبْتَاعُ ٱلْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ ٱلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ ٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدِينَ ٱلَّذِينَ أَفَاءَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ ٱلْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ ٱلْبِلَادَ . فَاتَّقِ ٱللهَ وَارْدُدْ إِلَى هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي ٱللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى ٱللهِ فِيكَ[1] ، وَلَأَضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي ٱلَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَداً إِلَّا دَخَلَ ٱلنَّارَ . وَوَٱللهِ لَوْ أَنَّ ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ ٱلَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ[2] وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ ٱلْحَقَّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ ٱلْبَاطِلَ مِنْ مَظْلَمَتِهِمَا . وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ[3] مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي أَتْرُكُهُ مِيرَاثاً لِمَنْ بَعْدِي . فَضَحِّ رُوَيْداً فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ ٱلْمَدَى[4] وَدُفِنْتَ تَحْتَ ٱلثَّرَى وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ ٱلَّذِي يُنَادِي

---

(١) اي لا عاقبنك عقاباً يكون لي عذراً عند الله من فعلتك هذه .

(٢) الهوادة : المصالحة والمصانعة .

(٣) قسمه هذا كالتحقير لما اخذه ، وبيان انه لو كان اخذه على وجه الحلال فلا يصلح للقنية فكيف به وهو حرام ، وذلك ليتركه ويخرج عنه إلى اهله .

(٤) ضح رويداً : من ضحيت الغنم اذا رعيتها في الضحى : وهذه الكلمة تقال لمن يأمر بالامهال والتوأدة على سبيل التهديد .

ٱلظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى ٱلْمُضَيِّعُ فِيهِ ٱلرَّجْعَةَ وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ(١) .

اشار إلى هذا الكتاب ابن قتيبة في « عيون الاخبار » : م ١ ص ٥٧ ونقل نقرات منه، ورواه ابن عبد ربه في «العقد الفريد» : في الجزء الثاني ص ٢٤٢ ط لازهرية، كما رواه بتفاوت ابو عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي في رجاله : ص ٥٨ والبلاذري في « انساب الاشراف » ص ١٧٤ ط. الاعلمي وفي « كنز العمال » ج ٦ ص ٤١٠ : عن المدائني كتب علي بن ابي طالب إلى بعض عماله : «رويداً فكأن قد بلغت المدى ... الخ». وهؤلاء كلهم ممن تقدم الشريف لرضي بروايته ، وممن رواه بعده ابو الفضل احمد بن محمد الميداني في مجمع الامثال » : ج ٢ ص ١٠١ ، وسبط ابن الجوزي في « تذكرة لخواص » : ص ١٦٧ برواية السدي .

وقال ابن ابي الحديد ان الرواة قد اطبقوا على رواية هذا الكلام عنه ، قد ذكر في اكثر كتب السير (٢) .

ولشيخنا المقدس الشيخ محمد طه نجف عطر الله مرقده (١) تحقيق لطيف هذا الكتاب . فراجع « اتقان المقال » : ص ٣١٣ إذا شئت .

---

(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ / ٥٤ .

(٢) الشيخ محمد طه نجف رحمه الله من اعاظم علماء الامامية ، واكابر زعمائهم انتهت يه زعامة التقليد والمرجعية العامة بعد وفاة الامام السيد محمد حسن الشيرازي قدس سره : حضر لى الشيخ الانصاري وجماعة من العلماء ، وكان اكثر حضوره وتحصيله على العلامة المحقق شيخ محسن خنفر نور الله ضريحه ، ولم يحضر على احد بعده وتخرج عليه جماعة من العلماء كالشيخ حسن وللشيخ علي الجواهريين والسيد عدنان الغريفي والسيد محمد سعيد الحبوبي والشيخ جعفر البديري وغيرهم ، وكف بصره في اواخر عمره ولم يثنه ذلك عن البحث والتدريس المذاكرة والتأليف ، وقد الف وهو على تلك الحالة كتابه المعروف بـ « الانصاف على مسائل—

٤٢ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى عمر بن ابي سلمة المخزومي[1] وكان عامله على البحرين فعزله واستعمل النعمان بن عجلان الزرقي[2] مكانه .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ ٱلنُّعْمَانَ بنَ عَجْلاَنَ ٱلزُّرَقِيَّ عَلَى البَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ ،بِلاَذَمٍّ لَكَ ، وَلاَ تَثْرِيبٍ

الخلاف . » .

توفي رحمه الله في النجف الاشرف يوم الاحد ١٣ شوال سنة ١٣٢٣ وكان يومه مشهوداً ، عطلت فيه الاعمال ، وغلقت الاسواق ، واقيمت المآتم في اكثر البلاد الاسلامية ، ورثاه الشعراء .

وخلف عدة مؤلفات في الفقه والاصول والرجال : منها تعليقته على « جواهر الكلام » المعروفة بالانصاف و « الدعائم » في الاصول ، و « احياء الموات في احوال الرواة » و « اتقان المقال في احوال الرجال » وغيرها .

(١) عمر بن ابي سلمة المخزومي ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امه ام سلمة رضي الله عنها ، يكنى اباجعفر ولد في السنة الثانية من الهجرة بارض الحبشة وتوفي في المدينة في خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٨٣ وقد حفظ عن رسول الله الحديث ، وروى عنه سعيد بن المسيب وغيره .

وكان عمر ارسلته امه خلف امير المؤمنين عليه السلام لما خرج لحرب اصحاب الجمل ، وكتبت معه كتاباً تقول فيه لولا ان الجهاد موضوع عن النساء لجئت فجاهدت بين يديك هذا ابني عديل النفس فاستوص به خيراً يا امير المؤمنين .

(٢) النعمان بن العجلان من سادات الانصار ، وكان لسانهم وشاعرهم ، وهو القائل يوم السقيفة يذكر ايام الانصار ، والخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

فقل لقريش نحن اصحاب مكة ويوم حنين والفوارس في بدر
واصحاب احد والنضير وخيبر ونحن رجعنا من قريظة بالذكر
ويوم بارض الشام اذ قتل جعفر وزيد وعبد الله في علق يجري
وفي كل يوم ينكر الكلب اهله نطاعن فيه بالمثقفة السمر

عَلَيْكَ١ . فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ ٱلْوِلَايَةَ وَأَدَّيْتَ ٱلْأَمَانَةَ . فَأَقْبِلْ
غَيْرَ ظَنِينٍ٢ وَلاَ مَلُومٍ وَلاَ مُتَّهَمٍ وَلاَ مَأْثُومٍ .
فَقَدْ أَرَدْتُ ٱلْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ ٱلشَّامِ٣ وَأَحْبَبْتُ أَنْ
تَشْهَدَ مَعِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ٤
وَإِقَامَةِ عَمُودِ ٱلدِّينِ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ .

سبق الشريف الرضي برواية هذا الكتاب ابن واضح في تاريخه : ج ٢
ص ١٩٠ والبلاذري في (أنساب الأشراف) ص ١٥٩ ط : الأعلمي.

نصرنـــا وآوينا النبي ولم نخف	صروف الليالي والعظيم من الامر
وقلنا لقوم هاجروا قبل : مرحبا	واهلا وسهلا قد امنتم من الفقر
نقاسمكم اموالنـــا وبيوتنــــا	كقسمة ايسار الجزور على الشطر
ونكفيكم الامر الذي تكرهـــونه	وكنا اناساً نذهب العسر باليسر
وقلتم : حرام نصب سعد ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال ابا بكـــر
وكان هوانا في علي وانــــه	لاهل لها يا عمرو من حيث لاتدري
وصي النبي المصطفى وابن عمه	وقاتل فرسان الضلالة والكفر

واستعمله علي عليه السلام على البحرين بعد عمر بن ابي سلمة ، فجعل يبدد بيت المال ويعطي كل من جاءه من قومه وبلغ ذلك امير المؤمنين عليه السلام فكتب اليه يؤنبه ، ويطلب منه ان يرفع اليه حسابه ، فحمل ما بقي عنده من المال ولحق بمعاوية .

(١) التثريب : الاستقصاء في اللوم .
(٢) الظنين : المتهم .
(٣) الظلمة — بالتحريك — جمع ظالم .
(٤) استظهر : استعين .

٤٣ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني وهو عامله على اردشير خُـرةّ[١] .

بَلَغَني عَنْكَ أَمْرٌ إنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إلٰهَك وَأَغْضَبْتَ إمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ[٢] فَيْءَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيولُهُمْ، وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ ٱعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِك[٣] . فَوَٱلَّذي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَاناً ، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً . فَلاَ تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلاَ تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً .

أَلاَ وَإنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا[٤] مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا ٱلْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ.

نقل هذا الكتاب قبل الشريف الرضي البلاذري في « انساب الاشراف »

---

(١) اردشير خرة — بضم الراء وتشديد الخاء — كورة من بلاد فارس .

(٢) « انك ... الخ » بدل من « امر » .

(٣) اعتامك : اختارك من بين الناس ، اصله من العيمة — بالكسر — وهي خيار المال .

(٤) قبل — بكسر القاف — ظرف بمعنى عند .

ص ١٦٠ ط. الاعلمي وابن واضح في « التاريخ » : ج ٢ ص ١٩٠ بتفاوت عما في « النهج » وذكر ان مصقله اجاب امير المؤمنين عليه السلام بكتاب يقول فيه :.

« اما بعد : فقد بلغني كتاب امير المؤمنين فليسأل ان كان حقاً فليجعل عزلي بعد نكالي فكل مملوك لي حر وعلي آثام ربيعة ومضر ان كنت رزأت من عملي ديناراً ولا درهماً ولا غيرهما منذ وليته إلى ان ورد على كتاب كتاب امير المؤمنين ، ولتعلمن ان العزل اهون علي من التهمة » .

وتقدم في الجزء الاول ص ٤٥٠ من هذا الكتاب اجمال قصة شراء مصقلة لسبي بني ناجية وامتناعه عن دفع الفداء . وفراره إلى معاوية تحت استار الليل .

٤٤ ـ ومن كتاب له عليه السّلام

إلى زياد بن ابيه ، وقد بلغه ان معاوية كتب اليه يريد خديعته باستلحاقه .

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ ، وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ[1] فَاحْذَرْهُ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ : يَأْتِي ٱلْمَرْأَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ

---

(١) يستزل : يطلب زلله وخطأه ، واللب : العقل . ويستفل : يحاول ان يفل غربك ، والغرب ـ بفتح فسكون ـ الحد والمراد به العزم .

شِمَالِهِ ؛ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ١ وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ .

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ ٱلْخَطَّابِ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ ٱلنَّفْسِ٢ وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ ٱلشَّيْطَانِ : لاَ يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ ، وَلاَ يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ ، وَٱلْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ ٱلْمُدَفَّعِ ، وَالنَّوْطِ ٱلْمُذَبْذَبِ .

فلما قرأ زياد الكتاب قال : شهد بها ورب الكعبة ، ولم تزل في نفسه حتى ادعاه معاوية .

قال الرضي : قوله عليه السلام « الواغل » : هو الذي يهجم على الشرب ليشرب معهم ، وليس منهم ، فلا يزال مُدَفّعاً محاجزاً . و « النوط المذبذب » هو ما يناط برحل الراكب من قعب او قدح او ما اشبه ذلك ، فهو ابداً يتقلقل إذا حث ظهره واستعجل سيره .

(١)

كانت سمية ام زياد امة وهبها ابو الخير بن عمرو الكندي للحارث بن كلدة وكان طبيباً يعالجه ، فولدت على فراشه نافعاً ، ثم ولدت ابا بكرة فانكر لونه ، وقيل له : ان جاريتك بغي ، فانتفى من ابي بكرة ومن نافع وزوجها عبيداً عبداً رومياً لابنته فولدت على فراشه زياداً [٣] ، فكان يقال

---

(١) يلج غفلته بغتة فيأخذه فيها ، قال الشيخ محمد عبده : وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من احسن انواع التشبيه ، والغرة – بالكسر – خلو العقل من ضروب الحيل .

(٢) والفلتة : الامر يقع من دون تثبيت ورؤية . ونزغة : كلمة فاسدة، من نزغات الشيطان : اي حركاته .

(٣) العقد الفريد : ج٥ ص ٤ . والاصابة : ١ / ٥٦٣ .

له قبل الاستلحاق زياد بن عبيد ، ولم يزل عبيد عبداً مملوكاً إلى ان اشتراه زياد ايام عمر بألف درهم عندما استكتبه ابو موسى الاشعري واستحسن عمر منه هذا العمل وقال : نعم الالف [1] .

ووجه عامل من عمال عمر بن الخطاب زياداً إلى عمر بفتح فتحه الله على المسلمين فأمره عمر ان يخطب به على المنبر ، فأحسن في خطبته وجود ، وعند اصل المنبر ابو سفيان بن حرب وعلي بن ابي طالب عليه السلام [2] وعمرو بن العاص [3] فقال ابو سفيان : ابت المناقب الا ان تظهر شمائل زياد [4] وقال عمرو بن العاص لو كان هذا الغلام قرشياً لساق العرب بعصاه فقال ابو سفيان : انه لقرشي والله اني لاعرف الذي وضعه في رحم امه ، فقال علي بن ابي طالب ، ومن هو يا ابا سفيان ؟ قال : انا . قال : مهلا يا ابا سفيان [5] فانك لتعلم ان عمر ان سمع هذا القول منك كان سريعاً اليك بالشر [6] فقال ابو سفيان :

اما والله لو خوف شخص يراني يا علي من الاعادي
لاظهر امره صخر بن حرب ولم يخف المقالة في زياد
وقد طالت مجاملتي ثقفياً وتركي فيهم ثمر الفؤاد [7]

فهذه هي الفلتة التي اشار اليها امير المؤمنين عليه السلام في كتابه إلى زياد .

* * *

(١) الاصابة : ١ / ٥٦٣ و ج ٣ / ١٠٢ .
(٢) العقد الفريد : ج ٥ ص ٥ .
(٣) الاستيعاب : ١ / ٥٤٩ .
(٤) شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ ص ٦٧ عن الواقدي .
(٥) الاستيعاب : ١ — ٥٤٩ .
(٦) تاريخ دمشق : ٥ — ٤١٠ .
(٧) الاستيعاب : ١ — ٥٤٩ .

فلما كان زمن علي عليه السلام ولاه فارس او بعض اعمال فارس فضبطها ضبطاً صالحاً وجبى خراجها [1] فعرف ذلك معاوية فكتب اليه :

اما بعد : فان العش الذي ربيت فيه معلوم عندنا ، وقد غرتك قلاع تاوي اليها كما تأوي الطيور إلى اوكارها ، ولو لانتظاري بك ما الله اعلم به مني لكان لك مني ما قاله العبد الصالح : (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها اذلة وهم صاغرون)[2] . وكتب في اسفل الكتاب :

لله در زياد ايما رجل ... لو كان يعلم ما يأتي وما يذر

تنسى اباك وقد شالت نعامته ... إذ تخطب الناس والوالي لهم عمر[3]

فافخر بوالدك الأدنى ووالدنا ... إن ابن حرب له في قومه خطر [4]

ان انتهازك قوم لا تناسبهم ... عد الأنامل عار ليس يغتفر

فانزل بعيداً فان الله باعدهم ... عن كل فضل به تعلو الورى مضر

فالرأي مطَّرف ، والعقل تجربة ... فيها لصاحبها الايراد والصدر[5]

فلما ورد الكتاب على زياد قام في الناس فقال : العجب من ابن آكلة الاكباد ورأس النفاق يخوفني بقصده اياي وبيني وبينه ابن عم رسول الله ﷺ وزوج سيدة نساء العالمين ، وابو السبطين وصاحب الولاية والمنزلة[6] والاخاء في مائة الف من المهاجرين والانصار ، والتابعين لهم باحسان ، ام والله لو تخطى هؤلاء جميعاً لوجدني اعرف بضرب السيف .

---

(۱) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد . م ٤ — ٦٧ .

(۲) النمل : ۳۷ .

(۳) شالت نعامته : خف وغضب ثم سكن .

(٤) الخطر — بالتحريك — القدر .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م ٤ — ٦٧ ، و (تاريخ دمشق) لابن عساكر .

(٦) يشير إلى الحديثين المتواترين وهما : (اللهم وال من ولاه ... الخ) . و (انت مني بمنزلة هارون من موسى .) .

واتصل الخبر بعلي عليه السلام فكتب اليه :

اما بعد فاني وليتك ما وليتك ، وانا اراك لذلك اهلا ، وقد عرفت ان معاوية كتب اليك .. إلى آخر الكتاب [1] .

رواه قبل الرضي ابو الحسن علي بن محمد المدائني ، ولا ريب انه نقل ذلك عن غير المدائني للتفاوت في بعض الكلمات ، وزيادة بعض العبارات ، ورواه بعد الرضي ابن الاثير في « الكامل » : ج ٣ ص ٢٢٠ في حوادث سنة ٤٤ وفي « اسد الغابة » ج ٢ — ص ٢١٧ وابن عبد البر في « الاستيعاب » ج ١ ص ٥٥٠ في ترجمة زياد .

(٢)

ولم يزل زياد على عمله ، مقيماً على ولائه لامير المؤمنين عليه السلام وتعلقه بحب اهل البيت عليهم السلام إلى ان قتل امير المؤمنين عليه السلام ، فخاف معاوية جانبه ، وعلم صعوبة ناحيته ، واشفق من ممالأته الحسن عليه السلام ، فكتب اليه يتوعد ويتهدد [2] ويطلب اليه الانضمام إلى جانبه ، فلم يزد ذلك زياداً الا تصلباً وتمسكاً بولائه للحسن عليه السلام ، وجمع الناس وخطبهم فشنع على معاوية بخطبته [3] وسخر من توعده وتهديده واجابه بكتاب شديد اللهجة ، يكيل السب صاعاً بصاع ، ويقابل وعده بوعيده ، وتهديده بتهديده . ويشبهه بالغريق الذي غطاه الموج فجعل يتشبب

(١) شرح نهج البلاغة لميثم البحراني : ٥ / ٩٧ .

(٢) تجد نص الكتاب في شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٦٨ .

(٣) المصدر السابق .

بالطحلب [1] ، ويتمسك بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة ويعيره بحمامة [2] كما عيره بسمية .

فلما ورد كتاب زياد على معاوية غمه واحزنه ، وفكر فيمن يستعين به في هذا الأمر ، فلم ير الا المغيرة بن شعبة — وما يوم المغيرة في مثل هذه القضايا بواحد — فبعث اليه ، وخلا به ، وقال : يا مغيرة اريد مشاورتك في امر قد اهمني فانصحني فيه ، واشر علي برأي المجتهد ، وكن لي اكن لك ، فقد خصصتك بسري ، وآثرتك على ولدي .

فقال المغيرة : فما ذاك ؟ والله لتجدني في طاعتك امضى من الماء في حدوره ، ومن ذي الرونق في كف البطل الشجاع [3] .

قال : يا مغيرة ، ان زياداً قد اقام بفارس يكش لنا كشيش الافاعي [4] وهو رجل ثاقب الرأي ، ماضي العزيمة ، جوال الفكر ، مصيب اذا رمى ، وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حياً ، واخشى ممالأته حسناً ، فكيف السبيل اليه ؟ وما الحيلة في اصلاح رأيه ؟

قال المغيرة : اناله ان لم امت ، ان زياداً يحب الشرف والذكر ، وصعود المنابر : فلولا طفته المسألة ، وألنت له الكتاب ، لكان لك اميل ، فاكتب اليه وانا الرسول .

فكتب معاوية :

---

(١) الطحلب — بضم الطاء واللام — خضرة تعلو الماء الراكد .

(٢) حمامة ام أبي سفيان وكانت من ذوات الرايات في الجاهلية (انظر شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد م ٤ ص ١٠٧ .

(٣) حدور الماء : انحداره ، وذو الرونق : السيف .

(٤) كشيش الحية : صوت جلدها عند الزحف .

من امير المؤمنين معاوية بن ابي سفيان إلى زياد بن ابي سفيان [1] .

اما بعد : فان المَرْءَ ربما طرحه الهوى في مطارح العطب [2] ، وانك المرىء المضروب به المثل ، قاطع الرحم ، وواصل العدو ، حملت سوء ظنك بي ، وبغضك لي ان عققت قرابتي ، وقطعت رحمي ، وبتت نسبي وحرمتي ، حتى كأنك لست اخي ، وليس صخر بن حرب اباك .

وشتان ما بيني وبينك اطلب بدم ابن ابي العاص [3] وانت تقاتلني ، لكن ادركك عرق الرخاوة من قبل النساء ، فكنت :

وملحفة بيض اخرى بجناحها [4] .

وقد رأيت ان اعطف عليك ، ولا اؤاخذك بسوء سعيك ، وان اصل رحمك وابتغي الثواب في امرك فاعلم — ابا المغيرة — انك لو خضت في البحر في طاعة القوم ، فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم الا بعداً ، فان بني عبد شمس ابغض إلى بني هاشم من الشفرة إلى الثور الصريع وقد اوثق للذبح .

فارجع رحمك الله إلى اصلك ، واتصل بقومك ولا تكن كالموصول يطير بريش غيره ، فلقد اصبحت ضال النسب ، ولعمري ما فعل ذلك بك

---

(١) هو الآن يكتب اليه ابن ابي سفيان ، وفي الكتاب الذي توعده فيه قبل هذا كتب اليه زياد بن عبيد .

(٢) العطب : الهلاك .

(٣) يعني : عثمان فهو ابن عفان بن ابي العاص ، وكأنه يريد ان يستدرجه بذلك ليجعل منه ابن عم لعثمان .

(٤) العراء : الفضاء لا يستتر فيه شيء ، والتاركة لبيضها : النعامة ، فانها تدع بيضها وتخرج في طلب القوت فان وجدت بيض نعامة اخرى تحضنه وتنسى بيضها فضرب بها المثل واخذ المعنى ابن هرمة فقال :

واني وتركي ندى الاكرمين   وقدحي بكفي زناداً شحاحاً
كتاركة بيضها بالعرا   وملحفة بيض اخرى جناحا

الا اللجاج فدعه عنك فقد اصبحت على بينة من امرك ، ووضوح من حجتك ، فإن احببت جانبي ، ووثقت بي ، فأمرة بامرة ، وان كرهت جانبي ولم تثق بقولي ففعل جميل لا علي ولا لي والسلام [1].

وقدم المغيرة بكتاب معاوية على زياد ، فقربه زياد وادناه ، ولطف به ، ودفع اليه كتاب معاوية فقرأه ثم تأمله وضحك منه ولما فرغ منه وضعه تحت قدمه ثم قال : حسبك يا مغيرة فاني اطلع على ما في ضميرك ، وقد قدمت من سفرة بعيدة فقم وارح ركابك .

قال : اجل دع عنك اللجاج يرحمك الله ، وارجع إلى قومك ، وصل اخاك وانظر لنفسك ، ولا تقطع رحمك .

قال زياد : اني رجل صاحب اناة ، ولي في امري روية ، فلا تعجل علي ، ولا تبدأني بشيء حتى ابدأك .

ثم جمع الناس : بعد يومين او ثلاثة فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال :

ايها الناس : ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم ، وارغبوا الى الله في دوام العافية لكم ، فقد نظرت في امور الناس منذ قتل عثمان ، وفكرت فيهم فوجدتهم كالاضاحي في كل عيد يذبحون ، ولقد افنى هذا اليومان يوم الجمل وصفين ما ينيف على مائة الف كلهم يزعم انه طالب حق ، وتابع إمام ، وعلى بصيرة من امره ، فان كان الامر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنة ، كلا ليس كذلك ، ولكن اشكل الامر ، والتبس على القوم ، واني لخائف ان يرجع الامر كما بدأ ، فكيف لامرىء بسلامة دينه ؟ وقد نظرت في امر الناس ، فوجدت احمد العاقبتين العافية ، وسأعمل في اموركم ما

---

(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ / ٦٨ و ٦٩ .

تحمدون عاقبته ومغبته فقد حمدت طاعتكم ان شاء الله [1] .

ثم نزل ، وكتب جواب الكتاب :

اما بعد : فقد وصل كتابك – يا معاوية – مع المغيرة بن شعبة وفهمت ما فيه فالحمد لله الذي عرفك الحق ، وردك إلى الصلة . ولست ممن يجهل معروفاً ، ولا يغفل حسباً ، ولو اردت ان اجيبك بما اوجبته الحجة ، واحتمله الجواب ، لطال الكتاب وكثر الخطاب ، ولكنك ان كنت كتبت كتابك هذا عن عقد صحيح ، ونية حسنة ، واردت بذلك براً فستزرع في قلبي مودة وقبولا . وان كنت انما اردت .. مكيدة ومكراً ، وفسادنية ، فان النفس تأبى ما فيه العطب ، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاماً يعبأ به الخطيب المدره [2] فتركت من حضر لا اهل ورد ولا صدر كالمتحيرين بمهمة [3] ضل بهم الدليل وانا على امثال ذلك قدير .

وكتب في اسفل الكتاب :

اذا معشري لم ينصفوني وجدتني	ادافع عني الضيم ما دمت باقيا
وكم معشر اعيت قناتي عليهم	فلاموا والفوني لدى العزم ماضيا
وهمّ به ضاقت صدور فرجته	وكنت بطبي للرجال مداويا
ادافع بالحلم الجهول مكيدة	واخفي له تحت العصاة الدواهيا
فان تدن مني ادن منك وان تبن	تجدني اذا لم تدن مني نائيا [4]

فاعطاه معاوية جميع ما سأل ، وكتب اليه بخط يده ما وثق به [5] وتوجه

---

(١) شرح النهج لابن ابي الحديد م ٤ / ٦٩ .

(٢) المدره : لسان القوم والمتكلم عنهم .

(٣) الورد : الاشر اف على الماء وغيره ، دخله او لم يدخله ، والصدر الرجوع . والمهمه المفازة البعيدة .

(٤) تبن : تفارق وتبتعد .

(٥) شرح النهج لابن ابي الحديد م ٤ / ٦٩ .

إلى الشام وكان معاوية قد اخذ لذلك اليوم اهبته ، واستقبله الناس بما يستقبل به مثله من الامراء ، واعضاء الاسر المالكة ، وهيأ معاوية من يشهد لزياد بصحة هذا النسب الصراح ، والشرف العتيد ، والمكرمة الخالدة ! ! ! فمن الشهود العدول ! الثقة الصدوق ! ابو مريم السلولي الخمار الذي استطاع بمهارته في القيادة ان يجمع بين رجل هو ابعد ولد آدم عن اقتراف المآثم ! وامرأة هي من انقى بنات حواء صحيفة واطهرهن ذيلا ، واعفهن نفساً في لقاء بريء لا مجال فيه لتسرب الريب ، واحتكام الظنون ! ولم يمنعه ان يأتي بالشهادة على وجهها ! وان كان فيها ما يثير حفيظة زياد او يجرح عاطفته ، لان الرجل لا تأخذه في الحق لومة لائم ! ! ! (ومن يكتمها فانه آثم قلبه).

ودعت معاوية عاطفة الدم ، ووشيجة الرحم ان يزوج محمد بن زياد ابنته لا يرجو بذلك الا وجه الله ولا يريد الا ما عنده في صلة رحمه ! !

ذلك بعض ما رافق استلحاق زياد من التساجل في الخطب والكتب فكيف يستبعد ان يكون امير المؤمنين عليه السلام كتب إلى زياد بضعة اسطر في هذا الشأن وهو عامله على بلاد من اهم البلاد الاسلامية يومئذ في كثرة خيراتها ، ووفرة خراجها .

(٣)

ولا عجب اذا رد معاوية حكم الشريعة في هذه القضية ولكن العجب كل العجب من رجل يزعم انه درس « القضايا الكبرى في الاسلام » من جميع وجوهها ، ودخل اليها من ابوابها ، ليجعلها دراسة جديدة تناسب ما جد في هذا العصر من الاصول التشريعية ، ويطلع القارىء على اسرار التشريع ، ويعرف حال القضاء الاسلامي في ازهى عصوره ، حيث لم تتغلب عليه الاهواء الفاسدة ولم تزاحمه السياسة الظالمة ! ! ! [1] .

---

(١) انظر مقدمة كتاب (القضايا الكبرى في الاسلام) .

ذلك الرجل هو فضيلة الأستاذ الشيخ عبد المتعال الصعيدي من علماء الازهر الشريف ، الذي اخذ ينعي على السلف حيث سدوا باب الاجتهاد فجمدوا القرائح ، وعطلوا المواهب ولم يتركوه وامثاله يجولون في ميدانه [1] ويجرون في حلباته .

وانا اقتطف لك نتفاً من آرائه في هذه القضية واحيلك على كتابه « القضايا الكبرى في الاسلام » .

قال : هذه القضية بلغ من امرها ان الناس لا يزالون مختلفين في الحكم الذي حكم به فيها ، وكان للسياسة والشعر اثرهما في اختلاف الناس في هذا الحكم ، وما كان لهم ان يتأثروا بهما فيه وان يؤثروهما على حكم قاض يجب احترامه ... لان سلطة القاضي من سلطة ولي الامر ، وقد امر الله بطاعته ، والخضوع لحكمه ...

قال : ان معاوية كان له خصوم من بني هاشم ، ودخول زياد في نسب بني امية يقضي على آمالهم ، لخطر زياد وعظم قدره ، ولحاجة معاوية اليه في تثبيت ملكه فأخذوا يطعنون في هذا الحكم بين الناس ، وكان كثير من الصحابة والتابعين على رأيهم فيه ، حتى ذهبوا إلى انه اول ما ردت به احكام الشريعة علانية ، لان رسول الله ﷺ قضى بالوالد للفراش وللعاهر الحجر .

وكانت عائشة ممن لم يرض هذا الحكم ...

قد كان معاوية من كبار اصحاب النبي ﷺ ، وكان ممن اختاره لكتابة الوحي وقد قال النبي ﷺ « اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهديتم » .

إنه لظلم كبير — مع هذا — ان يرمى حكمه بأنه اول ما ردت به الشريعة علانية ، لان معاوية اكبر من ان يقصد رد الشريعة سراً او علانية ، وانما

---

(١) لا يخفى ان للشيخ كتاباً اسمه (في ميدان الاجتهاد) يطالب فيه بفتح باب الاجتهاد .

اجتهد في ذلك وتحرى الصواب وله اجتهاده في ذلك اخطأ او اصاب .

ولا شك في خطأ من قال ان حكم معاوية يخالف ما قضى به النبي ﷺ من ان الولد للفراش وللعاهر الحجر ، لان هذا في الزنا في الاسلام ، لا في الزنا في الجاهلية لان الاسلام يقر نسب ولد الزنا اذا كان في الجاهلية كما اقر نسب عمرو بن العاص إلى ابيه ، وقد علقت به سمية من ابي سفيان[1].

وشتان بين استلحاق ولد الزنا في الاسلام ، واستلحاق ولد الزنا في الجاهلية ، فالاول هو الذي اذا حصل يكون رداً للشريعة علانية ، والثاني محل اجتهاد للفقيه المسلم ! لانه لم يرد فيه نص قاطع عن النبي ﷺ واجتهاد معاوية فيه ارجح من اجتهاد غيره ، لانه اذا كان زياد من ابي سفيان لم يصح ان يضيع حقه في ذلك باسلامه ، لان الاسلام لا يضيع الحقوق على اصحابها ، والحق حق في كل زمان وفي كل مكان. واذا كانت المدة قد طالت على هذا الاستلحاق ، فان سقوط الحق بتلك المدة لم تتفق عليه كل الشرائع ... » .

اما ما يترتب عليه من الارث فيمكن ان يسقط بطول المدة .

ثم ذكر ابطال المهدي العباسي لهذا النسب وعلق عليه بقوله :

« وقد سبق ان معاوية حكم في ذلك عن اجتهاد وتحر للحق ، ولم يحكم فيه عن هوى ، وارادة لمخالفة الكتاب والسنة كما زعم المهدي »[2] .

تلك فقرات انتزعتها لك مما كتبه الشيخ حول الموضوع ولم اقطع عليه كلامه ببيان مواقع النظر ، ونقاط الضعف ، رغبة مني في ان تطلع عليه جملة واحدة ، لترى كيف يبلغ الهوى والتعصب الاعمى بالانسان – وان

---

(١) يعني زياداً .

(٢) انظر (القضايا الكبرى في الاسلام) من ص ١٨٤ إلى ١٩٤ .

كان من وزن فضيلة الشيخ الصعيدي ـ فيتركه يخبط خبط عشواء عسى ان يجعل من الباطل حقاً ومن الخطأ صواباً .

أ ـ يرى ان الله امر بطاعة معاوية ، والخضوع لحكمه ، وانه من كبار اصحاب النبي ﷺ و (بأيهم اقتديتم اهتديتم) فيكون ما فعله بسر بن ارطاة في الحرمين واليمن من هتك الحرمات ، وارتكاب المحرمات من سفك الدماء وحرق الدور . ونهب الاموال ، وذبح الاطفال .

وما صنعه سمرة بن جندب في البصرة اذ قتل من المسلمين في ستة اشهر ثمانية آلاف وفيهم سبعة واربعون رجلا قد جمع القرآن [1] .

وما فعله زياد في العراقين من هدم الدور ، والصلب على الجذوع وسمل الاعين ، وقطع الايدي والارجل من خلاف ، وقتل الابرياء حتى اصبح ذات يوم في البصرة وعلى باب قصره سبعمائة رأس [2] .

مضافاً الى افعال المغيرة بن شعبة في الكوفة ، وعمرو بن العاص في مصر ومروان بن الحكم في المدينة ، وعمرو بن سعيد الاشدق في مكة .

نعم كل ما فعله هؤلاء طاعة لله ، وخضوع لحكمه ـ على رأي الاستاذ الصعيدي ـ لأنهم امتثلوا امر معاوية وامره من امر الله ، وحكمه من حكمه.

ب ـ يقول : ان معاوية تحرى الصواب ، وافرغ وسعه في استنباط الحكم ـ كما فعل فضيلته تماماً ـ وانه مأجور اصاب ام اخطأ ، مع ان معاوية نفسه يعترف بأنه حكم بالهوى ، وخالف في حكمه رسول الله ﷺ ، فقد روى ان نصر بن حجاج بن علاط خاصم عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عند معاوية في عبد الله مولى خالد بن الوليد ، فأمر معاوية حاجبه ان يؤخر امرهما حتى يحتفل مجلسه ، فجلس معاوية وقد تلفع بمطرف[3] خز اخضر ،

---

(١) انظر تاريخ الطبري ج ٧ ص ٩٠ حوادث سنة ٥٠ .
(٢) انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٧٦ .
(٣) المطرف « بضم الميم وسكون الطاء المهملة بعدها فاء » : رداء من خز مربع ذو اعلام .

وامر بحجر فادني منه . والقى عليه طرف المطرف . ثم اذن لهما وقد احتفل المجلس . فقال نصر بن حجاج اخي وابن ابي . عهد الى انه منه ، وقال عبد الرحمن : مولاي وابن عبد ابي وامته ، ولد على فراشه ، فقال معاوية يا حرسي خذ هذا الحجر — وكشف عنه — فادفعه إلى نصر بن حجاج وقال : يا نصر هذا مالك في حكم رسول الله ﷺ فانه قال : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) فقال نصر : افلا اجريت هذا الحكم في زياد يا امير المؤمنين ؟ فقال : ذاك حكم معاوية وهذا حكم رسول الله ﷺ .

روى ذلك جماعة من المؤرخين منهم الطبري : ج ١٠ — ٤٨٠ في حوادث سنة ١٦٠ ، وابن عبد ربه في « العقد الفريد » : ٦ — ١٣٣ ، وقد نقل القصة فضيلته ايضاً ضمن كتاب المهدي العباسي في ابطال نسب زياد[1]

وقد اعترف قبل ذلك بأن زياداً ابن عبيد في عنوان كتاب كتبه اليه [2] .

ج — يرى فضيلته : ان اجتهاد معاوية في هذه المسألة ارجح من اجتهاد غيره وليس في هذه القضية اجتهاد حتى يرجح فيها رأي على رأي ، وانما هو تمسك بالنص ووقوف عند حكم الشريعة من جهة ، وحكم بالهوى لأجل دعم ملك ، ومقتضى المصلحة الخاصّة من جهة اخرى .

د — يرى ان معاوية اكبر من ان يقصد رد الشريعة في سرٍّ أو علانية ، وانه من الظلم ان يطعن في حكمه ، وان بنى هاشم طعنوا في هذا الحكم ، لانه يقضي على آمالهم ، وتابعهم على ذلك جماعة من الصحابة والتابعين ، فيبدو من هذا ان بني هاشم ومن تابعهم في هذا الامر من الصحابة والتابعين ظلموا ذلك المسكين الذي لا يخالف الشريعة مثقال ذرة ، ولا يخرج عن حكمها قيد شعره .

---

(١) القضايا الكبرى في الاسلام : ص ١٩٢ .

(٢) انظر شرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٦٨ .

واليك نماذج من هذه المظالم المنصبة على ذلك الرجل المظلوم :

١ ــ قال الحسن بن علي عليه السلام في مراسلة جرت بينه وبين زياد في شأن سعيد بن سرح : سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول : (الولد للفراش وللعاهر الحجر)[١] .

٢ ــ وقال عليه السلام لزياد بمحضر معاوية : وما انت يا زياد وقريشاً !؟ لا اعرف لك فيها اديماً صحيحاً ولا فرعاً نابتاً ، ولا قديماً ثابتاً ... ولدت لم تعرف لك العرب والداً فادعاك هذا ــ اي معاوية ــ بعد ممات ابيه ، مالك افتخار تكفيك سمية ويكفينا رسول الله ﷺ[٢] .

٣ ــ وقال الحسين عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية : او لست المدعي زياداً في الاسلام ، فزعمت انه ابن ابي سفيان ، وقضى رسول الله ﷺ : (ان الولد للفراش وللعاهر الحجر) ، ثم سلطته على اهل الاسلام ، يقتلهم ، ويقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، ويصلبهم على جذوع النخل[٣] .

٤ ــ وكانت عائشة (رض) ممن لم يرض هذا الحكم ، وقد اراد زياد أن يأخذها بدهائه ليحصل منها على اقرار بهذا الحكم فكتب اليها من زياد بن ابي سفيان وهو يريد ان تكتب له إلى زياد بن ابي سفيان فيحتج بذلك لدى من ينكره ففطنت عائشة لهذا وكتبت اليه من عائشة ام المؤمنين إلى ابنها زياد فلما قرأه ضحك وقال : لقد لقيت ام المؤمنين من هذا العنوان نصباً[٤] .

٥ ــ لما شهد الشهود بحضرة معاوية : ان زياداً ينتسب إلى ابي سفيان قام

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد م ٤ ص ٦٨

(٢) المحاسن والمساويء للبيهقي .

(٣) الأمامة والسياسة : ١ / ١٣٠ .

(٤) القضايا الكبرى في الاسلام : ص ١٨٨ ، وشرح النهج لابن ابي الحديد : م ٤ / ٧٦ .

يونس بن عبيد الثقفي [1] فقال : يا معاوية قضى رسول الله ﷺ (ان الولد للفراش وللعاهر الحجر) وقضيت انت ان الولد للعاهر . وان الحجر للفراش مخالفة لكتاب الله تعالى وانصرافاً عن سنة رسول الله ﷺ بشهادة أبي مريم على زنا ابي سفيان فقال معاوية والله يا يونس لتنتهين أو لأطيرن بك طيرة بطيء وقوعها [2] .

٦ ـ عبد الله بن عامر قال : لقد هممت اني بقسامة من قريش يحلفون بالله ان ابا سفيان لم ير سمية [3] .

٧ ـ كان ابو بكرة اخو زياد لأمه . قد حلف ان لا يكلم زياد لما نكل عن الشهادة على المغيرة بن شعبة ايام عمر فدخل على زياد في البصرة فرأى بين يديه طفلا له يلاعبه فقال : كيف انت يا غلام ؟ ان اباك ركب في الاسلام عظيماً زني امه وانتفى من أبيه ولا والله ما علمت ان سمية رأت ابا سفيان قط [4] .

٨ ـ وقال الحسن البصري : اربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيه منهن الا واحدة لكانت موبقة ، انتزاؤه على هذه الامة بالسفهاء حتى ابتزها امرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة ، واستخلافه ابنه بعده سكيراً خميراً يلبس الحرير ويضرب بالطنابير وادعاؤه زياداً وقد قال رسول الله ﷺ : (الولد للفراش وللعاهر الحجر) وقتله حجراً ، ويلاً له من حجر واصحاب حجر قالها مرتين [5] .

---

(١) يونس بن عبيد بن انس بن علاج الثقفي من الصحابة وهو اخو صفية مولاة سمية ام زياد .

(٢) مروج الذهب : م١ / ١٦ ، والاصابة : ٣ / ٦٣٢ .

(٣) القضايا الكبرى في الاسلام : ص ١٨٨ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : ٤ / ٧٦٠ .

(٥) الكامل لابن الاثير : ٤ / ٢٠٩ ، محاضرات الراغب : ٢ / ٢١٤ ، تاريخ الخلفاء ص ١٣١ ، من احكام الشيخ عبد المتعال الصعيدي في قضاياه الكبرى ص ٢٠٢ : واني =

٩ — وقال سعيد بن المسيب : اول قضية رد من قضاء رسول الله ﷺ علانية قضاء فلان (يعني معاوية) في زياد .

١٠ — وقال ابن بعجة اول داء دخل على العرب قتل الحسين وادعاء زياد

١١ — وقال الجاحظ : استوى معاوية على الملك واستبد على بقية الشورى وعلى المسلمين من المهاجرين والانصار في العام الذي سموه عام الجماعة ، وما كان عام الجماعة بل عام فرقة ، وقهر وجبرية وغلبة ، والعام الذي تحولت فيه الامامة ملكاً كسروياً والخلافة منصباً قيصرياً ثم ما زالت معاصيه من جنس ما حكينا ، وعلى منازل مارتبنا حتى رد قضية رسول الله ﷺ رداً مكشوفاً ، وجحد حكمه جحداً ظاهراً في ولد الفراش وما يجب للعاهر مع اجماع الامة على ان سمية لم تكن لابي سفيان فراشاً ، وانه كان بها عاهراً فخرج بذلك من حكم الفجار إلى حكم الكفار. ا هـ. (افحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكماً لقوم ...) .

هـ — ثم انظر التهافت في قوله : ان الحق حق في كل مكان وزمان ... واذا كانت المدة قد طالت على هذا الاستلحاق فان سقوط الحق بتلك المدة

= ارى ان معاوية اخذ في قتل حجر واصحابه بظاهر قوله تعالى في الآية (٢٣) من سورة المائدة . (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً : ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ...) .

لان الظاهر ان (او) في الآية للتخيير وقد ذهب إلى هذا بعض السلف ، والاكثرون على انها للتفصيل ، وان جزاء اولئك المحاربين ان يقتلوا او يصلبوا اذا قتلوا واخذوا المال وان تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف اذا اخذوا المال ولم يقتلوا وان ينفوا من الارض اذا لم يقتلوا او يأخذوا المال .

وقد اخذ معاوية باقصى عقوبة اولئك المحاربين ، لانه رأى نفسه امام فتنة اذ لم يأخذ فيها بذلك استطار شرها ، واعادت الحرب بين المسلمين فيذهب فيها من الدماء ما هو اعظم من حجر واصحاب حجر ... الخ .

واترك الحكم على هذاالحكم للمطالع الكريم وليلاحظ ان الصعيدي قال في اول هذا البحث : وسأقوم بدرس هذه القضية غير متأثر بشيء غير ما يقضي به حكم الشرع ...

لم تتفق عليه الشرائع اما ما يترتب عليه من الارث فيمكن ان يسقط بطول المدة ! .

وهكذا جعل الشتاء والصيف في سطح واحد ![1] .

و ـ ثم لاحظ وصفه معاوية بأنه يتحرى الحق ! ويحكم لا عن هوى ! وانه لم يخالف الكتاب والسنة .

متى يا حضرة الاستاذ كان معاوية بهذه الصفات .

يوم بغى على امير المؤمنين وسفك دماء المسلمين ؟

ام يوم قتل الافاضل من الصحابة كحجر بن عدي واصحابه ، وسعد بن ابي وقاص وامثاله [2] ام يوم سم الحسن المجتبى [3] وسب الامام المرتضى .

ام يوم استحل الربا [4] وصلى الجمعة في يوم الاربعاء [5] .

ام يوم عطل حدود الله [6] وشرب ما حرم الله [7] ... الخ .

واعود فأقول للاستاذ الصعيدي : لقد احسن قومك حين سدوا باب الاجتهاد حتى لا يجول في « ميدانه » من يدعي انه من اربابه مع انه لم يتحلل من التعصب المقيت ، والتقليد الاعمى .

---

(١) قالوا : أن إحدى النساء مرت ذات ليلة على ولدها فرأته نائماً مع زوجته فجذبتها بعنف وقالت : ابتعدي عنه فان الحر شديد ثم مرت في نفس الوقت على ابنتها وهي نائمة مع زوجها فقالت لها : التصقي بزوجك فان البرد شديد فسمعها زوجها فقال : ياهذه شتاء وصيف في سطح واحد .

(٢ و ٣) انظر مقاتل الطالبيين في احوال الحسن بن علي عليهما السلام .

(٤) انظر موطأ مالك : ٢ / ٥٩ وسنن البيهقي : ٥ / ٢٨٠ وسنن النسائي : ٧ / ٢٧٩ .

(٥) انظر مروج الذهب ٣ / ٤١ .

(٦) انظر الاحكام السلطانية للماوردي : ص ٢١ .

(٧) راجع مسند الامام احمد بن حنبل : ٥ / ٣٤٥ .

٤٥ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى عثمان بن حنيف الانصاري وهو عامله على البصرة وقد بلغه انه دعي إلى وليمة قوم من اهلها فمضى اليها . .

أَمَّا بَعْدُ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلاً مِنْ فِتْيَةِ

---

(١) عثمان بن حنيف – بضم الحاء – الانصاري الاوسي من مشاهير الصحابة شهد احداً والمشاهد بعدها ، ومن كبار اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ، يكنى : ابا عمرو ، عمل لعمر ثم لعلي عليه السلام ، قال ابن عبد البر : ذكر العلماء بالاثر والخبر : ان عمر بن الخطاب استشار الصحابة في رجل يوجهه إلى العراق ، فاجمعوا على عثمان بن حنيف وقالوا : ان تبعثه على اهم من ذلك بصراً وعقلا ومعرفة وتجربة فهو أهل ، فاسرع عمر فولاه مساحة ارض العراق ، فضرب عثمان على كل جريب من الارض يناله الماء غامراً وعامراً درهماً وقفيزاً فبلغت جباية سواد الكوفة مائة الف ألف ونيفاً ، ونال عثمان في نزول عسكر طلحة والزبير البصرة ما زاد في فضله ... الخ (الاستيعاب : ٣ – ٩٠) .

لمح ابن عبد البر إلى ما ناله ولم يصرح به وقد اشرت إلى واقعة يوم الجمل الاصغر في الجزء الأول من هذا الكتاب ص ٣٣٦ وكيف غدروا به بعد الموادعة ، ومن جملة ما فعلوا به – كما ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٣٦ – انهم نتفوا شعر رأسه ولحيته وحاجبيه وضربوه وحبسوه ، ولما قتل حكيم بن جبلة – كما اشرنا إلى ذلك – ارادوا قتل عثمان بن حنيف ثم خافوا غضب الانصار فخلوا سبيله فقصد علياً عليه السلام فانتهى اليه بذي قار وقيل بالربذة والاول اقرب فقال له : يا امير المؤمنين بعثتني ذا لحية وقد جئتك امرداً فقال عليه السلام : اصبت اجراً وخيراً .

وعثمان من الاثني عشر الذين انكروا على ابي بكر وطالبوا بالخلافة لعلي عليه السلام ، وهم : خالد بن سعيد بن العاص ، وسلمان الفارسي ، وابو ذر الغفاري ، والمقداد بن الاسود ، وعمار بن ياسر ، وبريدة الاسلمي ، وابو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وابي بن كعب ، وابو ايوب الانصاري وسهل وعثمان ابنا حنيف وقد ذكر احتجاجهم ابو احمد الطبرسي في « الاحتجاج » : ١ – ٩٧ .

وكان عثمان من شرطة الخميس وهم جماعة قال لهم امير المؤمنين عليه السلام تشرطوا فانما اشارطكم على الجنة ، ولست اشارطكم على ذهب وفضة ، ان نبياً من الانبياء فيما مضى قال لاصحابه تشرطوا فاني لست اشارطكم الا على الجنة ذكر ذلك ابن النديم في « الفهرست » ص ٢٤٩ .

وسكن عثمان بن حنيف الكوفة بعد وفاة علي عليه السلام ومات بها في زمان معاوية .

أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ ٱلْأَلْوَانُ وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ ٱلْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ[2]. وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا ٱلْمَقْضَمِ[3]، فَمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ[4]، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ[5] فَنَلْ مِنْهُ.

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ ٱكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ[6]، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذٰلِكَ وَلٰكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَٱجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ، فَوَاللهِ

---

(١) فتية جمع فتى : وهو الشاب ، ويقال للسخي : فتى ، والمأدبة (بضم الدال وفتحها) الطعام يدعى اليها القوم ، وتستطاب : يطلب لك طيبها ، والالوان اصناف الطعام ، والجفان (بكسر الجيم) . جمع جفنة وهي القصعة .

(٢) العائل : الفقير والمحتاج ، ومجفو : مأخوذ من الجفاء وهو الاعراض .

(٣) القضم : يطلق على معنيين احداهما على اكل الشيء اليابس ، وثانيهما الاكل باطراف الاسنان ، وقيل : القضم : الاكل باطراف الاصابع وضده الخضم وهو الاكل بالكف كلها ، ومن امثالهم : (يبلغ الخضم بالقضم) اي : ان الشبعة قد تدرك بالاكل باطراف الاصابع ، وهم يريدون : ان الغاية البعيدة قد تدرك بالرفق .

(٤) الفظه : اي اطرحه .

(٥) بطيب وجوهه : بالحل في طرق كسبه ، امره ان يجتنب ما فيه شبهة إلى ما لا شبهة فيه.

(٦) الطمر « بكسر الطاء » الثوب الخلق البالي ، وانما جعلهما اثنين لانهما ازار ورداء لا بد منهما ، والطعم (بضم الطاء) : الطعام .

ما كنزت مِن دنياكم تِبراً ، ولا آدخرت مِن غنائمِها وَفراً[1] ، وَلاَ أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِيَّ طِمْراً[2] . وَلاَ حُزتُ مِنْ أَرضِها شبراً ، بَلى كَانَتْ فِـي أَيْدِينَـا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَـا أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَـا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ آخَرِيـنَ . وَنِعْمَ ٱلْحَكَـمُ ٱللّهُ . وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيرِ فَدَكٍ وَٱلنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ[3] تَنْقَطِـعُ فِي ظُلْمَتِه آثَارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا ٱلْحَجَرُ وَٱلْمَدَرُ[4] ، وَسَدَّ فُرَجَهَا ٱلتُّرَابُ ٱلْمُتَرَاكِـمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوى[6] لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ

---

(١) حيث انهم لا يستطيعون على ترويض انفسهم كرياضته لنفسه عليه السلام طلب منهم ان يقصروا في معونته بالكف عن المحارم والاجتهاد في الطاعة .

(٢) التبر « بكسر فسكون » فتات الذهب والفضة قبل ان يصاغ ، والوفر المال .

(٣) اي : ما اعد ثوباً بالياً سملا لبالي ثوبيه فضلا عن ان يعد ثوباً قشيباً كما يفعله للناس في اعداد ثوب جديد ليلبسوه عوض الاطمار التي ينزعونها . والثوب هنا عبارة عن الطمرين فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً فيهما يكسى البدن لا بأحدهما .

(٤) الجدث (بالتحريك) : القبر .

(٥) اضغطها الحجر : جعلها ضاغطة اي زاحمة ، والمظان جمع مظنة وهي موضع الشيء ومألفه الذي يكون فيه .

(٦) اروضها : اذللها .

ٱلْخَوْفِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ ٱلْمَزْلَقِ١ . وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ ٱلطَّرِيقَ٢ إِلَى مُصَفَّى هٰذَا ٱلْعَسَلِ وَلُبَابِ هٰذَا ٱلْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هٰذَا ٱلْقَزِّ ، وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي٣ إِلَى تَخَيُّرِ ٱلْأَطْعِمَةِ . وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ ٱلْيَمَامَةِ٤ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي ٱلْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى ؟ أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ ٱلْقَائِلُ :

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ٥ وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى ٱلْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ ٱلدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ

---

(١) المزلق : الموضع الذي يخشى فيه الزلة وكذلك المزلقة ، والمراد بذلك الصراط .

(٢) كان عليه السلام تجبى اليه الثمرات من كل مكان فلو شاء لاهتدى الطريق إلى التمتع بالطيبات من المطعومات والملبوسات ولكن هيهات ان يغلبه هواه ، او يؤثر على دينه شيئاً من دنياه .

(٣) الجشع : شدة الحرص .

(٤) اليمامة : منازل طسم وجديس وهي معدودة من نجد فتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ ، والمبطان : عظيم البطن من كثرة الأكل ، وغرثى : جائعة .

(٥) البطنة : الكظة ، وهي الامتلاء من الطعام امتلاءاً شديداً ، والقد : سير من جلد غير مدبوغ ، والمعنى انها تطلب القوت ولا تجده . والبيت من ابيات لحاتم الطائي .

ٱلْعَيْشِ١ . فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ ٱلطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ ٱلْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا ، أَوِ ٱلْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا٢ ، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلاَفِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا . أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً ، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ ٱلضَّلاَلَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ ٱلْمَتَاهَةِ٣ . وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هٰذَا قُوتَ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ ٱلضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ ٱلْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ ٱلشُّجْعَانِ . أَلاَ وَإِنَّ ٱلشَّجَرَةَ ٱلْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً ، وَٱلرَّوَائِعَ ٱلْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً٤ ، وَٱلنَّبَاتَاتِ ٱلْبَدَوِيَّةَ أَقْوَى وُقُوداً٥ وَأَبْطَأُ خُمُوداً ، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ ٱللّٰهِ كَالصِّنْوِ مِنَ ٱلصِّنْوِ وَٱلذِّرَاعِ مِنَ ٱلْعَضُدِ٦ . وَٱللّٰهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ ٱلْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا ،

---

(١) الجشوبة : الخشونة .

(٢) التقمم : اكل الشاة ما بين يديها بمقمتها اي بشفتها ، وسميت الكناسة قمامة لأن الانعام المهملة تتقممها ، وتكترش تملأ كرشها .

(٣) اعتسف : ركب الطريق على غير قصد ، والمتاهة : موضع الحيرة .

(٤) الروائع الخضرة : الاشجار والاعشاب الغضة .

(٥) الوقود : اشتعال النار .

(٦) الصنو أحد الصنوين ، وهما النخلتان يجمعها اصل واحد ، وتروى : (كالضوء من الضوء) كما في رواية الفتال في « روضة الواعظين » والشهرستاني في « الملل والنحل » : ج ١ : ص ١٨٩ . والمراد من هذا التشبيه والذي بعده بيان شدة الامتزاج والقرب بينهما صلوات الله وسلامه عليهما .

وَلَوْ أَمْكَنَتِ ٱلْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا ، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ ٱلْأَرْضَ مِنْ هٰذَا ٱلشَّخْصِ ٱلْمَعْكُوسِ وَٱلْجِسْمِ ٱلْمَرْكُوسِ[1] حَتَّى تَخْرُجَ ٱلْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ ٱلْحَصِيدِ[2].

(ومن هذا الكتاب وهو آخره)

إِلَيْكِ عَنِّي يَا دُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ[3] ، قَدِ ٱنْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ ، وَٱجْتَنَبْتُ ٱلذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ . أَيْنَ ٱلْقُرُونُ ٱلَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ[4] أَيْنَ ٱلْأُمَمُ ٱلَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ . هَا هُمْ رَهَائِنُ ٱلْقُبُورِ وَمَضَامِينُ ٱللُّحُودِ . وَٱللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وَقَالَباً حِسِّيّاً لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ ٱللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى ٱلتَّلَفِ وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ ٱلْبَلَاءِ إِذْ لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ[5] .

---

(١) المراد بالشخص المعكوس معاوية وسماه شخصاً معكوساً وجسماً مركوساً والمراد انعكاس عقيدته ، وارتكاسه في الضلال .

(٢) المدرة (بالتحريك) قطعة الطين اليابس ، وحب الحصيد : حب النبات المحصود كالقمح ونحوه .

(٣) الغارب : الكاهل ، وانسل من مخالبها : لم يعلق به شيء من شهواتها ، والحبائل جمع حبالة : وهي شبكة الصياد ، وافلت خلص ، والمداحض : المساقط .

(٤) المداعب جمع مدعبة ، من الدعابة : وهي المزاح .

(٥) الورد (بالكسر) ورود الماء ، والصدر (بالتحريك) الرجوع عنه بعد الشرب

هَيْهَاتَ مَنْ وَطِيءَ دَحْضَكِ زَلِقَ[1] ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ ، وَمَنِ ٱزْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ[2] . وَٱلسَّالِمُ مِنْكِ لاَ يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ وَٱلدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ ٱنْسِلاَخُهُ[3] . ٱعْزُبِي عَنِّي[4] . فَوَٱللهِ لاَ أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي وَلاَ أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي . وَٱيْمُ ٱللهِ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللهِ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهُشُّ مَعَهَا إِلَى ٱلْقُرْصِ[5] إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً ، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً ، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا[6] مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِئُ ٱلسَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ ، وَتَشْبَعُ ٱلرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[7] وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ

---

(١) الدحض : المكان الزلق الذي لا تثبت فيه الاقدام .

(٢) ازور : مال وتنكب .

(٣) المناخ : مبرك الابل ، وحان : حضر ، وانسلاخه : زواله .

(٤) عزب الرجل (بالفتح) : بعد ، ولا اسلس لك (بفتح اللام) : اي لا انقاد لك

(٥) تهش : تنبسط اليه وتفرح به لشدة حرمانها ، ومطعوماً حال من القرص كما ان مأدوماً حال من الملح ، والادام : ما يؤكل مع الخبز من لحم وغيره .

(٦) المقلة : العين ، ونضب : غار ، والمعين الماء الجاري ، اي لأبكين حتى لا يبقى في عيني دمع .

(٧) الربيضة : الغنم او البقر اذا كانت في مرابضها . والربوض للغنم والبقر كالبروك للابل .

زَادِهِ فَيَهْجَعَ[1]؟ قَرَّتْ إِذَا عَيْنُهُ[2] إِذَا ٱقْتَدَى بَعْدَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ ٱلْهَامِلَةِ[3] وَٱلسَّائِمَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ .

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا ، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا[4] . وَهَجَرَتْ فِي ٱللَّيْلِ غُمْضَهَا[5] حَتَّى إِذَا غَلَبَ ٱلْكَرَى عَلَيْهَا ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ . وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ[6] ، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ ٱسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ « أُولَٰئِكَ حِزْبُ ٱللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ » .

فَٱتَّقِ ٱللهَ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ ٱلنَّارِ خَلَاصُكَ .

اما مصادر هذا الكتاب فقد روى بعضه الصدوق في (الامالي) : في

---

(١) يهجع من الهجوع وهو السكون ليلا .

(٢) دعاء على نفسه ببرود العين اي جمودها من فقد الحياة .

(٣) الهاملة : الانعام التي ترسل للرعي نهاراً بلا راع .

(٤) البؤس : الضراي صبرت على بؤسها والمشقة التي تنالها ، يقال : عرك فلان بجنبه الاذى اي اغض عنه ، وصبر عليه .

(٥) الغمض « بالضم » : النوم وكذلك الكرى .

(٦) الهمهمة : الكلام الخفي ، وتقشع الغمام : انجلى .

المجلس التسعين من قوله : « ولو شئت ... » الخ وفي شرح ابن ابي الحديد فقرات من هذا الكتاب لم يذكرها الرضي رحمه الله او ذكرها ولكن باختلاف مع روايته في بعض الالفاظ ، فتراه يقول بعد شرح قوله عليه السلام : (الاوان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه) : وروى : قد اكتفى من الدنيا بطمريه ، وسد فورة جوعه بقرصيه [1] لا يطعم الفلذة في حوليه الا في يوم اضحيته) .

ويقول في شرح قوله عليه السلام : (ولو شئت لاهتديت الطريق الى مصفى هذا العسل ... الخ) : قد روى(لو شئت لاهتديت إلى هذا المصفى ، ولباب هذا البر المنقى فضربت هذا بذاك حتى ينضج وقوداً ويستحكم معقوداً) .

ويقول عند شرح قوله عليه السلام : (ولعل بالحجاز او باليمامة ...)الخ ولعل بالمدينة يتيماً تربا ، يتضور سغباً [2] ، ابيت مبطانا وحولي بطون غرثى ، اذن يحضرني يوم القيامة وهم من ذكر وانثى) .

ويقول : في قوله عليه السلام : (ولتكفف اقراصك) [3] وقد رواها قوم بالنصب قالوا : (فاتق الله يابن حنيف ولتكفف اقراصك لترجو بها من النار خلاصك) .

وفي هذا دلالة واضحة على انه عثر على الكتاب في مصدر غير « نهج البلاغة » واخذ ذلك الاختلاف عن غير رواية الشريف الرضي وتأمل جيداً في قوله : وقد رواها قوم .

---

(١) وفي رواية ابن شهراشوب زيادة هذه الفقرة « قد آثر اليتيمة على سبطيه » .

(٢) رجل ترب « بكسر الراء » . اي فقير لا مال له يقال : ترب فلان اذا افتقر فكأنه لصق بالتراب لشدة فقره ، واترب اذا استغنى والسغب : الجوع .

(٣) لا يخفى ان رواية فلتكفف في نسخة ابن ابي الحديد وفي غيرها فلتكفك .

واضف إلى ذلك ان بعض هذا الكتاب مروي بعد الرضي في كل من « الخرائج والجرائج » للقطب الراوندي [1] ، و« روضة الواعظين» لابن الفتال النيسابوري : ص ١٢٧ ، « والمناقب » لابن شهراشوب : ج٢ ص١٠١ كما نقل الزمخشري قطعة من هذا الكتاب في « ربيع الابرار » : ص ٢١٦ مخطوطة مكتبة الامام كاشف الغطاء . بمغايرة لرواية الرضي في بعض الكلمات والعبارات كما تختلف رواية كل واحد من هؤلاء عن رواية اصاحبيه وفي كل ذلك آيات على اشتهار هذا الكتاب عن امير المؤمنين عليه السلام وان الرضي لم يتفرد بروايته .

٤٦ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى بعض عماله

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ ، وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ الْأَثِيمِ وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ الثَّغْرِ الْمَخُوفِ٢. فَاسْتَعِنْ بِاللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، وَاخْلِطِ الشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ اللِّينِ٣ ، وَارْفُقْ مَا كَانَ الرِّفْقُ أَرْفَقَ ، وَاعْتَزِمْ

(١) انظر بحار الانوار : ج ٤٠ ص ٣١٨ .

(٢) استظهر به : اجعله كالظهر والمراد : استعين به ، واقمع : اكسر ، والنخوة «بفتح النون» : الكبرياء ، والاثيم : المخطىء المذنب ، والثغر : مظنة طروق الاعداء في حدود الممالك ، واللهاة . قطعة لحم مدلاة على باب الفم ، قرنها بالثغر تشبيهاً له بفم الانسان ، وهي احسن الاستعارات .

(٣) الضغث : قبضة حشيش مختلط يابسها بشيء من الرطب .

بِالشِّدَّةِ حِينَ لاَ يُغْنِي عَنْكَ إِلاَّ الشِّدَّةُ وَٱخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي ٱللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ[1] ، وَٱلإِشَارَةِ وَالتَّحِيَّةِ ، حَتَّى لاَ يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَلاَ يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ ، وَالسَّلاَمُ .

العامل المكتوب اليه هذا الكتاب هو مالك بن الحارث الاشتر رحمه الله ، وكان علي عليه السلام حين انصرف من صفين رده إلى عمله بالجزيرة ، فلما انقضى امر الحكومة واضطربت مصر على محمد بن ابي بكر رضي الله عنه كتب اليه علي عليه السلام هذا الكتاب فاقبل مالك إلى علي عليه السلام حتى دخل عليه فحدثه حديث اهل مصر ، وخبره خبر اهلها ، وقال : ليس لها غيرك اخرج رحمك الله فخرج الاشتر ، وتوجه اليها ، وكتب معه امير المؤمنين عليه السلام إلى اهل مصر الكتاب الذي مر تحت رقم : (٣٨) ، وعهد اليه بالعهد الذي سيأتي تحت رقم : (٥٣) فكان من امر مالك ما هو مشهور[2] .

وقد روى هذا الكتاب ابراهيم بن هلال الثقفي في كتاب « الغارات » على ما حكاه ابن ابي الحديد[3] ، والبلاذري في ترجمة علي عليه السلام من

---

(١) اي شارك بينهم وتروى : « وساوي بينهم » والمعنى واحد ، واخذ هذا بعضهم فقال :

اقسم اللحظ بيننا ان في اللحظ لعنوان ما تجن الصدور
انما البر روضة فاذا ما كان بشر فروضة وغدير

(٢) انظر ص ٣٩١ من هذا الجزء .

(٣) شرح نهج البلاغة : م٢ / ٢٩ .

« انساب الاشراف » : ص ٣٦٨ ط. الاعلمي . . ومحمد بن جرير الطبري في « التاريخ » : ج ٦ — ٣٣٩٢ ط : ليدن في حوادث سنة (٣٨) واشار اليه ابن الاثير في « الكامل » ج ٣ ص ١٧٧ في حوادث السنة المذكورة .

ويظهر من رواية الطبري ان فقرات من هذا الكتاب كلم امير المؤمنين عليه السلام مالكاً بها عندما قدم عليه ، وسواء كانت تلك الفقرات في الكتاب ام الخطاب فانها من الكلام المروي عن امير المؤمنين عليه السلام قبل الشريف الرضي نور الله ضريحه .

٤٧ — ومن وصيّة له عليه السّلام

للحسن والحسين عليهما السلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى ٱللهِ ، وَأَنْ لاَ تَبْغِيَا الدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا[1] وَلاَ تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا[2] ، وَقُولاَ لِلْحَقِّ ، وَٱعْمَلاَ لِلأَجْرِ ، وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً .

أُوصِيكُمَا ، وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي ، بِتَقْوَى اللهِ ، وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَصَلاَحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمْ ،

---

(١) لا تبغيا الدنيا . اي لا تطلبا الدنيا وان طلبتكما .

(٢) روي ولا تأسيا . وهي بمعنى لا تأسفا ، وزوي . قبض ونحي عنكما .

يَقُولُ : « صَلاَحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ الصَّلاَةِ وَالصِّيَامِ » ٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي ٱلْأَيْتَامِ ؛ فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ[1] ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ ، وَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي جِيرَانِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ ، مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ[2] وَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي ٱلْقُرْآنِ ؛ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ ، وَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي ٱلصَّلاَةِ ؛ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ ، وَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ ؛ لاَ تُخَلُّوهُ مَا بَقِيتُمْ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا[3] وَٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي ٱلْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ؛ وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ[4] ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ ، لاَ تَتْرُكُوا ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ ثم قَالَ :

---

(١) اغب القوم جاءهم يوماً وترك يوماً . اي لا تجيعوهم بان تطعموهم غباً .

(٢) اي يجعل لهم حقاً في الميراث .

(٣) شدد الوصاة بالحج ويريد إنكم ان اهملتموه لم تمهلوا .

(٤) التباذل : مداولة البذل : اي العطاء .

يَا بَنِي عَبْدِ ٱلْمُطَّلِبِ لاَ أَلْفِيَنَّكُمْ[1] تَخُوضُونَ دِمَاءَ ٱلْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ قُتِلَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، أَلاَ لاَ يُقْتَلَنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي .

أُنْظُرُوا إِذَا أَنَا مِتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : « إِيَّاكُمْ وَٱلْمُثْلَةَ ، وَلَوْ بِالْكَلْبِ ٱلْعَقُورِ » .

رويت هذه الوصية باسناد وارسال وممن سبق الرضي بروايتها :

١ - ابو مخنف لوط بن يحيى قال : حدثني عطية بن الحارث عن عمر بن تميم وعمرو بن ابي بكار : ان علياً لما ضرب جمع له اطباء الكوفة فلم يكن احد أعلم بجرحه من اثير بن عمرو بن هانيء السكوني ، وكان متطبباً ، صاحب كرسي يعالج الجراحات ، وكان من الاربعين غلاماً الذين كان خالد بن الوليد اصابهم في عين التمر فسباهم ، وان اثيراً لما نظر إلى جرح امير المؤمنين عليه السلام دعا برئة شاة حارة واستخرج عرقاً منها ، فأدخله في الجرح ثم استخرجه فاذا عليه بياض الدماغ فقال له يا امير المؤمنين : اعهد عهدك فان عدو الله قد وصلت ضربته ام رأسك فدعا علي عند ذلك بصحيفة ودواة وكتب وصيته ... وذكر الوصية وفيها زيادة على ما ذكره الرضي [2] .

---

(١) لا الفينكم نفي في معنى النهي ، ومعناه لا اجدنكم وليس معنى قوله : « ضربة بضربة » ان دم ابن ملجم لعنه الله يقابل دمه الزكي ولكن مراده النهي عن أخذ غيره بالظن والتهمة كما نهاهم عن المثلة كما اوضح ذلك فيما بعده .

(٢) مقاتل الطالبيين : ص ٣٨ .

٢ ـــ ابو حاتم السجستاني في كتابه « المعمرون والوصايا » ص ١٤٩ بسنده عن عبد الرحمن بن جندب عن ابيه ، قال : دخلت على علي بن ابي طالب رضي الله عنه اسأل عنه لما ضربه ابن ملجم قمت قائماً ولم اجلس لمكان ابنته وهي مستترة فدعا علي الحسن والحسين رضوان الله عليهم فقال اوصيكما بتقوى الله ولا تبغيا الدنيا وان بغتكما ...

ثم نقل الوصية بروايتين من طريقين (الاول) كما مر و (الثاني) عن ابراهيم بن ايوب الاسدي قال حدثني عمرو بن شمر ، عن جابر الجعفي عن محمد بن علي قال : اوصى علي الحسن بن علي رضي الله عنهما .. الخ .

وما رواه ابو حاتم فيه ما في « النهج » بزيادة وتفاوت يسير .

٣ ـــ ابو جعفر الطبري في « التاريخ » : ج ٦ ـــ ص ٨٥ في حوادث سنة ٤٠ . وذكر وصيته لمحمد بن الحنيفة بما اوصى بهالحسنينعليهما السلام.

٤ ـــ ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي في «الامالي» ص ١١٢ ذكر اول هذه الوصية وذكر وصيته لمحمد بن الحنفية بما اوصى بـــه اخويه عليهما السلام .

٥ ـــ ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني في « الكافي » ج ٧ص٥١ رواها بصورة فيها جميع ما نقله الرضي .

٦ ـــ ابو الحسن المسعودي في « مروج الذهب » ج ٢ ـــ ٤٢٥ روى طرفاً منها في خبر مقتله عليه السلام .

٧ ـــ ابن شعبة في « تحف العقول » ص ١٩٧ تحت عنوان وصيته إلى ابنه الحسن عليهما السلام لما حضرته الوفاة ، وقال : كتبنا منها ما اقتضاه الكتاب

٨ ـــ ابو الفرج الاصبهاني في « مقاتل الطالبيين » : ص ٣٨ ، قال : حدثني احمد بن عيسى ، قال : حدثني الحسن بن نصر ، قال حدثنا زيد بن

المعذل عن يحيى بن شعيب عن ابي مخنف وذكر ما نقلناه عن ابي مخنف قبل قليل .

٩ ـ الصدوق في « الفقيه » : ج ٤ص١٤١ بصورة ابسط مما في « نهج البلاغة » .

هؤلاء كلهم قبل الرضي وممن رواها بعده ابن كثير في « البداية والنهاية » والخوارزمي في « المناقب » : ص ٢٧٨ والاربلي في « كشف الغمة » : ج ٢ ـ ٥٨ واشار اليها كل من ابن الاثير في « الكامل » في حوادث سنة ٤٠ ، ومحب الدين الطبري في « ذخائر العقبى » ص ١١٦ والفتال في « روضة الواعظين » ص ١٣٦ ، وامثال هؤلاء .

وفي « الدرر النبوية بالاسانيد اليحيوية » للقاضي ابي محمد عبد الله بن ابي النجم من علماء الزيدية (مخطوطة : الورقة ١٠) بسنده عن علي انه دعا بنيه وهم احدى عشر رجلا الحسن والحسين ومحمد وعمر ومحمد الاصغر وعباس وعبد الله وجعفر وعثمان وعبيد الله وابو بكر فلما اجتمعوا عنده قال : ليبر صغاركم كباركم وليرأف كباركم بصغاركم إلى آخر ما مر في (باب الخطب) برقم (١٦٤) [١] .

ثم خطبهم بالخطبة التي مرت برقم (١١٨) في باب الخطب التي اولها « لقد علمت تبليغ الرسالات .. الخ » .

ثم أوصى الحسن والحسين عليهما السلام وبقية اولاده بهذه الوصية .

ويبدوا من ذلك ان جماعة كانوا حضوراً عنده فوجه اليهم بعض الكلام أولاً ، ثم أوصى بنيه بهذه الوصية .

---

(١) انظر الجزء الثاني من هذا الكتاب ص ٤٠ .

٤٨ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاويـــة

وَإِنَّ ٱلْبَغْيَ وَٱلزُّورَ يُذِيعَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ[١] ، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ . وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ[٢] . وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْراً بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى ٱللهِ فَأَكْذَبَهُمْ[٣] . فَٱحْذَرْ يَوْماً يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ[٤] ، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ ٱلشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ . وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ ٱلْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ . وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا ، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا ٱلْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ . وَٱلسَّلَامُ .

لما اشتد القتال يوم الهرير تعصب علي عليه السلام بعمامة رسول الله ﷺ ونادى : ايها الناس من يشرى نفسه لله ان هذا يوم له ما بعده فانتدب معه ما بين عشرة آلاف إلى اثني عشر الفاً ، فتقدمهم علي عليه السلام ، وقال

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا   واصبحوا بحربكـــم وبيتـــوا

---

(١) يذيعان به : يشهرانه ويفضحانه ، وفي نسخة ابن ابي الحديد : يوتغان : اي يهلكانه ، والوتغ « بالتحريك » : الهلاك .

(٢) ما قضى فواته : هو دم عثمان الذي جعل معاوية منه شبهة في محاربته لامير المؤمنين عليه السلام وهو يعلم انه لا يدركه .

(٣) تأولوا على الله : اي تطاولوا على احكامه بالتأويل ، فاكذبهم : اظهر فساد تأويلهم ، وتروى « تألوا » : اي حلفوا من الألية وهي اليمين .

(٤) يتغبط : يفرح وتروى « يغبط » : يتمنى مثل حاله .

حتّى تنالوا الثأر او تموتوا او لا فاني طالما عُصيت [1]
قد قلتم لو جئتنا فجيت ليس لكم ما شئتم وشيـــت
بـــل ما يريد المحيي المميت

وحمل عليه السلام وحمل الناس كلهم حملة واحدة ، فلم يبق لاهل الشام صف الا ازالوه ، فلما رأى معاوية اخذ بمعرفة فرسه ، ووضع رجله في الركاب ، وتهيأ للهرب ، غير ان عمرو بن العاص اشار برفع المصاحف فرفعت ، فوقع الاختلاف في عسكر اهل العراق ، وكتب إلى امير المؤمنين عليه السلام :

اما بعد : فان هذا الامر قد طال بيننا وبينك ، وكل واحد منا يرى انه على الحق فيما يطلب من صاحبه ، ولن يعطي واحد منا الطاعة للآخر ، وقد قتل في ما بيننا بشر كثير ، وانا اتخوف ان يكون ما بقي اشد مما مضى ، وانا سوف نسأل عن هذه المواطن ، ولا يحاسب غيري وغيرك ، وقد دعوتك إلى امر لنا ولك فيه حياة وعذر وبراءة ، وصلاح للامة ، وحقن للدماء ، وإلفة للدين ، وذهاب للضغائن والفتن ، ان نحكم بيني وبينك حكمين مرضيين ، احداهما من اصحابي والآخر من اصحابك ، فيحكمان بيننا بما انزل الله ، فهو خير لي ولك ، واقطع لهذه الفتن فاتق الله فيما دعيت اليه ، وارض بحكم القرآن ان كنت من اهله والسلام .

فكتب اليه علي عليه السلام :

من عبد الله علي امير المؤمين إلى معاوية بن ابي سفيان .

اما بعد ، فان افضل ما شغل به المرأ نفسه اتباع ما حسن به فعله ، واستوجب فضله ، وسلم من عيبه فان البغي والزور يزريان بالمرأ في دينه ودنياه ... إلى آخر ما نقله الرضي في « نهج البلاغة » .

روى ذلك ابراهيم بن ديزيل في كتاب « صفين » [2] ونصر بن مزاحم

---

(١) بضم العين .
(٢) أنظر شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد : م١ ص ١٨٨ .

في كتاب « صفين » ص ٤٩٣ وكلاهما متقدم على الشريف الرضي . كما روى هذا الكتاب احمد بن اعثم الكوفي في (الفتوح) : ج ٣ – ٣٢٢ بأطول مما رواه الرضي .

٤٩ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى غيره

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا ، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئاً إِلاَّ فَتَحَتْ لَهُ حِرْصاً عَلَيْهَا وَلَهَجاً بِهَا[1] ، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا . وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ وَلَوِ ٱعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَىٰ حَفِظْتَ مَا بَقِيَ . وَٱلسَّلاَمُ .

في النسخة التي عليها شرح ابن ابي الحديد ان هذا الكتاب كتبه عليه السلام إلى معاوية وهو خطأ من النساخ لان ابن ابي الحديد نص على انه إلى عمرو بن العاص في موضعين من الشرح (الاول) في المجلد الاول : ص ١٨٩ ، و (الثاني) في المجلد الرابع : ص ١١٤ . كما رواه ابن اعثم الكوفي في « الفتوح » ج ٣ ص ٣٢٣ وذكر ان المكتوب اليه عمرو بن العاص . ورواه الدينوري في (الاخبار الطوال) ص ١٥٤ .

وقد ذكره نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١١٠ وذكر فيه زيادة لم يذكرها الشريف الرضي وتفاوت في بعض الالفاظ .

---

(١) لهجاً : اي ولوعاً ، يقال : لهج بالامر (كفرح) اغري به فثابر عليه ، والمؤنة : الثقل

ونقل ابن ابي الحديد عن نصر أن : « هذا اول كتاب كتبه علي عليه السلام إلى عمرو بن العاص » [1] قال نصر : وكتب اليه عمرو بن العاص :

من عمرو بن العاص إلى علي بن ابي طالب.

اما بعد فان الذي فيه صلاحنا ، والفة ذات بيننا ان تنيب إلى الحق ، وان تجيب إلى ما ندعوكم اليه من الشورى فصبر الرجل منا نفسه على ما حكم عليه القرآن وعذره الناس بعد المحاجزة والسلام [2] .

فكتب اليه علي عليه السلام :

اما بعد ، فان الذي اعجبك من الدنيا مما نازعتك اليه نفسك ووثقت به منها لمنقلب عنك ، ومفارق لك ، فلا تطمئن إلى الدنيا ، فانها غرارة ولو اعتبرت بما مضى لحفظت ما بقي ، وانتفعت منها بما وعظت به والسلام [3] .

فأجابه عمرو :

اما بعد : فقد انصف من جعل القرآن إماماً ، ودعا الناس إلى احكامه ، فاصبر — ابا الحسن — فانا غير منيليك الا ما انالك القرآن والسلام [4] .

فأجابه امير المؤمنين بالكتاب الذي ذكره الشريف الرضي في « نهج البلاغة » وقد مر تحت رقم (٣٩) من هذا الباب [5] .

---

(١) شرح النهج للحديدي : م٤ / ١١٤ ولا توجد هذه العبارة في كتاب « صفين » المطبوع وقد بينا في غير موضع من الكتاب ان هذا المطبوع مختصره .

(٢) الشرح للحديدي : م١ / ١٨٩ و م٤ / ١١٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة : م١ ص ١٨٩ عن كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم .

(٤) المرجع المذكور .

(٥) انظر ص ٣٣٧ من هذا الجزء .

٥٠ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى امرائه على الجيوش

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ أَصْحَابِ ٱلْمَسَالِحِ ١

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقّاً عَلَى ٱلْوَالِي أَنْ لاَ يُغَيِّرَهُ عَلَىٰ رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَلاَ طَوْلٌ خُصَّ بِهِ ٢ ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ ٱللهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَعَطْفاً عَلَىٰ إِخْوَانِهِ ، أَلاَ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لاَ أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرّاً إِلاَّ فِي حَرْبٍ ، وَلاَ أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْراً إِلاَّ فِي حُكْمٍ ٣ . وَلاَ أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقّاً عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلاَ أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ ٤ ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لِلّٰهِ عَلَيْكُمُ ٱلنِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ ٱلطَّاعَةُ ، وَأَنْ لاَ تَنْكُصُوا

---

(١) اصحاب المسالح : جماعات تكون بالثغر يحمون البيضة . و المسلحة في الاصل قوم ذوو سلاح .

(٢) اي يجب على الوالي ان لا يتطاول على الرعية بولايته وما خص به عليهم من الطول وهو الفضل .

(٣) اي اني اخبركم بكل شيء الا الحكم فاني لا اعلمكم به قبل وقوعه ، كي لا تفسد القضية ، كأن يحتال احد الخصمين لصرف الحكم عنه .

(٤) اي ان الحق اذا احتاج حكم حكمت به ولم اقف التحبس عن البت فيه .

عَنْ دَعْوَةٍ[1] ، وَلاَ تُفَرِّطُوا فِي صَلاَحٍ ، وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ . فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ ، وَلاَ يَجِدُ فِيهَا عِنْدِي رُخْصَةً . فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللهُ بِهِ أَمْرَكُمْ[2] .

روى هذا الكتاب قبل الشريف الرضي نصر بن مزاحم في كتاب « صفين » ص ١٠٧ ، قال : وكتب إلى امراء الجنود بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله علي امير المؤمنين ... إلى آخر الكتاب .

ورواه بعد الرضي الطوسي في « الامالي » : ج ١ – ٢٢١ ، قال : وكتب عليه السلام إلى امراء الجنود : من عبد الله امير المؤمنين إلى أصحاب المسالح ... وذكر الكتاب ، فتأمل .

٥١ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى عماله على الخراج

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ

---

(١) يعني لا تتقاعسوا عن الجهاد اذا دعيتم اليه .

(٢) لما بين لهم ما وجب عليهم امرهم ان يأخذوا ذلك البيان والنصح منه ومن سائر امراء العدل ويعطوهم من انفسهم ما يصلح الله به امورهم من الطاعة وفعل ما امروا به .

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ[1] لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا . وَٱعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى ٱللهُ عَنْهُ مِنَ ٱلْبَغْيِ وَٱلْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ ٱجْتِنَابِهِ مَا لاَ عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ . فَأَنْصِفُوا ٱلنَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ . وَٱصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ ٱلرَّعِيَّةِ[2] وَوُكَلاَءُ ٱلْأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ ٱلْأَئِمَّةِ . وَلاَ تَحْسِمُوا أَحَداً عَنْ حَاجَتِهِ[3] ، وَلاَ تَحْبِسُوهُ عَنْ طِلْبَتِهِ ، وَلاَ تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي ٱلْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلاَ صَيْفٍ ، وَلاَ دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا[4] وَلاَ عَبْداً ، وَلاَ تَضْرِبُنَّ أَحَداً سَوْطاً لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ، وَلاَ تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ مُصَلٍّ وَلاَ مُعَاهَدٍ ، إِلاَّ أَنْ تَجِدُوا فَرَساً أَوْ سِلاَحاً يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ ٱلْإِسْلاَمِ فَإِنَّهُ

---

(١) ان من لم يحذر ما يصير اليه من العواقب المخوفة لم يقدم لنفسه عملا يحرزها منها .

(٢) امرهم بانصاف الرعية بالصبر لحوائجهم لينتظم امر مصلحتهم وعلل ذلك بكونهم خزان الرعية ووكلاءهم على بيت مالهم وسفراء الائمة اليهم .

(٣) لا تحسموا : لا تقطعوا وتروى لا تحشموا (بالشين المعجمة) . وهي اما بضم حرف المضارعة فيكون معناها لا تغضبوا ، او بفتحه فيكون لا تخجلوا .

(٤) نهاهم ان يبيعوا لارباب الخراج ما هو من ضرورياتهم كثياب ابدانهم . او الدواب اللازمة لاعمالهم في الزرع والحمل ، او كعبد لا بد للانسان منه يخدمه ثم نهاهم عن ضرب الابشار لاستحصال الخراج .

لاَ يَنْبَغِي لِلْمُسْلِـمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ ٱلْإِسْلاَمِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ . وَلاَ تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً١ ، وَلاَ ٱلْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ، وَلاَ ٱلرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ، وَلاَ دِينَ ٱللهِ قُوَّةً . وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ ٱللهِ مَا ٱسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ٢ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ ٱصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا٣ ، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ، وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِٱللهِ .

ما اختاره الشريف الرضي من هذا الكتاب منقول في موضعين من كتاب « صفين » لنصر بن مزاحم (الاول)في ص ١٠٨ و (الثاني)في ص ١٣٢ في كتابين له عليه السلام مع تفاوت في بعض الكلمات ولا ريب ان مستقى الرضي من غيره فلاحظ .

٥٢ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى أمراءِ البلاد في معنى الصلاة

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ حَتَّى تَفِيءَ ٱلشَّمْسُ مِنْ مَرْبَضِ

---

(١) امرهم بان ينصح بعضهم لبعض ولا يستبقوا من نصحهم شيئاً الا وبذلوه .

(٢) ابلوا ، اي صنعوا ذلك في سبيل الله .

(٣) اي ان الله سبحانه طلب منا ان نصنع له الشكر بطاعتنا له ، ورعاية حقوق عباده ، وفاء بحق ماله علينا من النعمة .

ٱلْعَنْزِ[1] وَصَلُّوا بِهِـمُ ٱلْعَصْرَ وَٱلشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عُضْوٍ مِنَ ٱلنَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ[2] وَصَلُّوا بِهِـمُ ٱلْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ ٱلصَّائِـمُ وَيَدْفَعُ ٱلْحَاجُّ إِلىٰ مِنىٰ[3] وَصَلُّوا بِهِـمُ ٱلْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَىٰ ٱلشَّفَقُ إِلَىٰ ثُلُثِ ٱللَّيْلِ . وَصَلُّوا بِهِـمُ ٱلْغَدَاةَ وَٱلرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ . وَصَلُّوا بِهِـمْ صَلاَةَ أَضْعَفِهِـمْ وَلاَ تَكُونُوا فَتَّانِينَ[4] .

هذا الكتاب رواه ابو منصور الثعالبي المعاصر للشريف الرضي في الباب الثالث من (الاعجاز والايجاز) : ص ٣٣ ، وانا انقله لك بنصه ، واجعل ما يخالف في روايته رواية الشريف بين قوسين حتى تعلم انه لم ينقله عن (نهج البلاغة) :

«اما بعد، فصلوا بالناس الظهر حين تفيء الشمس (مثل مربض البعير) وصلوا بهم العصر والشمس (ضاحية) في عضو من النهار حين (يشارفها فيء فرسخين) وصلوا بهم المغرب حين يفطر الصائم ويدفع الحاج » .

ثم تتفق بعد ذلك رواية الثعالبي مع رواية الرضي بنقصان (إلى ثلث الليل).

---

(١) تفيء : تميل بظلها إلى جهة المغرب ، ويفسر كلام امير المؤمنين هذا قول الصادق عليه السلام المروي في « معاني الاخبار » : كان جدار مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل ان يظلل قدر قامة فاذا كان الفيء ذراعاً وهو قدر مربض عنز صلى الظهر اهـ ولا يخفى ان ذلك يختلف باختلاف البلاد .

(٢) قدر وقت فضيلة العصر ببقاء الشمس بيضاء حية اي صافية اللون لم يدخلها التغير بدنو المغيب واراد بعضو النهار القطعة منه وقدر ذلك العضو بمقدار يسع السير فيه فرسخين .

(٣) لشهرة هاتين العلامتين عرف وقت فضيلة المغرب بهما .

(٤) اي لا يكونوا سبباً لنفرة المأمومين من الصلاة في جماعة باطالتها .

٥٣ - ومن كتاب له عليه السلام

كتبه للاشتر النّخعي لما ولاّه على مصر وأعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر وهو أطول عهد وأجمع كتبه للمحاسن

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ ٱلْحَارِثِ ٱلْأَشْتَرَ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلاَّهُ مِصْرَ : جِبَايَةَ

---

(١) الاشتر النخعي هو مالك بن الحرث من اكابر التابعين ، واعاظم اصحاب امير المؤمنين عليه السلام وحاله اشهر من ان يذكر ، اما سبب تلقيبه بالاشتر : فقد نقل الأمير اسامة بن منقذ الكناني المتوفي سنة (٥٤٤) في كتابه الموسوم بالاعتبار ص ٣٧ : انه لما ارتدت العرب في ايام ابي بكر (رضي الله عنه) وعزم الله سبحانه على قتالهم جهز العساكر إلى قبائل العرب المرتدين فكان ابو مسيكة الايادي مع بني حنيفة وكانوا اشد العرب شوكة وكان مالك الأشتر في جيش ابي بكر فلما توقفوا برز مالك بين الصفين وصاح : يا ابا مسيكة بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت إلى الكفر ؟ فقال : اياك عني يا مالك انهم يحرمون الخمر ولا صبر لي عليها ، قال : فهل لك في المبارزة ؟ قال : نعم ، فالتقيا بالرماح ، والتقيا بالسيوف ، فضربه ابو مسيكة فشق رأسه وشتر عينه ، وبتلك الضربة سمي الاشتر ، فرجع وهو معتنق رقبة فرسه إلى رحله ، واجتمع له قوم من اهله واصدقائه يبكون ، فقال لأحدهم : ادخل يدك في فمي فأدخل إصبعه في فمه فعضها مالك فالتوى الرجل من الوجع ، فقال مالك لا بأس على صاحبكم ، يقال : (اذا سلمت الاضراس سلم الرأس) احشوها – يعني الضربة – سويقاً وشدوها بعمامة ، فلما حشوها وشدوها قال : هاتوا فرسي ، قالوا : إلى اين ؟ قال : إلى ابي مسيكة ، فبرز بين الصفين وصاح : يا ابا مسيكة ، فخرج اليه مثل السهم ، فضربه مالك بالسيف على كتفه فشقها إلى سرجه ، فقتله ورجع مالك إلى رحله فبقي اربعين يوماً لا يستطيع الحراك ، ثم ابل وعوفي من جرحه ذلك . انتهى .

خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَٱسْتِصْلاَحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلاَدِهَا .

أَمَرَهُ بِتَقْوَى ٱللهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَٱتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ ٱلَّتِي لاَ يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهَا ، وَلاَ يَشْقَى إِلاَّ مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ ٱسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ .

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ ٱلشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ ٱلْجَمَحَاتِ[١] ، فَإِنَّ ٱلنَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ ٱللهُ.

ثُمَّ ٱعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلاَدٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ . وَأَنَّ ٱلنَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ ٱلْوُلاَةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ . وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى ٱلصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي ٱللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ

---

(١) يزعها : يكفها . والجمحات : منازعة النفس الى شهوتها ومآربها

عِبَادِهِ . فَلْيَكُنْ أَحَبَّ ٱلذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ ٱلْعَمَلِ ٱلصَّالِحِ . فَامْلِكْ هَوَاكَ ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لاَ يَحِلُّ لَكَ[1] ، فَإِنَّ ٱلشُّحَّ بِالنَّفْسِ ٱلْإِنْصَافُ مِنْهَا فِيمَا أَحَبَّتْ أَوْ كَرِهَتْ . وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ ٱلرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَٱلْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَٱللُّطْفَ بِهِمْ . وَلاَ تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي ٱلدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي ٱلْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ ٱلزَّلَلُ[2] ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ ٱلْعِلَلُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي ٱلْعَمْدِ وَٱلْخَطَإِ[3] فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ ٱلَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ ٱللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي ٱلْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَٱللهُ فَوْقَ مَنْ وَلاَّكَ . وَقَدِ ٱسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ[4] وَٱبْتَلاَكَ بِهِمْ . وَلاَ تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ ٱللهِ[5] فَإِنَّهُ لاَ

---

(١) شح بنفسك : اي ابخل بها عن الوقوع في الحرام .

(٢) يفرط : يسبق . والزلل الخطأ .

(٣) يؤتى على ايديهم : مثل قولك يؤخذ على ايديهم : اي تأخذ على ايديهم اوامر الولاة فيهذبون ويثقفون .

(٤) استكفاك : طلب منك كفاية امرهم والقيام بتدبير مصالحهم .

(٥) نهاه ان ينصب نفسه لحرب الله . وكنى بحربه عن الغلظة على عباده وظلمهم ، ومبارزته تعالى فيهم بالمعصية ، وقوله عليه السلام : (ولا يدي لك بنقمته) اي ليس لك يد تدفع نقمته فانه لا طاقة لك بذلك .

يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلاَ غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلاَ تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ، وَلاَ تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ١ ، وَلاَ تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً ، وَلاَ تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ٢ فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي ٱلْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ ٱلْغِيَرِ . وَإِذَا أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً ٣ فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ ٱللهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ٤ ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ .

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ ٱللهِ فِي عَظَمَتِهِ٥ وَٱلتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ،

---

(١) بجح — كفرح وزناً ومعنى ، والبادرة : ما يبدر من الحدة عند الغضب في قول او فعل ، والمندوحة : السعة .

(٢) اي لا تقل اني امير واني آمر بالشيء فاطاع . والادغال : ادخال الفساد في الامر . ومنهكة : مضعفة . الابهة : العظمة . والمخيلة : الكبر .

(٣) امره عند حدوث الابهة والعظمة عنده لاجل الرياسة ان يذكر عظمة الله تعالى ، وقدرته عليه فان تذكر ذلك يطامن من غلوائه ، ويطأطىء منه .

(٤) الطماح : النشوز والجماح ، ويطامن : يخفض ، والغرب : حد السيف : ويستعار للسطوة والسرعة في البطش والفتك . ويفيء بما غرب : يرجع بما بعد من عقلك .

(٥) المساماة : المباراة في السمو وهو العلو .

فَإِنَّ ٱللهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ .

أَنْصِفِ ٱللهَ وَأَنْصِفِ ٱلنَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ[1] ، فَإِنَّكَ إِلاَّ تَفْعَلْ تَظْلِمْ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ ٱللهِ كَانَ ٱللهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ ٱللهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ[2] وَكَانَ للهِ حَرْباً حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ. وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ ٱللهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ ٱللهَ يَسْمَعُ دَعْوَةَ ٱلْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ .

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ ٱلْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي ٱلْحَقِّ ، وَأَعَمَّهَا فِي ٱلْعَدْلِ وَأَجْمَعَهَا لِرِضَى ٱلرَّعِيَّةِ ، فَإِنَّ سُخْطَ ٱلْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى ٱلْخَاصَّةِ[3] ، وَإِنَّ سُخْطَ ٱلْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى ٱلْعَامَّةِ . وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى ٱلْوَالِي مَؤُونَةً فِي ٱلرَّخَاءِ ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي ٱلْبَلاَءِ ، وَأَكْرَه

---

(١) اي من تحبه وتميل اليه من رعيتك .

(٢) ادحض : ابطل ، وينزع : يقلع عن ظلمه ، وادعى : اعظم سبباً ، والداعية السبب .

(٣) اي ان سخط العامة لكثرتهم لا يقاومه رضا الخاصة لقلتهم بل يجحف به اي يذهب به ولا ينتفع برضاهم عند سخط العامة اما لو سخط الخاصة برضى العامة فذاك امر مغتفر لا اثر له .

لِلْإِنْصَافِ ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ[1] ، وَأَقَلَّ شُكْراً عِنْدَ الْإِعْطَاءِ . وَأَبْطَأَ عُذْراً عِنْدَ الْمَنْعِ ، وَأَضْعَفَ صَبْراً عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ[2] وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ[3] وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ ، فَلْيَكُنْ صِغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ .

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَؤُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ[4] ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا[5] . فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ ، وَاللَّهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ . فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللَّهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ مِنْ رَعِيَّتِكَ . أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ . وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ . وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ[6] ،

---

(١) الالحاف : الالحاح في السؤال .

(٢) من اهل الخاصة متعلق بافضل وما بعده من افاعل التفضيل .

(٣) جماع الشيء بكسر الجيم : جمعه : اي جماعة الاسلام .

(٤) اشنأهم : ابغضهم .

(٥) ستر : صلة من .

(٦) اي احلل عقد الاحقاد عن قلب الناس بحسن السيرة فيهم ، واقطع اسباب الاوتار — اي العداوات — بترك الاساءة اليهم ، وتغاب : تغافل .

وَلاَ تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ ٱلسَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ .

وَلاَ تُدْخِلَنَّ فِي مَشْورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ ٱلْفَضْلِ[1] وَيَعِدُكَ ٱلْفَقْرَ ، وَلاَ جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ ٱلْأُمُورِ ، وَلاَ حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ ٱلشَّرَهَ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ ٱلْبُخْلَ وَٱلْجُبْنَ وَٱلْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى[2] يَجْمَعُهَا سُوءُ ٱلظَّنِّ بِاللهِ . إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيراً وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي ٱلْآثَامِ فَلاَ يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً[3] فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ ٱلْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ ٱلظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ ٱلْخَلَفِ[4] مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ[5] مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِماً عَلَى ظُلْمِهِ وَلاَ آثِماً عَلَى إِثْمِهِ . أُولٰئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ

---

(١) الفضل هنا : البذل ، والشره : اشد الحرص .

(٢) غرائز شتى اي : طبائع متفرقة ولكنها وان كانت مختلفة فان بينها قدراً مشتركاً وهو سوء الظن بكرم الله وحفظه وفضله ، ولو حسن الظن بالله لأيقن العبد ان الاجل مقدر والرزق مقسوم ولا يكون الا ما قضى الله سبحانه .

(٣) بطانة الرجل خاصته ، والاثمة جمع آثم كالظلمة جمع ظالم .

(٤) تمييز لمن هو خير الخلف من الاشرار ، وبيان لوجه خيريتهم من الاشرار وهو ان لهم مثل آرائهم وليس لهم مثل آثامهم .

(٥) والآصار جمع إصر وهو الذنب والاثم وكذلك الاوزار .

مَعُونَةً ، وَأَحْنَى عَلَيْكَ عَطْفاً ، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[1] فَاتَّخِذْ أُولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلاَتِكَ ، ثُمَّ لِيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ ٱلْحَقِّ لَكَ[2] ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ ٱللَّهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ[3] ، وَٱلْصَقْ بِأَهْلِ ٱلْوَرَعِ وَٱلصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لاَ يُطْرُوكَ[4] وَلاَ يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ ٱلزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ ٱلْعِزَّةِ .

وَلاَ يَكُونَنَّ ٱلْمُحْسِنُ وَٱلْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ ٱلْإِحْسَانِ فِي ٱلْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ ٱلْإِسَاءَةِ عَلَى ٱلْإِسَاءَةِ . وَأَلْزِمْ كُلّاً مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ[5] . وَٱعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ

---

(١) الالف : المحبة .

(٢) آثرهم عندك : اكرمهم عليك .

(٣) واقعاً حال من « مما كره الله » .

(٤) الصق بأهل الورع : اجعلهم خاصتك وخلصاءك .

(٥) فان المسيء الزم نفسه استحقاق الاساءة ، والمحسن ألزم نفسه استحقاق الاحسان .

ظَنٍّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ[1] ، وَتَخْفِيفِهِ الْمُؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ قِبَلَهُمْ[2] فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ الظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً[3] ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ[4] .

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ الْأُمَّةِ ، وَاجْتَمَعَتْ بِهَا الْأُلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا الرَّعِيَّةُ . وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ السُّنَنِ فَيَكُونَ الْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا . وَالْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا .

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ[5] فِي تَثْبِيتِ

---

(١) لان الوالي اذا احسن إلى رعيته اقبلوا بطباعهم على محبته وطاعته وذلك يستلزم حسن ظنه بهم ، ولا يحتاج مع ذلك إلى الكلفة في جمع اهوائهم والاحتراس من شرورهم .

(٢) قبلهم (بكسر ففتح) : أي عندهم .

(٣) النصب (بالتحريك) : التعب .

(٤) البلاء : الصنع مطلقاً حسناً اوسيئاً .

(٥) المنافثة : المحادثة .

مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلاَدِكَ وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ ٱلنَّاسُ قَبْلَكَ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لاَ يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلاَّ بِبَعْضٍ ، وَلاَ غِنَىٰ بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ . فَمِنْهَا جُنُودُ ٱللهِ . وَمِنْهَا كُتَّابُ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ[1] . وَمِنْهَا قُضَاةُ ٱلْعَدْلِ . وَمِنْهَا عُمَّالُ ٱلْإِنْصَافِ وَٱلرِّفْقِ . وَمِنْهَا أَهْلُ ٱلْجِزْيَةِ وَٱلْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ ٱلذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ ٱلنَّاسِ . وَمِنْهَا ٱلتُّجَّارُ وَأَهْلُ ٱلصِّنَاعَاتِ . وَمِنْهَا ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلَىٰ مِنْ ذَوِي ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ وَكُلاًّ قَدْ سَمَّى ٱللهُ سَهْمَهُ[2] ، وَوَضَعَ عَلَىٰ حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْداً مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظاً .

فَٱلْجُنُودُ بِإِذْنِ ٱللهِ حُصُونُ ٱلرَّعِيَّةِ ، وَزَيْنُ ٱلْوُلاَةِ ، وَعِزُّ ٱلدِّينِ ، وَسُبُلُ ٱلْأَمْنِ ، وَلَيْسَ تَقُومُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلاَّ بِهِمْ . ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلاَّ بِمَا يُخْرِجُ ٱللهُ لَهُمْ مِنَ ٱلْخَرَاجِ ٱلَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ ،

---

(١) الكتاب : جمع كاتب ، والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحررين في المعتاد من شؤونهم كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصون بالوالي يفضي اليهم باسراره ، ويوليهم النظر فيما يكتب إلى اوليائه واعدائه ومما يقررون من شؤون حربه وسلمه .

(٢) سهمه : نصيبه من الحق .

وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِم[1] . ثُمَّ لاَ قِوَامَ لِهذَيْنِ ٱلصِّنْفَيْنِ إِلاَّ بِالصِّنْفِ ٱلثَّالِثِ مِنَ ٱلْقُضَاةِ وَٱلْعُمَّالِ وَٱلْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ ٱلْمَعَاقِدِ[2] ، وَيَجْمَعُونَ مِنَ ٱلْمَنَافِعِ ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ ٱلْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا . وَلاَ قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعاً إِلاَّ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[3] ، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ ، وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ ٱلتَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لاَ يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ . ثُمَّ ٱلطَّبَقَةُ ٱلسُّفْلَى مِنْ أَهْلِ ٱلْحَاجَةِ وَٱلْمَسْكَنَةِ ٱلَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ[4] . وَفِي ٱللهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ، وَلِكُلٍّ عَلَى ٱلْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ ٱلْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ ٱللهُ مِنْ ذٰلِكَ إِلاَّ بِالاهْتِمَامِ وَٱلاسْتِعَانَةِ بِاللهِ ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ ٱلْحَقِّ ، وَٱلصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ . فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي

---

(١) اي يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها .

(٢) المعاقد : العقود في البيع والشراء وما شابههما مما هو شأن القضاة .

(٣) المرافق : المنافع ، والترفق : التكسب .

(٤) رفدهم : معونتهم وصلتهم .

نَفْسِكَ لِلّٰهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِامَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً[1] ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ ٱلْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى ٱلْعُذْرِ ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُوا عَلَى ٱلْأَقْوِيَاءِ[2] . وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ ٱلْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ ٱلضَّعْفُ . ثُمَّ أَلْصِقْ بِذَوِي ٱلْأَحْسَابِ[3] وَأَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ ٱلصَّالِحَةِ وَٱلسَّوَابِقِ ٱلْحَسَنَةِ . ثُمَّ أَهْلِ ٱلنَّجْدَةِ وَٱلشَّجَاعَةِ وَٱلسَّخَاءِ وَٱلسَّمَاحَةِ ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ ٱلْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ ٱلْعُرْفِ . ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ ٱلْوَالِدَانِ مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ[4] . وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ[5] وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ ٱلنَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ بِكَ . وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ ٱتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً

---

(١) جيب القميص : طوقه ، وانقاهم جيباً كناية عن نزاهته وتعففه ، والحلم — هنا — العقل . وقوله يستريح إلى العذر اي يقبل عذره ويستريح اليه .

(٢) ينبو عن الاقوياء : يتجافى عنهم ، ويبعد : اي لا يمكنهم من الظلم والتعدي على الضعفاء ، ولا يثيره العنف : اي لا يهيج غضبه وقسوته ، ولا يقعد به الضعف : اي ليس عاجزاً.

(٣) امره ان يلصق بأهل الاحساب : اي يقرب منهم ولا يتعداهم إلى غيرهم وجماع من الكرم : مجموع منه ، وشعب : جمع شعبة : الطائفة من الشيء والعرف : المعروف .

(٤) امره ان لا يعظم عنده ما يقويهم به وان عظم ، وان لا يستحقر شيئاً تعاهدهم به وان قل.

(٥) امره ان لا يمنعه تفقد جسيم امورهم عن تفقد صغيرها .

يَنْتَفِعُونَ بِهِ . وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لاَ يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ .

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ[1] مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ . فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ[2] يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ . وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ ٱلْوُلاَةِ ٱسْتِقَامَةُ ٱلْعَدْلِ فِي ٱلْبِلاَدِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ ٱلرَّعِيَّةِ . وَإِنَّهُ لاَ تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلاَّ بِسَلاَمَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلاَ تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلاَّ بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلاَةِ أُمُورِهِمْ[3] . وَقِلَّةِ ٱسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ ، وَتَرْكِ ٱسْتِبْطَاءِ ٱنْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ . فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو ٱلْبَلاَءِ مِنْهُمْ[4] . فَإِنَّ كَثْرَةَ ٱلذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ

---

(١) آثر : افضل واعلى منزلة ، وواساهم : ساعدهم بمعونته لهم ، وافضل : افاض ، الجدة – بكسر ففتح – الغنى ، وخلوف جمع خلف – بفتح فسكون – وهو ما يبقى في الحي من النساء والعجزة بعد سفر الرجال .

(٢) عليهم : اي على الرؤساء .

(٣) الحيطة : على وزن الشيمة مصدر حاطه يحوطه حوطاً وحياطة ، وحيطة بمعنى حفظه وصانه ، واستثقال الدولة : استبطاء ايامها ، وتمني زوالها .

(٤) البلاء : الصنع : ويهز الشجاع : يحركه للاقدام ، والناكل المتأخر القاعد .

ٱلشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ ٱلنَّاكِلَ إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ . ثُمَّ ٱعْرِفْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَىٰ ، وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ ٱمْرِئٍ إِلَىٰ غَيْرِهِ[1] ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ ٱمْرِئٍ إِلَىٰ أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيراً ، وَلَا ضَعَةُ ٱمْرِئٍ إِلَىٰ أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً.

وَٱرْدُدْ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ ٱلْخُطُوبِ[2] وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ « يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَىٰ ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ » فَالرَّدُّ إِلَىٰ ٱللَّهِ ٱلْأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ[3] ، وَٱلرَّدُّ إِلَىٰ ٱلرَّسُولِ ٱلْأَخْذُ بِسُنَّتِهِ ٱلْجَامِعَةِ غَيْرِ ٱلْمُفَرِّقَةِ[4] .

---

(١) اي اذكر كل من ابلى منهم مفرداً غير مضموم ذكر بلائه إلى غيره.، ولا تقصر به في الجزاء دون ما يبلغ منتهى عمله الجليل .

(٢) ما يضلعه : ما يؤوده ويميله لثقله .

(٣) محكم الكتاب : نصه الصريح ويقابله المتشابه .

(٤) وصف السنة بأنها جامعة لأن مدارها على وجوب الالفة ، او الاجتماع على طاعة الله ، وقوله عليه السلام : « غير المفرقة » صفة للجامعة لا ان السنة تنقسم إلى جامعة ومفرقة ، فاذا رويت عنه صلى الله عليه وآله وسلم سنن تدعو إلى الفرقة فانها ليست بسنته صلى الله عليه وآله وسلم وإن سماها بعض الناس سنناً .

ثُمَّ ٱخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ[1] فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ ٱلْأُمُورُ ، وَلاَ تُمَحِّكُهُ ٱلْخُصُومُ[2] ، وَلاَ يَتَمَادَى فِي ٱلزَّلَّةِ ، وَلاَ يَحْصَرُ مِنَ ٱلْفَيْءِ إِلَى ٱلْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ[3] ، وَلاَ تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ[4] ، وَلاَ يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ[5] ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي ٱلشُّبُهَاتِ[6] ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ ٱلْخَصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ ٱلْأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ ٱتِّضَاحِ ٱلْحُكْمِ . مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ[7] وَلاَ يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ . وَأُولٰئِكَ قَلِيلٌ . ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ[8] ، وَٱفْسَحْ لَهُ

---

(١) « ثم اختر ... الخ » انتقال من الكلام في الجند إلى الكلام في القضاة .

(٢) تمحكه الخصوم : تجعله ماحكاً اي لجوجاً : اي لا تحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه .

(٣) الزلة — بالفتح — السقطة في الخطأ ، وحصر — كفرح — ضاق صدره ، ومن الناس من اذا زل تمادى في الباطل ، وحصر على ان يرجع إلى الحق واصابه كالعي والفهاهة خجلا .

(٤) الاشراف — هنا — الاشفاق والخوف والمعنى لا يمل عن الحق اشفاقاً من فوت المنافع .

(٥) اي لا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه لأن ذلك مظنة الوقوع في الخطأ .

(٦) الشبهات : ما لا يتضح الحكم فيها بالنص ، واصرمهم اقطعهم وامضاهم .

(٧) لا يزدهيه : لا يستخفه ، والاطراء : المدح ، والاغراء التحريض .

(٨) امره ان يتطلع على احكامه واقضيته ليزيد في تحريه للصواب ، ويقطع طمعه في الانحراف عن الحق لو خطر بباله .

فِي ٱلْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ ١ وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى ٱلنَّاسِ ، وَأَعْطِهِ مِنَ ٱلْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لاَ يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ٢ لِيَأْمَنَ بِذٰلِكَ ٱغْتِيَالَ ٱلرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ . فَانْظُرْ فِي ذٰلِكَ نَظَراً بَلِيغاً ، فَإِنَّ هٰذَا ٱلدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيراً فِي أَيْدِي ٱلْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُطْلَبُ بِهِ ٱلدُّنْيَا .

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمُ ٱخْتِبَاراً٣ ، وَلاَ تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ ٱلْجَوْرِ وَٱلْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ ٱلتَّجْرِبَةِ وَٱلْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ ٱلْبُيُوتَاتِ ٱلصَّالِحَةِ وَٱلْقَدَمِ فِي ٱلْإِسْلاَمِ ٤ ٱلْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلاَقاً ، وَأَصَحُّ أَعْرَاضاً ، وَأَقَلُّ فِي ٱلْمَطَامِعِ إِشْرَافاً ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ ٱلْأُمُورِ نَظَراً . ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ

---

(١) ما يزيل علته : كناية عما يكفيه .

(٢) اذا كانت للقاضي منزلة عند من ولاه هابته الخاصة كما تهابه العامة ، ومنعتهم من تقبيح ذكره ، والوشاية به .

(٣) امره ان يستعمل العمال بعد الاختبار وان لا يوليهم محاباة او لمن يشفع فيهم ، ولا اثرة وإنعاماً عليهم ، فانهما – اي : المحاباة والأثرة – يجمعان الجور والخيانة .

(٤) توخ : اطلب وتحر ، والقدم – بالتحريك – واحدة الاقدام . والمراد بهم اهل الاقدام الراسخة في الاسلام والخطوات السابقة اليه .

ٱلْأَرْزَاقَ[1] فَإِنَّ ذٰلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى ٱسْتِصْلاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ[2] . ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ ، وَٱبْعَثِ ٱلْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ ٱلصِّدْقِ وَٱلْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ[3] ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي ٱلسِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ[4] عَلَى ٱسْتِعْمَالِ ٱلْأَمَانَةِ وَٱلرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ . وَتَحَفَّظْ مِنَ ٱلْأَعْوَانِ ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ ٱجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ ٱكْتَفَيْتَ بِذٰلِكَ شَاهِداً ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ ٱلْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ ٱلْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ ٱلتُّهَمَةِ .

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ ٱلْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحاً لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ

---

(١) امره ان يسبغ عليهم في الرزق ، لأن الجائع غالباً لا امانة له .

(٢) اي اذا وفرت عليهم في الرزق تكون الحجة لك عليهم ان خالفوا امرك ، او خانوا امانتك ، او نقصوا في ادائها .

(٣) العيون الرقباء .

(٤) حدوة : اي سوق لهم وحث .

(٥) اي اتفقت عليه اخبار الرقباء .

سِوَاهُمْ إِلاَّ بِهِمْ لأَنَّ ٱلنَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى ٱلْخَرَاجِ وَأَهْلِه . وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ ٱلأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي ٱسْتِجْلاَبِ ٱلْخَرَاجِ لأَنَّ ذٰلِكَ لاَ يُدْرَكُ إِلاَّ بِالْعِمَارَةِ . وَمَنْ طَلَبَ ٱلْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ ٱلْبِلاَدَ وَأَهْلَكَ ٱلْعِبَادَ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلاَّ قَلِيلاً ، فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلاً[1] أَوْ عِلَّةً أَوِ ٱنْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ ٱغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَلاَ يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ ٱلْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلاَدِكَ وَتَزْيِينِ وِلاَيَتِكَ ، مَعَ ٱسْتِجْلاَبِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ ٱلْعَدْلِ فِيهِمْ[2] مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ[3] بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَٱلثِّقَةَ

---

(١) امره ان يخفف من الخراج اذا شكوا ثقله عليهم او نزول علة سماوية في زرعهم إلى آخر ما ذكر عليه السلام من موجبات تخفيف الخراج ، واخبره ان ذلك وان كان يدخل على بيت المال نقصة في العاجل الا انه يقتضي توفير زيادة في الآجل ، والشرب – بكسر الشين المعجمة – : النصيب من الماء ، والبالة : القليل من الماء يبل به الارض ، واحالت الارض تغيرت عما كانت عليه بسبب ما اغتمرها : اي عمها من الغرق فلم ينجب زرعها ، واجحف بها العطش اي ذهب بمادة الغذاء من الارض فلم ينبت .

(٢) التبجح : السرور بما يرى من حسن في عمله .

(٣) « معتمداً » منصوب على الحال من الضمير في خففت : والمعنى متخذاً زيادة قوتهم عماداً لك تستند اليه عند الحاجة ، ويكونون سنداً بما ذخرت عندهم من اجمامك : اي اراحتك لهم وترفيهك عنهم .

مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ . فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ ٱلْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ ٱحْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ[1] ، فَإِنَّ ٱلْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ ٱلْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ ٱلْوُلَاةِ عَلَى ٱلْجَمْعِ[2] ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِٱلْبَقَاءِ ، وَقِلَّةِ ٱنْتِفَاعِهِمْ بِٱلْعِبَرِ .

ثُمَّ ٱنْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ[3] فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَٱخْصُصْ رَسَائِلَكَ ٱلَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُوهِ صَالِحِ ٱلْأَخْلَاقِ[4] ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ ٱلْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ ٱلْغَفْلَةُ[5] عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ

---

(١) طيبة : اما بكسر الطاء مصدر طاب ، وهو علة لا حتملوه ، اي لطيب انفسهم باحتماله فان العمران ما دام قائماً ونامياً فكل ما حملت اهاه سهل عليهم ان يحتملوا او بفتح الطاء وتشديد الياء منصوب على الحالية ، وانفسهم مرفوع على انه فاعل بطيبة ويجوز ان يكون طيبة مرفوعاً على انه خبر مقدم ، وانفسهم مبتدأ ومؤخر ، والجملة في محل نصب على الحال .

(٢) اي لتطلع انفسهم إلى جمع المال ادخاراً إلى ما بعد زمن الولاية اذا عزلوا .

(٣) الكتاب جمع كاتب وقد تقدمت صفاتهم في ص ٤٠٠ من هذا الجزء فراجع .

(٤) امره ان يخص رسائله الحاوية لشيء من المكائد والاسرار بأجمع كتابه لصالح الاخلاق التي منها عدم البطر التي يدعو اليه تقريب الوالي له فيجترىء على مخالفته والرد عليه في ملأ من الناس وفي ذلك ما فيه من الوهن للأمير وسوء الادب الذي تظاهر الكاتب به .

(٥) أي لا تكون غفلته موجبة لتقصيره في اطلاعك على ما يرد من اعمالك ولا في اصدار الاجوبة عنه على وجه الصواب .

عَلَيْكَ ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى ٱلصَّوَابِ عَنْكَ وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ . وَلاَ يُضْعِفُ عَقْداً ٱعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلاَ يَعْجِزُ عَنْ إِطْلاَقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ[1] ، وَلاَ يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي ٱلْأُمُورِ ، فَإِنَّ ٱلْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ . ثُمَّ لاَ يَكُنِ ٱخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَٱسْتِنَامَتِكَ[2] وَحُسْنِ ٱلظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ ٱلرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ ٱلْوُلاَةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ[3] ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَٱعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَراً ، وَأَعْرَفِهِمْ بِٱلْأَمَانَةِ وَجْهاً ، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ ، وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْساً مِنْهُمْ[4] لاَ يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ،

---

(١) ان لا يكون ضعيفاً عندما يبرم للوالي عقداً بل يجعله محكماً ، وان لا يعجز عن اطلاق عقد عقده على الوالي متى ما اراد نقضه .

(٢) نهاه ان يكون مستند اختياره للكتاب بالتفرس والاستنامة : اي الثقة والسكون ، بل ينبغي ان يكون ذلك بتجربة وخبرة ، فان كثيراً من الرجال يتقربون إلى الامراء بالتصنع بحسن الخدمة ، والتظاهر بغير ما هم عليه .

(٣) الفراسات جمع فراسة – بكسر الفاء – : وهي قوة النظر في الامر .

(٤) اي اجعل لكل عمل من اعمالك رأساً من الكتاب لا يكبر عليه شيء من ذلك العمل فيقهره ، ولا يكثر عليه منه كثير فيتشتت عن ضبطه ، ويقصر دونه .

وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ[١] .

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِالتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ[٢] وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْراً : ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ ، وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ[٣] ، وَٱلْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ ٱلْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ ، وَجُلَّابُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ ٱلنَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا[٤] ، وَلَا يَجْتَرِئُونَ عَلَيْهَا . فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ[٥] ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ . وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَٱعْلَمْ مَعَ ذٰلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشاً وَشُحّاً قَبِيحاً[٦] ؛ وَٱحْتِكَاراً

---

(١) التغابي : التظاهر بالغفلة .

(٢) استوص : اي اقبل وصيتي واحفظها فيمن اوصيك بهم وهم التجار وذووا الصناعات ووص غيرك من اتباعك بهم .

(٣) المضطرب : هو المتردد بأمواله بين البلدان ، والمترفق : المكتسب ببدنه وهم اهل الصنائع ، والمرافق هنا : ما به يتّم الانتفاع كالآنية والأدوات وما يشبه ذلك .

(٤) المطارح : الأماكن البعيدة ، يقال طرح – بتشديد الراء – به السفر إلى كذا اي قذف به ، ولا يلتئم الناس لمواضعها : اي لا يمكن اجتماعهم في مواضع تلك المرافق من تلك الامكنة .

(٥) البائقة : الداهية ، والغائلة : الشر .

(٦) الضيق : عسر المعاملة ، والشح : البخل ، والاحتكار : حبس عن الناس عند الحاجة اليها .

لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّماً فِي ٱلْبِيَاعَاتِ ، وَذٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى ٱلْوُلَاةِ . فَامْنَعْ مِنَ ٱلإِحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنَعَ مِنْهُ ، وَلْيَكُنِ ٱلْبَيْعُ بَيْعاً سَمْحاً ، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْبَائِعِ وَٱلْمُبْتَاعِ [1] . فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ [2] فَنَكِّلْ بِهِ ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ . ثُمَّ ٱللهَ ٱللهَ فِي ٱلطَّبَقَةِ ٱلسُّفْلَى مِنَ ٱلَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ ٱلْبُؤْسَى وَٱلزَّمْنَى [3] ، فَإِنَّ فِي هٰذِهِ ٱلطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرّاً [4] . وَٱحْفَظْ لِلهِ مَا ٱسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ، وَٱجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي ٱلإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ [5] ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ ٱلَّذِي لِلْأَدْنَى . وَكُلٌّ قَدِ ٱسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ فَلَا

---

(١) المبتاع : المشترى .

(٢) قارف : اي خالط ، والحكرة – بضم الحاء – : الاحتكار ، ونكل به الخ : اي اصنع به صنعاً تحذر به غيره اذا رآه . ولا تجاوز حد العدل .

(٣) البؤس – بضم اول – شدة الفقر ، والزمنى – بفتح اوله – جمع زمن وهو المصاب بالزمانة – بفتح الزاي – اي العاهة يريد ارباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب .

(٤) القانع : السائل ، والمعتر : المتعرض للعطاء بلا سؤال ، واستحفظك طلب منك حفظه.

(٥) صوافي الاسلام جمع صافية : وهي ارض الغنيمة . وغلاتها : ثمراتها .

يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ[١] ، فَإِنَّكَ لاَ تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ ٱلتَّافِهَ[٢] لإِحْكَامِكَ ٱلْكَثِيرَ ٱلْمُهِمَّ ، فَلاَ تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ[٣] ، وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ . وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لاَ يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ ٱلْعُيُونُ[٤] وَتَحْتَقِرُهُ ٱلرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لأُولٰئِكَ ثِقَتَكَ[٥] مِنْ أَهْلِ ٱلْخَشْيَةِ وَٱلتَّوَاضُعِ ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ ٱعْمَلْ فِيهِمْ بِالإِعْذَارِ إِلَى ٱللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ[٦] ، فَإِنَّ هٰؤُلاَءِ مِنْ بَيْنِ ٱلرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى ٱلإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى ٱللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ . وَتَعَهَّدْ أَهْلَ ٱلْيُتْمِ وَذَوِي ٱلرِّقَّةِ فِي ٱلسِّنِّ مِمَّنْ لاَ حِيلَةَ لَهُ وَلاَ يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ[٧] ، وَذٰلِكَ عَلَى ٱلْوُلاَةِ ثَقِيلٌ وَٱلْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ . وَقَدْ يُخَفِّفُهُ ٱللهُ عَلَى أَقْوَامٍ

---

(١) البطر : هو الطغيان بالنعمة ، والغفلة عند حدوثها حتى تصرف في وجهها .

(٢) التافه : الحقير .

(٣) اي لا تصرف همك – اي : اهتمامك – عن ملاحظة شؤونهم ، وصعر خده : اماله كبراً .

(٤) تقتحمه العيون : تزدريه .

(٥) اي اجعل للبحث عنهم اشخاصاً ممن تثق بهم يتفرغون لمعرفة امورهم ممن يخشون الله فيهم ، ولا يأنفون من تفقد احوالهم ليرفعوها اليك .

(٦) يقال : اعذر في الأمر : صار ذا عذر فيه .

(٧) اهل اليتم : الأيتام ، وذووا الرقة في السن اي المتقدمون فيه .

طَلَبُوا ٱلْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ ٱللهِ لَهُمْ .

وَٱجْعَلْ لِذَوِي ٱلْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً[1] تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ للهِ ٱلَّذِي خَلَقَكَ ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ[2] مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ[3] ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ[4] : « لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ[5] لاَ يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ ٱلْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ » . ثُمَّ ٱحْتَمِلِ ٱلْخُرْقَ مِنْهُمْ وَٱلْعِيَّ[6] ، وَنَحِّ عَنْكَ ٱلضِّيقَ وَٱلأَنَفَ[7] يَبْسُطِ ٱللهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ ،

---

(١) اي اجعل قسماً من اوقاتك تتفرغ فيه لذوي الحاجات بنفسك للنظر في حاجاتهم .

(٢) اي تأمرهم بالقعود حتى لا تأخذ ذوي الحاجات رهبة الحكم وابهة الامرة فينبسطوا في عرضها عليك ، والاحراس : جمع حرس – بالتحريك – وهو من يحرس الحاكم ، والشرط – بضم ففتح – الشرطة ، سموا بذلك لأنهم اعلموا بعلامات يعرفون بها .

(٣) التعتعة في الكلام : التردد فيه .

(٤) اي في مواطن كثيرة .

(٥) التقديس : التطهير .

(٦) الخرق : ضد الرفق اي العنف ، والعي – بكسر العين – العجز عن النطق .

(٧) الضيق : ضيق الصدر بسوء الخلق ، والأنف – محركة – الاستنكاف واكناف الرحمة اطرافها .

وَيُوجِبُ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ . وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً[1] ، وَٱمْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ . ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لاَ بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا . مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَى عَنْهُ كُتَّابُكَ[2] . وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ ٱلنَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ[3] . وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَٱجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ ٱلْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ ٱلْأَقْسَامِ[4] وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلهِ إِذَا صَلُحَتْ فِيهَا ٱلنِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا ٱلرَّعِيَّةُ .

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ ٱلَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً ، فَأَعْطِ ٱللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى ٱللهِ مِنْ ذٰلِكَ

---

(١) اي سهلا لا تخشنه باستكثاره والمن به ، واذا منعت فامنع باللطف وتقديم عذر .

(٢) يعيا : يعجز .

(٣) بين له ان من الامور ما تلزمه مباشرتها بنفسه منها اجابة عماله بما يرى المصلحة في الجواب به فقد يعجز الكتاب عن كثير من ذلك ، ومنها اصدار حوائج الناس ، لأن الاعوان غالباً يحبون المماطلة في قضائها ، استجلاباً للمنفعة واظهاراً للجبروت .

(٤) امره ان يجعل لنفسه في معاملته لله افضل تلك الأوقات ثم بين ان الاعمال التي يقوم فيها الوالي كلها لله اذا اخلص في النية .

كَامِلاً غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلاَ مَنْقُوصٍ[1] بَالِغاً مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ . وَإِذَا قُمْتَ فِي صَلاَتِكَ لِلنَّاسِ فَلاَ تَكُونَنَّ مُنَفِّراً وَلاَ مُضَيِّعاً[2] ، فَإِنَّ فِي ٱلنَّاسِ مَنْ بِهِ ٱلْعِلَّةُ وَلَهُ ٱلْحَاجَةُ . وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى ٱلْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلاَةِ أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً » .

وَأَمَّا بَعْدُ فَلاَ تُطَوِّلَنَّ ٱحْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ ٱحْتِجَابَ ٱلْوُلاَةِ عَنِ ٱلرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ ٱلضِّيقِ ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِٱلأُمُورِ . وَٱلاحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا ٱحْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ ٱلْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ ٱلصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ ٱلْحَسَنُ وَيَحْسُنُ ٱلْقَبِيحُ ، وَيُشَابُ ٱلْحَقُّ بِٱلْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا ٱلْوَالِي بَشَرٌ لاَ يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ ٱلنَّاسُ بِهِ مِنَ ٱلأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى ٱلْحَقِّ سِمَاتٌ[3]

---

(١) مثلوم : اي مخدوش بشيء من التقصير ، ولا منقوص بشيء من الرياء .

(٢) امره ان يكون متوسطاً بين المنفر للناس في التطويل وبين المقصر المضيع لأركان الصلاة وواجباتها .

(٣) السمات جمع سمة – بكسر ففتح – وهي العلامة ، اي ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب .

تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ ٱلصِّدْقِ مِنَ ٱلْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا ٱمْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي ٱلْحَقِّ فَفِيمَ ٱحْتِجَابُكَ[1] مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ ٱلنَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ[2] ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ ٱلنَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لاَ مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ[3] ، أَوَ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ .

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ ٱسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَٱحْسِمْ مَادَّةَ أُولٰئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ ٱلأَحْوَالِ[4] . وَلاَ تُقْطِعَنَّ لأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً[5] . وَلاَ يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي ٱعْتِقَادِ عُقْدَةٍ

---

(١) فلأي سبب تحتجب عن الناس في اداء حقهم ، او عمل تمنحه اياهم ؟ .

(٢) اي فان قنط الناس من قضاء مطالبهم منك اسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب.

(٣) اي اكثر ما يسأل منك ما لامؤونة فيه عليك كشكاة – بفتح الشين– : اي شكاية ظلامة او انصاف من خصم .

(٤) احسم : اي اقطع .

(٥) الاقطاع : المنحة من الارض ، والقطيعة الممنوح منها ، والحامة – كالطامة – الخاصة والقرابة ، والاعتقاد : الامتلاك ، والعقدة – بالضم – : الضيعة ، واعتقاد الضيعة اقتناؤها ، واذا اقتنوا ضيعة فربما اضروا بمن يليها : اي يقرب منها ، والشرب – بالكسر – : النصيب من الماء .

تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ ٱلنَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَىٰ غَيْرِهِـمْ ، فَيَكُونَ مَهْنَـأُ ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ[١] ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ .

وَأَلْزِمِ ٱلْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ ٱلْقَرِيبِ وَٱلْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِراً مُحْتَسِباً ، وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ . وَٱبْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ[٢] .

وَإِنْ ظَنَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفاً فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَٱعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ[٣] ، وَرِفْقاً بِرَعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَاراً تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى ٱلْحَقِّ .

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحاً دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضىً ،

---

(١) مهنأه : منفعته الهنيئة .

(٢) المغبة – كمحبة – حسن العافية وإلزام الحق لمن لزمهم وان ثقل على الوالي وعليهم ولكنه محمود العاقبة بحفظ الدولة في الدنيا ، ونيل السعادة في الآخرة .

(٣) الحيف : الظلم ، اصحر : اكشف لهم وبين عذرك فيه ، مأخوذ من الاصحار وهو الخروج إلى الصحراء ، وعدل عن الشيء : نحاه عنه ، والرياضة : تعويد النفس على الشيء ، والاعذار إقامة العذر .

فَإِنَّ فِي ٱلصُّلْحِ دَعَةً لِجُنُودِكَ[1] وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْناً لِبِلَادِكَ . وَلٰكِنِ ٱلْحَذَرَ كُلَّ ٱلْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِه ، فَإِنَّ ٱلْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ[2] ، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَٱتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ ٱلظَّنِّ . وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً[3] فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ ، وَٱرْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ ، وَٱجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ[4] فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ ٱللهِ شَيْءٌ ٱلنَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ ٱجْتِمَاعاً مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ ٱلْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ[5] . وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ ٱلْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ ٱلْمُسْلِمِينَ[6] لِمَا ٱسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ ٱلْغَدْرِ[7] . فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ[8] ، وَلَا تَخْتِلَنَّ

---

(١) الدعة : الراحة .

(٢) امره ان يحذر بعد الصلح من غائلة العدو وكيده فانه ربما قارب : اي تقرب بالصلح ليتغفل : اي يطلب غفلتك فيغدر بك فيها .

(٣) امره اذا عقد بينه وبين عدوه عهداً ان يحوطه : اي يحفظه بالوفاء ، ويرعى ذمته بالامانة

(٤) الجنة – بالضم – الوقاية .

(٥) يعني ان الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله اشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق اهوائهم ، وتشتت آرائهم حتى ان المشركين التزموا به فيما بينهم فأولى ان يلتزمه المسلمون .

(٦) اي حال كونهم دون المسلمين في الاخلاق والعقائد .

(٧) استوبلوا : وجدوها وبيلة اي مهلكة .

(٨) خاس بعهده : خان ونقضه ، والختل : الخداع .

عَدُوَّكَ ، فَإِنَّهُ لاَ يَجْتَرِئُ عَلَى ٱللهِ إِلاَّ جَاهِلٌ شَقِيٌّ . وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْناً أَفْضَاهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ[١] حَرِيماً يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ[٢] . فَلاَ إِدْغَالَ وَلاَ مُدَالَسَةَ[٣] وَلاَ خِدَاعَ فِيهِ . وَلاَ تَعْقِدْ عَقْداً تَجُوزُ فِيهِ ٱلْعِلَلُ[٤] ، وَلاَ تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ ٱلتَّأْكِيدِ وَٱلتَّوْثِقَةِ ، وَلاَ يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللهِ إِلَى طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو ٱنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ[٥] فَلاَ تَسْتَقِيلَ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلاَ آخِرَتَكَ .

إِيَّاكَ وَٱلدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ

---

(١) الامن : الامان ، وافضاه بين عباده جعله مشتركاً بينهم لا يختص به فريق دون فريق . والحريم : ما حرم عليك ان تمسه ، والمنعة – بالتحريك – ما تمتنع به من القوة .

(٢) اي يفزعون اليه بسرعة .

(٣) الادغال : الافساد ، والمدالسة : الخديعة .

(٤) نهاه عن ان يعقد عقداً يمكن فيه التأويلات والعلل ، وطلب المخارج ، ونهاه اذا عقد عقداً بينه وبين العدو ان ينقضه معولا على تأويل خفي ، او فحوى قول ، او يقول انما عنيت كذا ، ولم اعن ظاهر اللفظة فان العقود على ما هو ظاهر في الاستعمال ، متداول في الاصطلاح والعرف لا على ما في الباطن .

(٥) التبعة : ما يترتب على الفعل من الخير او الشر الا ان استعماله في الشر اكثر ، والطلبة : ما يطلب .

أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَلاَ أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلاَ أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَٱنْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ ٱلدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقِّهَا . وَٱللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِىءٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ ٱلدِّمَاءِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . فَلاَ تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ . وَلاَ عُذْرَ لَكَ عِنْدَ ٱللهِ وَلاَ عِنْدِي فِي قَتْلِ ٱلْعَمْدِ لأَنَّ فِيهِ قَوَدَ ٱلْبَدَنِ[1] . وَإِنِ ٱبْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ[2] أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ فَإِنَّ فِي ٱلْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلاَ تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ ٱلْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَٱلإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَٱلثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ ٱلإِطْرَاءِ[3] فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ ٱلشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ ٱلْمُحْسِنِينَ .

---

(١) القَوَد ـ : بفتحتين ـ : القصاص واضافته للبدن لأنّه يقع عليه .

(٢) افرط عليك : سبقك بما لم تكن تريده، مثل أنك اردت تأديباً فاعقب قتلاً ، والوكزة ـ بفتح فسكون: . الضربة : بجمع الكفّ ـ بضم الجيم ـ : أي قبضتُهُ ، ولا « تطمحنّ » أي لا ترتفعن بك كبريآء السلطان عن تأدية الدية لاوليآء القتيل .

(٣) الاطراء المبالغة في الثناء، والعجب: الغرور، ، والفرصة : النهزة ، والمحق : الابطال ، والمراد لا تمكن الشيطان من ابطال عملك بما يتبعه من الغرور به والاعجاب بنفسك .

وَإِيَّاكَ وَٱلْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوِ ٱلتَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ[1] أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ ٱلْمَنَّ يُبْطِلُ ٱلإِحْسَانَ ، وَٱلتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ ٱلْحَقِّ ، وَٱلْخُلْفَ يُوجِبُ ٱلْمَقْتَ عِنْدَ ٱللهِ وَٱلنَّاسِ[2] ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَىٰ « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ ٱللهِ أَنْ تَقُولُوا مَالاَ تَفْعَلُونَ » .

وَإِيَّاكَ وَٱلْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ ٱلتَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا[3] ، أَوِ ٱللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ[4] ، أَوِ ٱلْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا ٱسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ .

وَإِيَّاكَ وَٱلاسْتِئْثَارَ بِمَا ٱلنَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[5] وَٱلتَّغَابِيَ عَمَّا يُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ

---

(١) التزيد : ان ينسب إلى نفسه من الاحسان اليهم اكثر مما فعل .

(٢) المقت : البغض والسخط .

(٣) التسقط هنا : التهاون ، وتروي التساقط من « ساقط الفرس عدوه » اذا جاء مسترخياً ، حذره من ايقاع الامر على احد طرفي التفريط والافراط ، فطرف الافراط في الطلب : العجلة بها قبل اوانها وطرف التفريط التهاون بها اذا امكنت .

(٤) تنكرت : لم يعرف وجه الصواب فيها ، واللجاجة : الاصرار على اتمام الامر على عسر فيه ، والوهن : الضعف .

(٥) الاستئثار : ان يخص به نفسه بشيء يزيد به عن الناس . والتغابي : التغافل .

لِغَيْرِكَ . وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ ٱلْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ . ٱمْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[1] ، وَسَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ . وَٱحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ ٱلْبَادِرَةِ[2] وَتَأْخِيرِ ٱلسَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ ٱلاخْتِيَارَ ، وَلَنْ تُحْكِمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ ٱلْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ .

وَٱلْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَىٰ لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ ٱللهِ فَتَقْتَدِي بِمَا شَاهَدْتَهُ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا[3] ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي ٱتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا وَٱسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ ٱلْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

---

(١) امره ان يملك حمية انفه عند الغضب اي : انفته مما يقع من الامور المكروهة والسورة — بفتح فسكون — الحدة ، والحد : البأس ، والغرب — بفتح فسكون — الحد تشبيهاً له بحد السيف .

(٢) البادرة : ما يبدر من اللسان عند الغضب .

(٣) اي تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ما رأيتنا نعمل واحذر التأويل حسب الهوى

وَأَنَا أَسْأَلُ ٱللهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ[1] أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ ٱلْإِقَامَةِ عَلَى ٱلْعُذْرِ ٱلْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ[2] ، مَعَ حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ فِي ٱلْعِبَادِ وَجَمِيلِ ٱلْأَثَرِ فِي ٱلْبِلَادِ ، وَتَمَامِ ٱلنِّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ ٱلْكَرَامَةِ[3] ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَٱلشَّهَادَةِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . وَٱلسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ٱلطَّيِّبِينَ ٱلطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً . وَٱلسَّلَامُ .

هذا العهد من جملة مآثر امير المؤمنين صلوات الله عليه التي لا تحصى ولا تستقصى وهو من اطول عهوده ، واعظمها شأناً « يحتوي على اهم القواعد والأصول التي تتعلق بالقضاء والقضاة ، وإدارة الحكم في الاسلام ، وقرر فيه قواعد مهمة في التضامن الاجتماعي ، بل التعاون الانساني لاقامة العدل ، وحسن الادارة والسياسة ، وبيان صلاح الهيئة الاجتماعية ، وبيان الخراج وأهميته ، وكيف يجب ان تكون المعاملة فيه والنظر في عمارة الارض وما

---

(١) في كثير من نسخ (نهج البلاغة) قبل قوله عليه السلام : وانا اسأل الله ... الخ هذه العبارة « ومن هذا العهد وهو آخره » والواقع كذلك فان الرضي رحمه الله حذف بعض الفقرات قبل ذلك كعادته في الاختيار تعرف ذلك اذا رجعت إلى المصادر التي روت العهد قبلـــه

(٢) يريد من العذر الواضح العدل ، فانه عذر لك عند من قضيت عليه وعذر عند الله فيمن اجريت عليه عقوبة أو حرمته من متعة .

(٣) اي زيادة الكرامة اضعافاً .

يتعلق بذلك من اصول العمران ، وما فيه صلاح البلاد ، ومنابع ثروته ، وما للتجارة والصناعة من الاثر ، في حياة الامة ، إلى غير ذلك من القواعد الهامة التي تهدف إلى اسمى هدف في العدل الاسلامي »[1] .

« وقد وقف عنده المشرعون ورجال القانون في الشرق والغرب منذ العهود السالفة وحتى يوم الناس هذا موقف الاكبار والاعجاب والتعظيم وقد رست على ضوئه بعض القوانين والنظم الأوروبية الحديثة ، وقورنت به ، فظهرت ميزته وافضليته ولم يوجد له نظير او شبيه ، بل إن معظم دساتير الدول ، وقوانين الممالك مأخوذة منه وناسجة على منواله »[2] .

وقد ذهب الاستاذ جورج جرداق في كتابه « الامام علي ... صوت العدالة الانسانية »[3] إلا انه يصعب على المرأ ان يجد اختلافاً بين العهد العلوي والوثيقة الدولية لحقوق الانسان ، فليس من اساس بوثيقة حقوق الانسان الا وتجد له مثيلا في دستور ابن ابي طالب ، هذا إلى اطار من الحنان الانساني العميق يحيط به الامام دستوره في المجتمع ، ولا تحيط الامم المتحدة وثيقتها بمثله .

وقال ابن ابي الحديد : الاليق ان يكون الكتاب الذي كان معاوية ينظر فيه ويعجب منه ويفتي به ويقضي بقضاياه واحكامه هو عهد علي عليه السلام إلى الأشتر فانه نسيج وحده ، ومنه تعلم الناس الآداب والقضايا والاحكام والسياسة وهذا العهد صار إلى معاوية لما سم الاشتر ومات قبل وصوله[4] . إلى مصر .

ذكر ذلك بعد ان نقل ان عهده عليه السلام إلى محمد بن ابي بكر لما

---

(١) انظر : الامام الصادق والمذاهب الأربعة ٢ / ٢٨٠ .
(٢) انظر : الذريعة ١٣ / ٣٧٣ .
(٣) انظر : الامام علي ... صوت العدالة الاسلامية – الجزء الاول
(٤) شرح النهج : م ٢ ص ٢٨ .

ولاه مصر كان من جملة الكتب التي اخذها ابن العاص لما قتل محمد ، فكان معاوية ينظر في هذا الكتاب ويتعجب وان تلك الكتب بقيت في خزائن بني امية حتى ولي عمر بن عبد العزيز فهو الذي اظهر انها من احاديث علي بن ابي طالب وكلامه [1] .

حول العهد :

لقد كان عهد الامام لمالك موضع العناية ، منذ اقدم العصور إلى يوم الناس هذا عند الكثير من رجال العلم ، واعلام الادب ، واساتذة القانون ، لذلك تراهم قد تناولوه درساً وبحثاً ، وا وسعوه شرحاً وتعليقاً ، وافردوا فيه المؤلفات ، وترجموه إلى بعض اللغات ، واليك نماذج من ذلك :

١ ـ آداب الملوك [2] :

للسيد الجليل نظام العلماء الميرزا رفيع الدين الطباطبائي التبريزي المتوفى سنة (١٣٢٦) هـ . ، وهذا الكتاب من الكتب المفردة في شرح عهد مالك .

٢ ـ اساس السياسة في تأسيس الرياسة [3] :

للواعظ الماهر الشيخ محمد بن المولى اسماعيل الكجوري الطهراني الملقب بسلطان المتكلمين المتوفى ١٤ شعبان ١٣٥٣ شرح في اوله عهد امير المؤمنين عليه السلام إلى مالك الاشتر النخعي ثم عقبه ببيان سائر الاخلاق والآداب .

٣ ـ التحفة السليمانية [4] :

للسيد ماجد البحراني المتوفى بعد سنة (١٠٩٧) شرح للعهد المذكور في ستين فصلا وقد طبع في طهران .

---

(١) انظر ص ٦٤ من هذا الجزء .
(٢) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ .
(٣) الذريعة : ٢ / ٧ .
(٤) الذريعة : ٣ / ٤٤١ و ١٣ / ٣٧٤ وانظر مقدمة السيد الشهرستاني لكتاب « الراعي والرعية » .

٤ — الراعي والرعية [١] :

للعلامة الاستاذ توفيق الفكيكي رحمه الله ، وهو شرح يمتاز عن غيره من شروح العهد بكثير من النواحي اهمها تطبيقه تلك القواعد على نظم العصر الحاضر من القوانين الحديثة وقد طبع الكتاب مرتين الأولى في مجلدين والثانية في مجلد واحد .

٥ — السياسة العلوية [٢] :

في شرح عهد مالك الاشتر للعلامة الحجة الشيخ عبد الواحد آل مظفر وهو من جملة مؤلفاته الخطية الكثيرة .

٦ — شرح عهد امير المؤمنين [٣] :

للعلامة المجلسي المولى محمد باقر الاصفهاني المتوفى سنة (١١١١)هـ. فارسي ذكر في عداد تصانيفه الفارسية .

٧ — شرح عهد امير المؤمنين [٤] :

للمولى محمد باقر بن محمد صالح القزويني ، فارسي قال شيخنا الطهراني دامت بركاته : رأيته في (مكتبة السيد نصر الله التقوى) في طهران .

٨ — شرح عهد امير المؤمنين [٥] :

للسيد الميرزا حسن بن السيد علي القزويني المولود سنة ١٣١٩ والمتوفى

---

(١) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ ، والامام الصادق والمذاهب الاربعة ٢ / ٢٨٠ .

(٢) الذريعة : ٢ / ٢٧٢ .

(٣) الذريعة : ١٣ / ٣٧٣ .

(٤) و (٥) المصدر السابق ١٣ / ٣٧٤ هذا وقد ذكر كل من الامام السيد الشهرستاني في مقدمة « الراعي والرعية » والعلامة الشيخ اسد حيدر في « الامام الصادق والمذاهب الاربعة » ٢ / ٢٨٠ شرحاً للعهد باسم محمد صالح الروغني القزويني ولعله المذكور وقد سقط من القلم اسم الابن وبقي اسم الاب فنسب اليه يضاف إلى ذلك ان شيخنا الطهراني لم يتعرض لذكر محمد صالح المذكور ولا لشرحه عندما ذكر شروح العهد .

ليلة الفطر سنة ١٣٥٨هـ. رتبه على واحد وعشرين فصلا وهو الجزء الثاني من كتابه (تاريخ مصر قديماً) .

٩ — شرح عهد امير المؤمنين [١] :

للميرزا محمد بن سليمان التنكابني ذكره في كتابه (قصص العلماء) .

١٠ — شرح عهد امير المؤمنين : [٢]

للشيخ هادي بن محمد حسين القائيني البيرجندي ، فارسي ألفه سنة (١٣٣٣) هـ. وطبع مع (ترجمة الادب الكبير) لابن المقفع ، له في سنة ١٣١٥ شمسية .

١١ — شرح الفاضل بدائع نكار المثبت في (المآثر والآثار) [٣] :

١٢ — فرمان مبارك [٤] :

شرح للعهد المذكور بالفارسية للكاتب القدير جواد فاضل احد شراح « نهج البلاغة » مطبوع .

١٣ — نصائح الملوك [٥] :

للمولى ابي الحسن العاملي صاحب (الانساب) وغيره ، ذكره ابن يوسف في (نهج البلاغة جيست) .

١٤ — مقتبس السياسة ، وسياج الرئاسة :

كتاب صغير في شرح عهد مالك الاشتر لا يقاس بغيره من الشروح إذ انه مقتصر على إيضاح بعض الكلمات ، وقد انتزعه احمد محمد (كاتب

---

(١) الذريعة : ١٣ / ٣٧٥ .

(٢) انظر مقدمة العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني لكتاب (الراعي والرعية) .

(٣) الذريعة : ١٣ / ٣٧٤ .

(٤) الذريعة : ١٣ / ٣٧٣ .

(٥) الذريعة ١٣ / ٣٧٤ . ومقدمة السيد الشهرستاني للراعي والرعية .

مكتبة الازهر سابقاً) من شرح الشيخ محمد عبده « على النهج » وطبعه على حده ، وقال في تقديمه : وبعد فلما كانت وظيفتي الأشتغال بالكتابة في مكتبة الجامع الازهر الشريف من شأنها اني اطلع على معظم ما في المكتبة من الاسرار الجليلة ، وأتصفح كثيراً من كتبها المفيدة فبينما أطالع في كتاب منها اذ اعثرني حسن حظي على عهد جليل لفارس حلبة البيان امير المؤمنين ، وخليفة رسول الله رب العالمين سيدنا علي بن ابي طالب كرم الله وجهه إلى الاشتر النخعي لما ولاه على مصر حين اضطرب امر محمد بن ابي بكر ، ورأيت انه جمع امهات السياسة ، واصول الادارة ، في قواعد حوت من فصاحة الكلم ، وبلاغة الكلام ، وحسن الاسلوب ، ما لا يمكن لعاجز مثلي ان يصفه ، فدهشت جداً لما لم اجد لهذا الكتاب تداولا على السنة المتكلمين بالعربية ، خصوصاً ، المشتغلين بتعلمها من طلبة الازهر ، والمدارس الاخرى ، مع انه كان من الواجب ان مثل هذا الكتاب يحفظ في الصدور ، لا في السطور ...» الخ .

وقد وهم من نسب هذا الكتاب للشيخ محمد عبده وقد طبع بالمكتبة الادبية بمصر سنة ١٣١٧هـ .

١٥ ـ القانون الاكبر في شرح عهد الامام للاشتر :

من مؤلفات الخطيب البارع السيد مهدي السويج ، مخطوط .

١٦ ـ مع الامام علي في عهده لمالك الاشتر .

للعلامة الشيخ محمد باقر الناصري قال في مقدمته : « لما كان العهد من الوثائق التاريخية المهمة ، وهو بمثابة ثورة اصلاحية ، لسير القادة والولاة مع شعوبهم ، ومن تحت ايديهم ، ولرسم الطريق ، وتجديد العلائق بين الفئتين ، وكان من لاهمية القصوى ان يوضع امام مسيرة البشرية ، وتمكن الاجيال

من تدارسه ، والانتفاع بمضامينه ليودي دوره في مجال البناء والتوجيه بادرت لضبط العهد ، وشرح بعض معانيه مع تسجيل جوانب ملأت نفسي .. » الخ

والكتاب كبير الفائدة مع صغر حجمه طبع في بيروت سنة ١٣٩٣ هـ .

هذا مضافاً إلى ما تعرض له عامة شراح (نهج البلاغة) بشروح مبسوطة ومختصره كل بحسب طريقته في شرح (نهج البلاغة) ولو انها انتزعت من تلك الشروح لكانت عدة مجلدات .

وقد نظم العهد المذكور في غير واحدة من اللغات فقد نظمه بالفارسية الميرزا وقار الشاعر الشيرازي المتوفي سنة (١٢٧٤) وقد طبع بشيراز ونظمه الفاضل محمد جلال الدين باللغة التركية .

مصادر عهد مالك واسانيده

لقد روى هذا العهد قبل الشريف الرضي رحمه الله الشيخ الثقة الجليل ابو محمد الحسن بن علي بن شعبة المتوفي سنة ٣٣٢ هـ. في (تحف العقول) باب ما روي عن امير المؤمنين عليه السلام ص ١٢٦ تحت عنوان « عهده عليه السلام إلى الاشتر حين ولاه مصر واعمالها » وذكر العهد بزيادة بعض الفقرات ، واختلاف في بعض الالفاظ مما يدل على ان الشريف الرضي رحمه الله نقل ما اختاره من هذا العهد عن غير هذا الكتاب .

كما روى منه القاضي النعمان في كتاب (دعائم الاسلام) : ١ — ٣٥٠ ؟

ورواه النويري في (نهاية الارب) ج ٦ ص ١٩ باختلاف بسيط جداً ولكنه يدل على انه منقول عن غير (نهج البلاغة) ومهد له النويري بقوله : « ولم ار فيما طالعته في هذا المعنى (يعني وصايا الملوك) اجمع في الوصايا ولا اشمل من عهد كتبه علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى مالك بن

الحارث الاشتر حين ولاه مصر فاحببت ان اورده على طوله وآتي على جملته وتفصيله لان مثل هذا العهد لا يهمل ، وسبيل فضله لا يجهل » .
ثم ذكر العهد .

واما اسانيد هذا العهد فقد ذكر الشيخ النجاشي اعلى الله مقامه في فهرسته ص ٦ عند ذكر الاصبغ بن نباتة المجاشعي قال : كان من خاصة امير المؤمنين عليه السلام ، وعمر بعده روى عنه عهد مالك الاشتر الذي عهد اليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر ووصيته إلى محمد ابنه ؛ ثم ذكر سند العهد فقال :

اخبرنا ابن الجندي عن علي بن همام عن الحميري عن هارون بن مسلم عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الاصبغ بالعهد .

وذكره الشيخ الطوسي رحمه الله في الفهرست ص ٦٢ عند ذكره للاصبغ ابن نباتة رحمه الله فقال : كان الاصبغ بن نباتة من خاصة امير المؤمنين عليه السلام وعمر بعده وروى عهد مالك الاشتر الذي عهده اليه امير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر وروى وصيته إلى ابنه محمد بن الحنفية ، اخبرنا بالعهد ابن ابي جيد عن محمد بن الحسن عن الحميري عن هارون بن مسلم والحسن بن طريف عن الحسين بن علوان الكلبي عن سعد ابن طريف عن الاصبغ بن نباتة عن امير المؤمنين عليه السلام .

وانت عند المقارنة بين السندين ترى كيف يلتقيان في طريق واحد .
كما روى ابن عساكر في (تاريخ دمشق) في المجلد الثاني عشر من مخطوطة الظاهرية طريقاً لهذا العهد ينتهي إلى مهاجر العامري قال كتب علي بن ابي طالب عهداً لبعض اصحابه على بلد فيه : فلا تطولن حجابك عن رعيتك.. الخ

٥٤ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى طلحة والزبير ، مع عمران بن الحصين الخزاعي[١] ذكره أبو جعفر الاسكافي في « كتاب المقامات في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام » .

أَمَّا بَعْدُ : فَقَدْ عَلِمْتُمَا وَإِنْ كَتَمْتُمَا أَنِّي لَمْ أُرِدِ ٱلنَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَإِنَّ ٱلْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ ، وَلاَ لِعَرَضٍ حَاضِرٍ[٢] ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى ٱللهِ مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ ، بِإِظْهَارِكُمَا ٱلطَّاعَةَ ، وَإِسْرَارِكُمَا ٱلْمَعْصِيَةَ .

---

(١) عمران بن الحصين الخزاعي صحابي ، اسلم عام خيبر ، وشهد بعض المشاهد بعدها ، ويقال : انه كان حامل راية خزاعة يوم الفتح ، وبعثه عمر إلى البصرة ليفقه الناس ، واستقضاه عبد الله بن عامر او زياد فمكث يسيراً ثم استعفى فأعفاه ، وللبصريين في زمانه تعلق به وغلو في فضله حتى حلف الحسن البصري انه ما قدم البصرة خير منه ، ويزعمون ان الحفظة تكلمه ، وانه مجاب الدعوة ، ولعل السر في ذلك اعتزاله وعدم قتاله مع امير المؤمنين عليه السلام ، توفي في البصرة .

(٢) وتروى لحرص حاضر ، والعرض – بالتحريك او بفتح فسكون – المتاع وما سوى النقدين من المال ، ويريد عليه السلام انهم لم يبايعوه طمعاً في مال .

وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ ٱلْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَٱلْكِتْمَانِ ، وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ .

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ؛ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِقَدْرِ مَا ٱحْتَمَلَ(1) . فَٱرْجِعَا أَيُّهَا ٱلشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا ، فَإِنَّ الآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا ٱلْعَارُ ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ ٱلْعَارُ وَٱلنَّارُ ؛ وَٱلسَّلَامُ .

قد كفانا الرضي رحمه الله تعالى مؤونة البحث عن مصدر هذا الكتاب .

وابو جعفر الاسكافي : هو محمد بن عبد الله من اكابر علماء المعتزلة ومتكلميهم صنف سبعين كتاباً في الكلام ومن كتبه كتاب (المقامات في مناقب امير المؤمنين عليه السلام) وهو الذي نقض كتاب (العثمانية) على ابي عثمان الجاحظ في حياته بكتاب (نقض العثمانية) وقد لخص الكتابين ابن ابي الحديد في شرحه على (نهج البلاغة) في المجلد الثاني : ص ٢٥٣ — ٢٨٢ وتوفي الاسكافي سنة ٢٤٠ ، وكان يقول بالتفضيل على قاعدة معتزلة بغداد (٢) .

---

(١) اي جعلت الحكم بيني وبينكما من تخلف عني وعنكما من اهل المدينة اي الجماعة الذين قعدوا على نصرة الطرفين كسعد وابن عمر واسامة بن زيد ، فان حكموا قبلنا حكمهم ، ثم ألزمت الشريعة كل واحد بقدر مداخلته في قتل عثمان .

(٢) شرح نهج البلاغة م ٤ ص ١٥٩ والكنى والألقاب .

ويضاف إلى ذلك ان من رواته قبل الرضي ابن اعثم الكوفي في تاريخه ص ١٧٣ [١] ، وابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ١ — ٧٠ .

٥٥ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاويـــة

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ ٱلدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، وَٱبْتَلَىٰ فِيهَا أَهْلَهَا ؛ لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ، وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ، وَلاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا ، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَىٰ بِهَا ، وَقَدِ ابْتَلاَنِي ٱللهُ بِكَ وَٱبْتَلاَكَ بِيْ : فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَىَ ٱلْآخَرِ ،فَعَدَوْتَ عَلَىٰ طَلَبِ ٱلدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ ٱلْقُرْآنِ[٢] ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ ٱلشَّامِ بِي ، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ ، فَاتَّقِ ٱللهَ فِي نَفْسِكَ ، وَنَازِعِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[٣] ، وَٱصْرِفْ إِلَىٰ الآخِرَةِ وَجْهَكَ

---

(١) انظر كتاب (خمسون ومائة صحابي مختلق) للسيد المرتضى العسكري :ج١ ص ١١٣ .

(٢) عدوت : وثبت ، وتروى فعدوت ، ومراده بتأويل القرآن ما كان معاوية يموه به على اهل الشام فيقول : انا ولي عثمان واحق الناس بالمطالبة بدمه وقد قال الله تعالى : « ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً » . وعصبته : ربطته ، وألب – بتشديد اللام – : حرض .

(٣) القياد : حبل تقاد به الدابة ، ونازعه القياد : لم يسترسل معه .

فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ ، وَٱحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ ٱللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ ٱلْأَصْلَ[1] ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ ؛ فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِٱللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ[2] : لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ ٱلْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ (حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ) .

روى هذا الكتاب السيد في « الطراز » : ج ٢ ص ٣٩٣ مع اختلاف يسير مع رواية الرضي يدل على انه لم ينقله عن « النهج » .

كما روى اول هذا الكتاب الآمدي في (غرر الحكم) : ص ١١٩ في حرف الالف بزيادة هذه الفقرة : « ونعمل فيها لما بعدها » بعد قوله عليه السلام « وانما وضعنا فيها لنبتلى فيها » .

وروى منه قطعة اخرى في ص ٥٦ وزاد بعد قوله عليه السلام : « واصرف إلى الآخرة وجهك » هذه العبارة : « واجعل لله جدك » .

والآمدي وإن تأخر عن الرضي الا ان هذه الزيادة تشعر ان مصدره غير (النهج) .

---

(١) القارعة : البلية ، والمصيبة تمس الأصل : اي تصيبه فتقلعه ، والدابر الآخر .

(٢) اولى : اي اقسم ، والألية : اليمين ، والباحة : كالساحة وزناً ومعنى .

٥٦ - ومن وصيّة له عليه السّلام

وصىَّ بها شريح بن هانىء[١] ، لمَّا جعله على مقدمته إلى الشام

اتَّقِ ٱللَّهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ الدُّنْيَا ٱلْغَرُورَ ، وَلاَ تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ ، وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتْ بِكَ ٱلْأَهْوَاءُ إِلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الضَّرَرِ[٢] . فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعاً رَادِعاً ، وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَاقِماً قَامِعاً[٣].

رواه قبل الشريف نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ١٢١ بتفاوت يسير وزاد على ما رواه الرضي بعد قوله عليه السلام : (مانعاً) من الظلم والعدوان ، فاني قد وليتك هذا الجند ، فلا تستطيلن عليهم ، وان خيركم عند الله اتقاكم ، وتعلم من عالمهم ، وعلم جاهلهم ، واحلم عن سفيههم ، فانك إنما تدرك الخير بالحلم ، وكف الأذى والجهل فلاحظ

(١) تقدم طرف من ترجمة شريح بن هاني في ص ٢٢٣ من هذا الجزء .

(٢) اي ان لم تكف نفسك عن كثير من شهواتك افضت بك إلى كثير من الضرر .

(٣) النزوات : الوثبات ، والحفيظة : الغضب ، والواقم فاعل من وقمته اي رددته اقبح الرد وقهرته .

٥٧ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى اهل الكوفة ، عند مسيره من المدينة إلى البصرة

أَمَّا بَعْدُ : فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هٰذَا[١] ، إِمَّا ظَالِماً ، وَإِمَّا مَظْلُوماً ، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِياً عَلَيْهِ ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللّٰهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا[٢] لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ ، فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي ، وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً اسْتَعْتَبَنِي .

بلغ امير المؤمنين عليه السلام وهو في طريقه إلى البصرة : ان ابا موسى الاشعري – وكان والي الكوفة – يثبط الناس عن نصرته لما ندبهم لحرب اصحاب الجمل فلما نزل الربذة [٣] أرسل اليه عبد الله بن عباس ومحمد بن ابي بكر ، يأمره بأن يعتزل العمل ، ويتوعده ان امتنع ، فأبطأ ابن عباس وابن ابي بكر عنه عليه السلام فلما نزل ذاقار بعث الحسن عليه السلام

---

(١) الحي : موطن القبيلة او منزلها .

(٢) لما ههنا بمعنى الا كقوله تعالى : (ان كل نفس لما عليها حافظ) .

(٣) الربذة – بفتح اوله وثانيه وذال معجمة – : قرية تقع عن يمين الذاهب من جدة إلى المدينة المنورة ، على بعد ١٤٦ كيلومتر عن المدينة ، وتعرف اليوم بالواسطة باسم بئر حفر هناك وبها قبر ابي ذر الغفاري رضوان الله عليه ، وهو قريب جداً من الطريق المبلط وقد زرته هذه السنة (١٣٨٩) صحبة الاخ العلامة الشيخ محمد باقر الناصري وجماعة من الحجاج الكرام ويقع القبر الشريف في مقبرة القرية ويتميز عن سائر القبور باحجار مستديرة حوله وهذه الاحجار بقية انقاض القبة التي كانت مشيدة عليه إلى وقت غير بعيد ، وعند رجليه قبران والظاهر ان احدهما لولده والآخر لزوجته فرجائي ممن يطلع على تعليقتي هذه ان يتنبه لذلك وينبه غيره من الحجاج والمعتمرين كي لا تفوتهم زيارة هذا الصحابي الجليل .

عليه السلام وعمار بن ياسر ، وزيد بن صوحان [1] وقيس بن سعد بن عبادة ومعهم الكتاب الذي ذكره الشريف الرضي رحمه الله في هذا الموضع.

روى ذلك ابو مخنف لوط بن يحيى الازدي المتوفى سنة (١٧٥) ، ويراجع في تفصيل القضية (تاريخ الطبري) ج ٦ ص ٣١٧٣ ط ليدن حوادث سنة ٣٦ ، و (شرح نهج البلاغة) لابن ابي الحديد : م ٣ — ٢٩١ .

ويظهر من رواية الطبري : ان هذه الرسالة كانت شفوية بلغها الحسن عليه السلام اهل الكوفة عن امير المؤمنين صلوات الله عليه .

٥٨ - ومن كتاب له عليه السلام

كتبه إلى اهل الامصار ، يقصُّ فيه ما جرى بينه وبين أَهل صفين :

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ ؛

---

(١) زيد بن صوحان العبدي هو اخو صعصعة وسيحان ابني صوحان له صحبة وكان من الابدال ، ومن خواص اصحاب امير المؤمنين عليه السلام ، روي ان ام المؤمنين عائشة كتبت اليه لما توجهت إلى البصرة : « من عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم إلى ابنها زيد بن صوحان الخالص ، اما بعد : اذا اتاك كتابي هذا فاجلس في بيتك وخذل الناس عن علي بن ابي طالب حتّى يأتيك امري » فلما قرأ كتابها قال : امرت بأمر ، وامرنا بغيره فركبت ما امرنا به ، وامرتنا ان نركب ما امرت هي به ، امرت ان تقر في بيتها ، وامرنا ان نقاتل حتّى لا تكون فتنة ، ثم قال : امرك غير مطاع ، وكتابك غير مجاب والسلام » .

شهد زيد وقعة الجمل مع امير المؤمنين عليه السلام واستشهد يومئذ ، وروي : انه لما صرع جلس امير المؤمنين عليه السلام عند رأسه وقال : رحمك الله يا زيد قد كنت خفيف المؤونة ، عظيم المعونة .

وروي في (الاستيعاب) و (الاصابة) و (اسد الغابة) في ترجمته : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان في مسير له اذ هوم فجعل يقول : « زيد وما زيد » وسئل عن ذلك فقال صلى الله عليه وآله وسلم : « تسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها سائر جسده » فقطعت يده يوم نهاوند واستشهد يوم الجمل رحمه الله .

وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ[1] . وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ ، وَدَعْوَتَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ ،لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي ٱلْإِيمَانِ بِٱللهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا: ٱلْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا ٱخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءُ ! فَقُلْنَا : تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ ٱلْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ الثَّائِرَةِ[2] وَتَسْكِينِ ٱلْعَامَّةِ ، حَتَّى يَشْتَدَّ ٱلْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ ٱلْحَقِّ مَوَاضِعَهُ ، فَقَالُوا : بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ ! فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ ٱلْحَرْبُ وَرَكَدَتْ ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِسَتْ . فَلَمَّا ضَرِسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ[3] ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ ، أَجَابُوا عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى ٱلَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا ، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا ، حَتَّى ٱسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْحُجَّةُ ، وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمُ ٱلْمَعْذِرَةُ . فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ ٱلَّذِي أَنْقَذَهُ ٱللهُ مِنَ ٱلْهَلَكَةِ ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ ٱلرَّاكِسُ[4] ٱلَّذِي

---

(١) الظاهر انه لم يحكم لهم بالاسلام الا بالظاهر .

(٢) الثائرة : اسم فاعل من (ثارت الفتنة تثور) وتروي : «النائرة» وحمشت : استقرت .

(٣) ضرستنا : عضتنا بأضراسها .

(٤) الراكس : الذي قلب عهده ونكثه .

رَانَ ٱللهُ عَلَى قَلْبِهِ ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ ٱلسَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ .

سنتعرض لذكر هذا الكتاب في آخر باب الحكم إن شاء الله تعالى .

٥٩ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى الأسود بن قَطيبة صاحب جند حُلوان[١]

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ ٱلْوَالِيَ إِذَا ٱخْتَلَفَ هَوَاهُ[٢] مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيراً مِنَ ٱلْعَدْلِ ، فَلْيَكُنْ أَمْرُ ٱلنَّاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ ، فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ[٣] ، وَٱبْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ ، وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلاَّ كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ[٤] ، وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً ، وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ ، وَٱلاحْتِسَابُ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ[٥] ،

---

(١) حلوان – بضم فسكون – من اعمال فارس .

(٢) اختلاف الهوى جريانه مع الاغراض النفسية حيث تذهب .

(٣) اي ما لا تستحسن مثله من غيرك .

(٤) الفرغة : المرة الواحدة من الفراغ .

(٥) الاحتساب على الرعية : مراقبة اعمالها واصلاح ما فسد منها .

فَإِنَّ ٱلَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ ، والسَّلاَمُ .

نقله السيد في (الطراز) ج ١ ص١٧٠ باختلاف يسير جداً نذكره لك لتعلم انه لم ينقله عن (نهج البلاغة) فانه روى « راجيا لثوابه » كما انه روى « واعلم ان الدار دار بلية » وروى « فانه لن يغنيك » فقارن بين ما في روايته ورواية الرضي إذا شئت

٦٠ – ومن كتاب له عليه السلام

إلى العمال الذين يطأ الجيش عملهم١

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ ٱلْخَرَاجِ وَعُمَّالِ ٱلْبِلاَدِ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ، وَقَدْ أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ للهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ ٱلْأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى٢ ، وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَىٰ ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ ٱلْجَيْشِ٣ إِلاَّ مِنْ جَوْعَةِ ٱلْمُضْطَرِّ لاَ يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَىٰ شِبَعِهِ فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ

(١) اي يمر بهم ، وجباة الخراج الذين يجمعونه .
(٢) الشذى : الشر والضرر .
(٣) المعرة : المضرة .

ظُلْمِهِمْ[1] ، وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَارَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا ٱسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ[2] وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ ٱلْجَيْشِ[3] فَٱرْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ ، لاَ تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلاَّ بِٱللهِ وَبِي ، فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ ٱللهِ ؛ إِنْ شَاءَ .

روى مثل هذا الكتاب نصر بن مزاحم في كتاب (صفين) ص ١٢٥ مع زيادة و ختلاف في بعض الفقرات .

٦١ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى كميل بن زياد النخعي ، وهو عامله على هيت ، ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالباً الغارة :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ تَضْيِيعَ ٱلْمَرْءِ مَا وُلِّيَ ، وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ[4] ، لَعَجْزٌ حَاضِرٌ وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ ، وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ ٱلْغَارَةَ

---

(١) نكلوا : اي : عاقبوا .

(٢) الذي استثناه : هو حالة الاضطرار .

(٣) اي : انا قريب منكم .

(٤) اي : اهمال الوالي ما وليه وتكلفه ما لا يطلب منه عجز عن القيام بما تولاه ، والمتبر - كمعظم - الهالك .

عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسيَا[1] ، وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ ٱلَّتِي وَلَّيْنَاكَ ، لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلاَ يَرُدُّ ٱلْجَيْشَ عَنْهَا ، لَرَأْيٌ شَعَاعٌ ؛ فَقَدْ صِرْتَ جِسْراً لِمَنْ أَرَادَ ٱلْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَىٰ أَوْلِيَائِكَ غَيْرَ شَدِيدِ ٱلْمَنْكِبِ[2] وَلاَ مَهِيبِ ٱلْجَانِبِ ، وَلاَ سَادٍّ ثُغْرَةً ، وَلاَ كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً ، وَلاَ مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ[3] ، وَلاَ مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ .

قال ابن ابي الحديد : « كان كميل بن زياد [4] عامل علي عليه السلام على هيت وكان ضعيفاً (كذا) تمر عليه سرايا معاوية تنهب اطراف العراق ولا يردها ويحاول ان يجبر ما عنده من الضعف بأن يغير على اطراف اعمال معاوية مثل قرقيسيا ، فأنكر عليه السلام ذلك من فعله » .

---

(١) قرقيسيا – بكسر القافين بينهما ساكن – بلد في سوريا عند ملتقى الخابور بالفرات وكان دورها خطيراً في الحركة التجارية بين العراق والشام ، والمسالح جمع مسلحة وهي المواضع التي يقام بها طائفة من الجند لحماية الحدود ، ورأى شعاع – بالفتح – متفرق .

(٢) شدة المنكب : كناية عن القوة والمنعة ، والثغرة : الفرجة يتسلل منها العدو .

(٣) اغنى عنه : ناب منابه ، واجزى عنه قام مقامه .

(٤) كميل بن زياد النخعي التابعي الشهير ، ادرك من الحياة النبوية ثماني عشرة سنة وروى عن عمر وعلي وابن مسعود وغيرهم وروى عنه عبد الرحمن بن عابس وابو اسحاق السبيعي والاعمش وغيرهم ، شهد صفين مع علي عليه السلام ، وكان شريفاً مطاعاً ثقه ، وثقه ابن معين وجماعة وكان من رؤساء الشيعة ، قتله الحجاج سنة (٨٢) . دخل الهيثم بن الاسود على الحجاج فقال له : ما فعل كميل بن زياد ؟ قال : شيخ كبير في البيت ، قال : اين هو ؟ قال : ذاك شيخ كبير خرف ، فدعاه فقال له انت صاحب عثمان ؟ قال : ما صنعت بعثمان ؟ لطمني فطلبت القصاص فاقادني فعلوت ، قال : لقد احببت ان اجد عليك سبيلا فقال : انه ما بقي من عمري الا القليل (فاقض ما انت قاض) فان الموعد الله ، وقد اخبرني امير المؤمنين علي : انك قاتلي ، قال : بلى قد كنت فيمن قتل عمر ، اضربوا عنقه ، فضربت عنقه (انظر الاصابة ٣/ ٣٠٠) .

وقد روى هذا الكتاب البلاذري في « انساب الاشراف » ص ٤٧٣ ط : الاعلمي بأخصر من رواية الرضي .

٦٢ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى أهل مصر ، مع مالك الاشتر لما ولاه إمارتها

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيراً لِلْعَالَمِينَ ، وَمُهَيْمِناً عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ[١] فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تَنَازَعَ ٱلْمُسْلِمُونَ ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَٱللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[٢] وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ ٱلْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ! فَمَا رَاعَنِي إِلَّا ٱنْثِيَالُ ٱلنَّاسِ عَلَى فُلَانٍ[٣]

(١) المهيمن : الشاهد ، وهو صلى الله عليه وآله وسلم شاهد بنبوة المرسلين قبله ، واصل اللفظة من امن غيره من الخوف ، لأن الشاهد يؤمن غيره من الخوف بشهادته ، ثم تصرفوا فيها فأبدلوا احدى همزاتي مؤامن ياء فصارت مؤيمن ثم قبلوا الهمزة هاء كـارقت وهرقـت فصارت مهيمن .

(٢) الروع – بضم الراء – : القلب ، او موضع الروع – بفتح الراء – منه ، اي ما كان يقذف في قلبي ، وتزعج الامر : تنقله .

(٣) انثيال الناس : انصبابهم من كل وجه كما ينثال التراب ، وفلان : ابو بكر ، قال ابن ابي الحديد : وهكذا لفظ الكتاب الذي كتبه للاشتر ، وانما الناس يكتبونه فلان تذمماً من ذكر الاسم كما يكتبون في اول الشقشقية : « ام والله لقد تقمصها فلان » واللفظ : « اما والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة » .

أقول : ولذا اخترنا رواية نسخة ابن ابي الحديد عند نقل الشقشقية .

يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي[1] حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ ٱلْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ ٱلْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً[2] ، أَوْ هَدْماً تَكُونُ ٱلْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وَلَايَتِكُمُ ٱلَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ ٱلسَّحَابُ ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ ٱلْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ ٱلْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَٱطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ .

ومنه : إِنِّي وَٱللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِلَاعُ ٱلْأَرْضِ كُلِّهَا[3] مَا بَالَيْتُ وَلَا ٱسْتَوْحَشْتُ ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمْ

---

(١) امسكت يدي : كففتها عن العمل .

(٢) شبه احد العلماء إمساك علي عليه السلام عن المطالبة بحقه بالقضية التي رفعت اليه عليه السلام وهي : ان امرأتين تنازعتا طفلا ، كل تقول : هو ابني ، ولم تكن لواحدة منهما بينة ، فاراد ان يظهر جلية الامر فدعا بالسيف وقال : ليقطع الطفل شقين فتعطى كل واحدة منهما شقاً ، فأنكرت احداهما بنوته ، ورضيت الثانية بذلك ، فاعطاه للأولى ، واظهر ان من انكرت بنوته هي امه ، لان الوالدة قد ترضى بفراق ولدها ولا ترضى بقتله ، وكذلك الحال لوكان المتداعيان رجلين ، فلا جرم ان الاب ينكر بنوة ولده ولا تطيب نفسه بقتله ، قال : فعلي عليه السلام ابو الدين فلما رأى السيف مشحوذا لذبحه ولم ير سبيلا لنجاته الا ان يكف عن ادعائه كف عنه وقال : انه ليس بابني ، ليبقى هذا الوليد حياً .

(٣) الطلاع ككتاب : ملء الشيء .

ٱلَّذي هُمْ فيهِ وَٱلْهُدٰى ٱلَّذي أَنَا عَلَيْهِ لَعَلىٰ بَصيرَةٍ مِنْ نَفْسي وَيَقينٍ مِنْ رَبّي ، وَإِنّي إِلىٰ لِقاءِ ٱللهِ لَمُشْتاقٌ وَحُسْنِ ثَوابِهِ لَمُنْتَظِرٌ راجٍ ، وَلٰكِنَّني آسىٰ أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ سُفَهاؤُها وَفُجّارُها[1] فَيَتَّخِذُوا مالَ ٱللهِ دُوَلاً ، وَعِبادَهُ خَوَلاً ، وَالصّالِحينَ حَرْباً ، وَٱلْفاسِقينَ حِزْباً فَانَّ مِنْهُمُ ٱلَّذي قَدْ شَرِبَ فيكُمُ ٱلْحَرامَ[2] وَجُلِدَ حَدّاً فِي ٱلْاسْلامِ ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتّىٰ رُضِخَتْ لَهُ عَلَىٰ ٱلْاسْلامِ الرَّضائِخُ[3] ، فَلَوْلاَ ذٰلِكَ ما

---

(١) آسى : احزن ، والخول العبيد والاماء ، والحرب : المحاربون .

(٢) قال الشيخ محمد عبده : يريد الخمر : والشارب قالوا عتبة بن ابي سفيان حده خالد بن عبد الله في الطائف ، قال : وذكروا رجلا آخر لا اذكره اهـ .

والرجل الآخر الذي لم يذكره الشيخ هو الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، ولا ادري لم تحرج الشيخ عن التصريح باسمه وشربه للخمر ، وصلاته الصبح بأهل الكوفة اربعاً وهو سكران ، وحد علي عليه السلام له لما قامت عليه البينة بمحضر عثمان ، وحاله في الشناعة التي تقطع على سوء حاله ، وقبح افعاله – كما قال ابن عبد البر في (الاستيعاب) – اشهر من ان يتستر عليه الشيخ رحمة الله عليه ، وما اشبه قول الشيخ بقول ابن الاثير في مقدمة (الكامل) فانه قال – بعد ان ذكر ما اضافه إلى تاريخ الطبري مما ليس فيه – « ووضعت كل شيء منها موضعه الا فيما يتعلق بما جرى بين اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاني لم اضف إلى ما ذكره ابو جعفر شيئاً الا ما فيه زيادة بيان ، او اسم انسان ، او ما لا يطعن على احد منهم في نقله »اهـ.

ولا ادري لماذا تكتم الحقائق ، او تحرف الكلم عن مواضعها ، او تذكر الامور غير وجهها؟

(٣) الرضائخ : العطايا .

أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ[1] وَتَأْنِيبَكُمْ ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذَا أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ .

أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ ٱنْتَقَصَتْ[2] ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ ٱفْتُتِحَتْ ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى ، وَإِلَى بِلاَدِكُمْ تُغْزَى ، ٱنْفِرُوا - رَحِمَكُمُ ٱللّٰهُ - إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ وَلاَ تَثَاقَلُوا إِلَى ٱلْأَرْضِ فَتَقِرُّوا بِالْخَسْفِ ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ[3] ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ ٱلْأَخَسَّ ، وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلْأَرِقُ[4] ، وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ ، وَالسَّلاَمُ .

تقدم في مصادر الخطبة برقم(٢٦): ان جماعة من اصحاب امير المؤمنين عليه السلام طلبوا منه ان يبين رأيه فيمن تقدم عليه ، وذلك بعد فتح عمرو بن العاص لمصر ، وقتل محمد بن ابي بكر ، فقال لهم عليه السلام : هل فرغتم لهذا وهذه مصر قد افتتحت وشيعتي قد قتلت ؟ ثم قال : واني مخرج اليكم كتاباً اخبركم عما سألتم ، وأسألكم ان تحفظوا من حقي ما ضيعتم ، ثم اخرج اليهم كتاباً فيه اكثر ما ذكره الرضي في هذا الموضع ، وقد ذكرنا مصادره هنالك[5]، فما ذكر في صدر هذا الكتاب انه عليه السلام كتبه الى اهل مصر مع مالك الاشتر رحمه الله إما ان يكون عليه السلام كتبه اولا

---

(١) التأليب : التحريض ، والتأنيب : اللوم .
(٢) انتقصت : اي استولى العدو عليها .
(٣) الخسف : الضيم وتبوئوا بالذل : تعودوا به .
(٤) الارق - بفتح فكسر - الساهر ، وصاحب لا ينام : الذي لا ينام اعداؤه عنه .
(٥) انظر الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٣٩٠ - ٩٢٣ .

لأهل مصر ليقرأ عليهم فلما سأله اهل العراق اخرج اليهم منه فقرأ عليهم واضاف اليه ما تجدد بعد ذلك من الاحداث ، واما يكون وهماً سابقاً للرضي عليه الرحمة فنقله كما وجده ، وفي قول ابن ابي الحديد الذي ذكرناه في حواشي هذا الكتاب ص ٤٤٤ دلالة على انه قد رآه مكتوباً مع الاشتر .

وهذا لا يضر بعد ان اثبتنا مصادره عن كتب تقدمت على الرضي بزمان طويل .

٦٣ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى ابي موسى الاشعري ، وهو عامله على الكوفة ، وقد بلغه عنه تثبيطه الناس على الخروج إليه[1] لما ندبهم لحرب اصحاب الجمل :

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَٱرْفَعْ ذَيْلَكَ[2] وَٱشْدُدْ مِئْزَرَكَ ، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَٱنْدُبْ مِنْ مَعَكَ . فَإِنْ حَقَّقْتَ

---

(١) التثبيط : الترغيب في القعود ، والتعويق عن المراد .

(٢) هذه الجملة وما بعدها كناية عن التشمير للجهاد وكنى عن حجره بمقره غضاً منه واستهانة به ولو اراد اعظامه لقال : اخرج من غيلك كما يقال للاسد ولكنه جعله ثعلباً او ضباً . واندب : ادع من معك ، (فان حققت) : اخذت بالحق . فانفذ — : اي سر الينا . واراد بتفشلت : ضعفت وتراخيت .

فَانْفُذْ ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَابْعُدْ ! وَأَيْمُ ٱللهِ لَتُؤْتَيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلاَ تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ[1] وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ ، وَحَتَّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ[2] وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ ، وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَا ٱلَّتِي تَرْجُو[3] ، وَلٰكِنَّهَا ٱلدَّاهِيَةُ ٱلْكُبْرَى يُرْكَبُ جَمَلُهَا ، وَيُذَلُّ صَعْبُهَا ، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا . فَاعْقِلْ عَقْلَكَ[4] وَامْلِكْ أَمْرَكَ ، وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ . فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَلاَ فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ[5] حَتَّى لاَ يُقَالَ : أَيْنَ فُلاَنٌ ؟ وَٱللهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ ، وَمَا أُبَالِي مَا صَنَعَ ٱلْمُلْحِدُونَ ؛ وَالسَّلاَمُ .

ابو موسى الاشعري : عبد الله بن قيس اسلم عام خيبر واستعمله رسول

---

(١) الخاثر : اللبن الغليظ ، وهو تمثيل لتردده في نصرة امير المؤمنين عليه السلام واصل المثل : « لا يدري ايخثر ام يذيب ؟ » واصله : ان المرأة تسلأ السمن (اي تذيبه) فيختلط خاثره برقيقه فلا يصفو فتحار لذلك ان أوقدت النار حتى يصفو احترق وان تركته بقي كدراً .

(٢) القعدة : هيئة القعود ، واعجله عن الأمر حال دون ادراكه ، والمعنى : عليك الامر حتى يحال بينك وبين جلستك في الولاية .

(٣) الهوينا : تصغير الهونى – بالضم – مؤنث اهون .

(٤) اي قيده بالعزيمة ولا تدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف .

(٥) رحب المكان رحباً – بالضم – : اي اتسع فهو رحب بالفتح ، وقوله عليه السلام : « فبالحري ... الخ » : معناه جدير ان نكفيك القتال ونظفر وانت نائم خامل لا يسأل عنك .

الله ﷺ على زبيد وعدن ثم استعماه عمر على البصرة بعدعزل المغيرة بن شعبة — لما اتهم بما اتهم به — واقره عثمان عليها بعد مقتل عمر ثم عزله واستعمل بعده ابن عامر فانتقل إلى الكوفة فلم يزل بها حتى اخرج اهل الكوفة سعيد بن العاص ، وطلبوا من عثمان ان يستعمله عليهم فاستعمله ، فلم يزل على الكوفة حتى قتل عثمان ، فطلب اهل الكوفة من امير المؤمنين عليه السلام ، ان يقره على عمله فأقره على ما يعلمه من دخيلة نفسه حتى كان من امره ما كان من تثبيط الناس عن نصرة امير المؤمنين لما سار لاصحاب الجمل فعزله وولى مكانه قرظة بن كعب الانصاري .

وانحراف ابي موسى عن امير المؤمنين عليه السلام مشهور — كما يقول ابن عبد البر —وما يومه منه بواحد ، وكلمات امير المؤمنين فيه التي رواها غير الشريف كالطبري وابن الاثير والمسعودي وابن ابي الحديد و... تثبت ما ذهب اليه صاحب (الاستيعاب) فلا يستبعد صدور مثل هذا الكتاب عن امير المؤمنين لمثل هذا الرجل ، واني لارجو الله سبحانه ان يوفقني للعثور على نص ما رواه الرضي في هذا الموضع فأثبته فيما يأتي من صحف هذا الكتاب فانه نعم المولى ونعم النصير .

٦٤ – ومن كتاب له عليه السلام

معاويـة جواباً

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ ٱلْأُلْفَةِ وَٱلْجَمَاعَةِ فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ ، وَٱلْيَوْمَ أَنَّا ٱسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ ، وَمَا أَسْلَمَ

مُسْلِمُكُمْ إِلاَّ كُرْهاً[1] ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ ٱلإِسْلاَمِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ حِزْباً .

وَذَكَرْتَ أَنِّي قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ[2] ،وَنَزَلْتُ بَيْنَ ٱلْمِصْرَيْنِ وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلاَ عَلَيْكَ ، وَلاَ ٱلْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ .

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِي فِي ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلأَنْصَارِ ، وَقَدِ ٱنْقَطَعَتِ ٱلْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ[3] ، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ

---

(١) المراد (بمسلمكم) ابو سفيان فانه اسلم قبل فتح مكة بليلة –كما هو معروف– جاء به العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليأخذ له اماناً – وكانت بينهما صداقة – فلما مثل بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال له : يا ابا سفيان الم يئن لك ان تشهد ان لا اله الا الله ؟ قال : بأبي انت وامي ما اكرمك واحلمك لو كان مع الله اله لأغنى عنا يوم بدر ، قال الم يئن لك ان تشهد اني رسول الله ؟ قال : بابي انت وامي اما هذه ففي النفس منها شيء ، فقال له العباس : ويحك اسلم قبل ان تضرب عنقك فاسلم كرهاً وبقي على شكه ولم يدخل الايمان في قلبه وكلماته بعد اسلامه تعرب عن ذلك كشماتته بالمسلمين لما انهزموا يوم حنين قوله لما سمع الضرب على الطاغية صنم ثقيف : واهاً لك ايها لك .

وقوله يوم اليرموك اذا رأى الروم ظهروا على المسلمين : ايه بني الاصفر حتى قال الزبير : قاتله الله يأبى الا نفاقاً . وقوله وقد مر على قبر حمزة بن عبد المطلب ايام عثمان : يا اباعمارة ان الذي قاتلتمونا عليه بالامس اصبح في ايدي غلماننا وقوله يومئذ : تلاقفوها يا بني امية تلاقف الكرة فوالذي يحلف به ابو سفيان ما من جنة ولا نار ، إلى غير ذلك مما رواه علماء السير ومترجموا الرجال .

(٢) سرد به : سمع الناس بعيوبه ، او اطرده وفرق امره .

(٣) اخوه : هو يزيد بن ابي سفيان اسر يوم الفتح في باب الخندمة ، وكان قد خرج في نفر من قريش يمنعون المسلمين من دخول مكة فقتل منهم قوم واسر يزيد والمعنى ليس معك مهاجر ، لان اكثر من معك اسلم بعد الفتح وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا هجرة بعد الفتح » وفي رواية ابن قتيبة (ابوك) وهو تحريف . وفسر الشيخ محمد عبده (اخوك) بعمرو بن ابي سفيان وقال : اسر يوم بدر. وهو وهم لان الهجرة ممنوعة بعد الفتح لا بعد بدر كما مر في الحديث الشريف .

فَٱسْتَرْفِهْ[1] فَإِنِّي إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ ٱللهُ إِنَّمَا بَعَثَنِي إِلَيْكَ لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ ! وَإِنْ تَزُرْنِي فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِي أَسَدٍ :

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ ٱلصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ
بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ[2]

وَعِنْدِي ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ[3] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ وَإِنَّكَ ـ وَٱللهِ ـ مَا عَلِمْتُ[4] الْأَغْلَفُ ٱلْقَلْبِ ، ٱلْمُقَارِبُ ٱلْعَقْلِ ؛ وَٱلْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ : إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّماً أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ ، لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ[5] وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْراً لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ

---

(١) اي فكن ذا رفاهية واسترح ولا ترهقن نفسك بالعجل فلا بد من تلاقينا .

(٢) يقال : ريح حاصب : اي تحمل الحصباء : وهي صغار الحصى ، واغوار جمع غور – بالفتح – : وهو ما سفل من الارض ، والجلمود – بالضم – : الصخر .

(٣) يقال : اعضضته سيفي : ضربته به ، وجده : عتبة بن ربيعة ، وخاله : الوليد بن عتبة ، واخوه : حنظلة بن ابي سفيان قتلهم امير المؤمنين عليه السلام يوم بدر .

(٤) « ما » خبر « إن » : اي انت الذي اعرفه ، والاغلف القلب : الذي لا بصيرة له كأن قلبه في غلاف ، ومقارب العقل : ناقصه ، كأنه يكاد يكون عاقلا وليس به .

(٥) الضالة : مافقدته من مال ونحوه ، ونشد الضالة طلبها ليردها . مثل يضرب لطالب غير حقه ، والسائمة : الماشية .

قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ !! وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ[1] مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ ٱلشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي ٱلْبَاطِلِ عَلَى ٱلْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ ، ﷺ ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيماً ، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيماً بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَا خَلَا مِنْهَا ٱلْوَغَى[2] ، وَلَمْ تُمَاشِهَا ٱلْهُوَيْنَا .

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ ٱلنَّاسُ[3] ، ثُمَّ حَاكِمِ ٱلْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ ٱللهِ تَعَالَىٰ ، وَأَمَّا تِلْكَ ٱلَّتِي تُرِيدُ[4] فَإِنَّهَا خُدْعَةُ ٱلصَّبِيِّ عَنِ ٱللَّبَنِ فِي أَوَّلِ ٱلْفِصَالِ ؛ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

اما الكتاب الذي كتبه معاوية وهذا الكتاب جوابه فهو :

من معاوية بن ابي سفيان إلى علي بن ابي طالب .

اما بعد : فانا بني عبد مناف لم نزل من قليب واحد ، ونجري في حلبة واحدة [5] ليس لبعضنا على بعض فضل ، ولا لقائمنا على قاعدنا فخر ،

---

(١) ما مصدرية : اي وقريب شبهك .

(٢) الوغى : الحرب ، و « لم تماشها » : لم تصاحبها ؛ والهوينا : الرفق والمساهلة

(٣) اي البيعة .

(٤) من ابقائك والياً في الشام ، وتسليمك قتلة عثمان ، والخدعة – مثلثة الخاء – ما يصرف به الصبي عن اللبن وطلبه في اول الفصال : اي الفطام ، وما بين المعقوفين من زيادات نسخة ابن ابي الحديد كما لا يخفى .

(٥) القليب : البئر والمعنى من اصل واحد ، والحلبة الخيل تجتمع للسباق .

كلمتنا مؤتلفة وإلفتنا جامعة ، ودارنا واحدة ، يجمعنا كرم العرق ، ويحوينا ، شرف النجار [1] ويحن قوينا على ضعيفنا ، ويواسي غنينا فقيرنا ، قد خلصت قلوبنا من غل الحسد وطهرت انفسنا من خبث النية ، فلم نزل كذلك حتى كان منك ما كان من الادهان [2] في امر ابن عمك والحسد له ، وتضريب [3] الناس عليه حتى قتل بمشهد منك ، لا تدفع عنه بلسان ولا يد ، فليتك اظهرت نصره ، حيث اسررت ختره [4] ، فكنت كالمتعلق بين الناس بعذر وإن ضعف ، والمتبري من دمه بدفع وان وهن ، ولكنك جلست في دارك تدس اليه الدواهي ، وترسل اليه الافاعي ، حتى إذا قضيت وطرك [5] منه اظهرت شماتة وابديت طلاقة وحسرت للأمر عن ساعدك وشمرت عن ساقك [6] ودعوت الناس إلى نفسك ، واكرهت اعيان المسلمين على بيعتك ، ثم كان منك بعدما كان ، من قتلك شيخي المسلمين ابي محمد طلحة وابي عبد الله الزبير ، وهما من الموعودين بالجنة والمبشر قاتل احدهما بالنار في الآخرة ، هذا إلى تشريدك بأم المؤمنين عائشة وإحلالها محل الهون [7] مبتذلة بين ايدي الاعراب ، وفسقة اهل الكوفة ، فمن بين منتهر لها [8] وبين شامت بها ، وبين ساخر منها ؛ ترى ابن عمك بهذه العوراء [9] راضياً ؟ ام كان عليك ساخطاً ، ولك عنه زاجراً ، ان تؤذي اهله ، وتشرد بحليلته ، وتسفك دماء اهل ملته ؟ ثم تركك دار الهجرة ،

---

(١) العرق : اصل الشيء ، والنجار : الاصل ايضاً .

(٢) الادهان : الغش واظهار خلاف ما يضمر وعنى بابن عمه عثمان .

(٣) التضريب بين الناس : الاغراء .

(٤) الختر : الغدر والخديعة ، او اقبح الغدر .

(٥) الوطر : الحاجة .

(٦) حسر للأمر عن ساعده : كشف عنه وفي معناها شمر عن ساقه وهي كناية عن التأهب والاستعداد .

(٧) المراد بالهون هنا الاذلال .

(٨) انتهره ونهره : زجره .

(٩) العوراء : ما يقبح من القول والفعل .

التي قال رسول الله ﷺ عنها : « ان المدينة لتنفي خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد » [1] فلعمري لقد صح وعده ، وصدق قوله ، ولقد نفت خبثها ، وطردت عنها من ليس بأهل ان يستوطنها فأقمت بين المصرين ، وبعدت عن بركة الحرمين [2] ، ورضيت بالكوفة بدلا من المدينة ، وبمجاورة الخورنق والحيرة [3] عوضاً عن مجاورة خاتم النبوة ، ومن قبل ذلك ما عيبت خليفتي رسول الله ﷺ ايام حياتهما ، فقعدت عنهما ، وألبت عليهما [4] ، وامتنعت من بيعتهما ، ورمت امراً لم يرك الله تعالى له اهلا ، ورقيت سلماً وعراً ، وحاولت مقاماً دحضاً [5] ، وادعيت ما لم تجد عليه ناصراً ، ولعمري لو وليتها حينئذ لما ازدادت الافساداً واضطراباً [6]

---

(١) كير الحداد : منفاخه ، وخبث الحديد : ما نفاه الكير منه وهو ما لا خير فيه وقد علق الاستاذ احمد زكي صفوت على هذا بقوله : « والعجب كل العجب ان يصم علياً بتركه دار الهجرة ، وان يقول له : ان المدينة قد نفتك عنها لانك خبث ، مع ان هذا القول مردود عليه هو ، فقد نفته المدينة عنها منذ ولي الشام من عهد عمر فهو اذن خبث ! وكذلك طلحة والزبير وعائشة الذين خرجوا إلى البصرة والذين يتعصب لهم ، ويحتج بهم والكلام في ذلك طويل نجتزي منه بهذا القدر اليسير » انظر حاشية (جمهرة رسائل العرب) ٢ / ٢١٦ .

(٢) المراد بالمصرين البصرة والكوفة ، وبالحرمين مكة والمدينة .

(٣) الخورنق – بفتح اوله وثانيه وراء ساكنة ونون مفتوحة وآخره قاف : قصر بظهر الحيرة سمي باسم الموضع الذي بني فيه بناه احد ملوك اللخميين في ستين عاماً قيل : بناه رجل من الروم يقال له : سنمار « بكسر السين والنون وتشديد الميم » فكان يبني السنتين والثلاث ويغيب الخمس سنين واكثر من ذلك واقل ، فيطلب فلا يوجد ثم يأتي فيحتج ، فلم يزل يفعل هذا ستين سنة حتى فرغ من بنائه ، فصعد الملك على رأسه ونظر إلى البحر اتجاهه ، والبر خلفه ، والنخل حوله ، فقال : ما رأيت مثل هذا البناء قط ! فقال له سنمار : اني لاعلم موضع آجرة لو زالت لسقط القصر كله ، فقال : ايعرفها احد غيرك ؟ قال : لا ، قال : لا جرم لادعنها ولا يعرفها احد ثم امر به فقذف من اعلى القصر فتقطع فضرب به المثل فقيل : « جزاني جزاء سنمار » . وقيل : قتله خشية ان يبني لغيره مثله وهو الارجح

(٤) التأليب : التحريض .

(٥) مكان دحض – بالفتح ويحرك – زلق .

(٦) الاضطراب : الاختلاف .

ولا عقبت .ولا يتكها الا انتشاراً وارتداداً لانك الشامخ بأنفه ، الذاهب بنفسه [1] ، المستطيل على الناس بلسانه ويده ، وها انا سائر اليك في جمع من المهاجرين والانصار ، تحفهم سيوف شامية ، ورماح قحطانية ، حتى يحاكموك إلى الله .

فانظر لنفسك وللمسلمين ، وادفع إلى قتلة عثمان ، فانهم خاصتك وخلصاؤك ، والمحدقون بك ، فان أبيت الا سلوك سبيل اللجاج ، والاصرار على الغي والضلال ، فاعلم ان هذه الآية انما نزلت فيك وفي اهل العراق معك : « ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فاذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » .

ذكر ذلك ابن ابي الحديد في (شرح نهج البلاغة) عند تعرضه لشرح هذا الكتاب . وفي ذكره لكتاب معاوية دليل على انه رأى كتاب معاوية وجواب علي عليه السلام له في مصدر غير «نهج البلاغة» .

وقد رواه ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ٧٠ مختصراً كما رواه بعد الرضي الطبرسي في (الاحتجاج) ج١ ص ٢٦٣ .

وعلق الاستاذ احمد زكي صفوت على هذا الكتاب بقوله « وانت اذا تدبرت هذا الكتاب وجدت اساوبه مغالطة في الصاق هذه التهمة بعلي ، فان علياً لم يقتل طلحة والزبير ، وأنها قتلا في خروجهما عليه ولم يشرد بعائشة بل هي شردت بنفسها ، وخرجت إلى البصرة للطلب بدم عثمان فتعرضت لما نالها ، على ان علياً بعد ان هزم اصحابها أمر أخاها محمد بن ابي بكر ان يضرب عليها قبة ، وقال : انظر هل وصل اليها من جراحة فوجدها سليمة لم تصب بشيء - إلى ان قال - ثم جهزها بكل ما ينبغي لها من مركب او

---

(١) ذهب بنفسه : اي تمادى في الكبرياء والعجب .

زاد او متاع ، واختار لها اربعين امرأة من نساء اهل البصرة المعروفات يرافقنها إلى المدينة ، وقال : تجهز يا محمد فبلغها ... الخ »[1] .

٦٥ — ومن كتاب له عليه السلام

إليه ايضاً

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ ٱلْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ ٱلْأُمُورِ ٢ فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ ٱلْأَبَاطِيلَ ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ ٱلْمَيْنِ وَٱلْأَكَاذِيبِ ٣ ، وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ ٤ ، وَٱبْتِزَازِكَ لِمَا ٱخْتُزِنَ دُونَكَ ، فِرَاراً مِنَ ٱلْحَقِّ ، وَجُحُوداً لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ ٥

(١) انظر : (جمهرة رسائل العرب) ١ / ٤١٧ .

(٢) آن لك : اي قرب وحان ، واللمح الباصر اي الامر الواضح ، والمعنى ظهر الحق فلك ان تنتفع بوضوحه من مشاهدة الامور .

(٣) المدارج : المسالك جمع مدرجة ، اي اتبعت طرائق اهلك ذوي الكفر والشقاق ، وإقحامك : ادخالك في اذهان العامة . غرور المين : اي الكذب ، وعطف الاكاذيب للتأكيد .

(٤) انتحل الشيء : ادعاه لنفسه وليس له ، والابتزاز . الاستلاب : اي سلبك امراً . اختزن : اي منع دون الوصول اليك ، وذلك الطلب بدم عثمان ، والاستبداد بالشام وهما من حقوق الامام لا من حقوق معاوية .

(٥) المراد بما هو الزم الخلافة لانه قد وعاها اما بالنص — كما هو الحق — فانه سمع ذلك من رسول الله يوم الغدير لانه حج حجة الوداع ، او بالبيعة فانه قد اتصل به خبرها وتواتر لديه وقوعها فصارت من المعلومات بالضرورة .

مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ . مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلاَّ الضَّلالُ ٱلْمُبِينُ ، وَبَعْدَ ٱلْبَيَانِ إِلاَّ ٱللَّبْسُ[1] ؟ فَاحْذَرِ ٱلشُّبْهَةَ وَٱشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا ؛ فَإِنَّ ٱلْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلاَبِيبَهَا[2] ، وَأَعْشَتْ ٱلأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا .

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ ٱلْقَوْلِ[3] ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ ٱلسِّلْمِ ؛ وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلاَ حِلْمٌ ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ فِي الدَّهَاسِ[4] وَٱلْخَابِطِ فِي الدِّيْمَاسِ ، وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ

---

(١) اللبس – بالفتح – : الخلط ، واللبسة – بالضم – : الاشكال .

(٢) يقال : اغدفت المرأة قناعها : ارسلته على وجهها فسترته ، واغدف الليل ارخى سدوله : اي اغطيته من الظلام ، والجلابيب جمع جلباب : وهو الثوب الاعلى يغطي ما تحته ، واعشت الابصار رؤيتها : اي اكتساها الغشاء : وهو ظلمة العين .

(٣) افانين القول : اساليبه المختلفة ، والسلم – هنا – : الاسلام اي : لم تصدر تلك الافانين المختلفة من مسلم ، والاساطير : الاباطيل واحدها اسطورة واسطارة – بالكسر والالف بعد الطاء – ، وحوك الكلام : صنعته ونظمه ، والحلم : العقل والمعنى ما صدر هذا الكلام والهجر الفاسد عن عالم ولا عاقل .

(٤) الدهاس – كسحاب – : ارض رخوة لا هي تراب ولا رمل ولكن منهما يعسر فيها السير ، والديماس – بفتح فسكون – : السرب المظلم تحت الارض ، والخبط في السير : المشي على غير هدى .

ٱلْمَرَامِ[1] نَازِحَةَ ٱلْأَعْلَامِ ، تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلْأَنُوقُ[2] وَيُحَاذَى بِهَا ٱلْعَيُّوقُ .

وَحَاشَ لِلّٰهِ أَنْ تَلِيَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِي صَدَراً أَوْ وِرْداً[3] أَوْ أُجْرِيَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْداً أَوْ عَهْداً !! فَمِنَ الآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَٱنْظُرْ لَهَا ، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللهِ[4] أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ ٱلْأُمُورُ ، وَمُنِعْتَ أَمْراً هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ ؛ وَٱلسَّلَامُ[5] .

قال ابن ابي الحديد : وهذا الكتاب جواب كتاب وصل من معاوية اليه عليه السلام بعد قتل علي عليه السلام الخوارج ، وفيه تلويح بما كان يقوله من قبل ان رسول الله ﷺ وعدني بقتال طائفة اخرى غير اصحاب الجمل وصفين وانه سماهم المارقين ، فلما واقعهم عليه السلام بالنهروان ،

---

(1) المرقبة – بفتح فسكون – : مكان الارتقاب وهو الموضع العالي يقف فيه الرقيب ، والاعلام جمع علم : وهو ما ينصب ليهتدي به ، ونازحة : بعيدة .

(2) الانوق – كأكول – : طائر قيل هو الرخمة ، يقال : «اعز من بيض الانوق» لانها تحرزه ولا يكاد احد يظفر به لان اوكارها في رؤوس الجبال والاماكن الصعبة البعيدة ، والعيوق – بفتح فضم مشدد – : نجم احمر مضيء في طرف المجرة الايمن يتلو الثريا لا يتقدمها .

(3) حاش لله ، اي : معاذ الله ، والاصل في رسمها اثبات الالف ولكنهم اتبعوا رسم المصحف . الورد – بكسر الواو – : الاشراف على الماء والصدر – بالتحريك – الرجوع بعد الشرب .

(4) ينهد اليك : بمعنى ينهض وارتجت الامور اغلقت .

(5) ذلك الامر هو حقن دمه باظهار الطاعة .

وقتلهم كلهم بيوم واحد وهم عشرة آلاف احب ان يذكر معاوية بما كان يقوله من قبل ، ويعد به أصحابه وخواصه فقال له : قد آن لك ان تنتفع بما عاينت وشاهدت ، معاينة ومشاهدة : من صدق القول الذي كنت اقوله للناس ويبلغك فتستهزىء به [1] .

فهذا نص من ابن ابي الحديد على ان هذا الكتاب كان جواباً لكتاب كتبه معاويه اليه عليه السلام ولا جرم انه رأى كتاب معاوية وجواب الامام له عليه السلام في مصدر آخر ولكنه لم يذكره ، والشريف الرضي لم يشر إلى ذلك فلاحظه جيداً .

٦٦ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى عبد الله بن العباس

وقد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ[2] وَيَحْزَنُ عَلَى ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ ، فَلاَ يَكُنْ أَفْضَلُ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ، وَلٰكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ !!

(١) شرح نهج البلاغة : م ٤ / ٢٢٢ .

(٢) علق الشيخ محمد عبده على هذا الكتاب بما هو آت :

قد يفرح الانسان بنيل مقدور له لا يفوته ، ويحزن لحرمانه مما قدر له الحرمان منه فلا يصيبه ، فاذا وصل اليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به ان كان لذة او شفاء غيظ ، بل عد ذلك في عداد الحرمان ، وانما تفرح بما كان احياء حق ، وابطال باطل ، وعليك الاسف والحزن بما خلفت — اي تركت — من اعمال الخير ، والفرح بما قدمت منها لآخرتك .

وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ .

تقدمت مصادر هذا الكتاب برقم (٢٢)ج ١ ص٣٢٧ من هذا الكتاب وانما اعاده الرضي هنا لاختلاف الرواية كما اشار إلى ذلك . ونضيف إلى مصادره هنا ان المأمون رواه عن ابيه عن آبائه عن ابن عباس كما في « صفة الصفوة » ج ١ ص ٣٤٧

ورواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » في احوال علي عليه السلام بطريقين الاول ينتهي إلى ابي عبيدة عن يونس قال بلغني ان عباس كان يقول : كتب إلي علي بن ابي طالب بموعظة ما سررت بموعظة سروري بها الخ ، والثاني عن ابراهيم بن سعيد بن المأمون عن آبائه كما مر .

٦٧ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى قُثَم بن العباس ، وهو عامله على مكة

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللهِ(١) ، وَٱجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ ٱلْمُسْتَفْتِيَ ، وَعَلِّمِ ٱلْجَاهِلَ ، وَذَاكِرِ ٱلْعَالِمَ ؛ وَلاَ يَكُنْ لَكَ إِلَى ٱلنَّاسِ سَفِيرٌ إِلاَّ لِسَانُكَ ، وَلاَ حَاجِبٌ إِلاَّ وَجْهُكَ ، وَلاَ تَحْجُبَنَّ ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا فَانَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي

(١) امره ان يذكرهم بايام الله وهي ايام الانعام وايام الانتقام لتحصل الرغبة والرهبة ، والعصران : الغداة والعشي من باب التغليب .

أوَّلِ وِرْدِهَا[1] لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا .

وَٱنْظُرْ إلىٰ مَا ٱجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ ٱللهِ فَٱصْرِفْهُ إلىَ مَنْ قِبَلَكَ[2] مِنْ ذَوِي ٱلْعِيَالِ وَٱلْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ ٱلْفَاقَةِ وَٱلْخَلاَّتِ ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذٰلِكَ فَٱحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا .

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لاَ يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْراً ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : (سَوَاءً ٱلْعَاكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ) فَالْعَاكِفُ : ٱلْمُقِيمُ بِهِ ، وَٱلْبَادِي : ٱلَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَفَّقَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ[3] . وَٱلسَّلاَمُ .

هذا الكتاب رواه بعد الرضي القطب الراوندي في كتاب (فقه القرآن) بصورة تدل على انه لم ينقله عن (نهج البلاغة) [4] .

---

(١) ذيدت دفعت ومنعت مبني للمجهول من (ذاده يذوده) اذا طرده ودفعه ووردها – بالكسر – ورودها ، والحاجة اذا منعت اولا ثم قضيت ثانياً لم ينصرف صاحبها في الغالب الأكثر الا بالذم .

(٢) قبلك – بكسر ففتح – اي : عندك ، والفاقة : الفقر الشديد ، والخلة – بالفتح – الحاجة .

(٣) محاب – بفتح الميم – مواضع محبته من الاعمال .

(٤) انظر (مستدرك الوسائل) : م ٢ / ١٤٤ .

٦٨ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى سلمان الفارسي رحمه الله قبل أيّام خلافته

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ ٱلدُّنْيَا مَثَلُ ٱلْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا قَاتِلٌ سَمُّهَا ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا[١] أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا ٱطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ[٢] أَوْ إِلَى إِينَاسٍ أَزَالَتْهُ عَنْهُ إِلَى إِيحَاشٍ ، وَالسَّلَامُ .

روى صدر هذا الكتاب قبل الشريف الرضي ثقة الاسلام الكليني في كتاب (الايمان والكفر) من (اصول الكافي) : ج ٢ — ١٣٦ ولم يذكر انه كتبه إلى سلمان رضي الله عنه . ورواه بعد الرضي المفيد في (الارشاد) ص ١٢٤ ، والقاضي القضاعي في (دستور معالم الحكم) ص ٣٧ ، والشيخ ورام في (تنبيه الخواطر) : ١ — ١٣٣ بألفاظ تختلف قليلا عما في (النهج) مما يدل أن مصادرهم غيره ، ونقل الرضي بعض هذا الكلام في الباب الثالث من ابواب (نهج البلاغة) تحت رقم : ١٩٩ كما سيأتي إن شاء الله .

---

(١) اي فليكن اشد حذرك منها في حال شدة انسك بها .

(٢) اشخصته : اذهبته .

٦٩ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى الحارث الهمداني

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ ٱلْقُرْآنِ وَٱسْتَنْصِحْهُ ، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ ، وَحَرِّمْ حَرَامَهُ ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ ٱلْحَقِّ ؛ وَٱعْتَبِرْ بِمَا مَضَىٰ مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا ، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضاً ، وَآخِرَهَا لاَحِقٌ بِأَوَّلِهَا ! وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ[١] وَعَظِّمِ ٱسْمَ ٱللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلاَّ عَلَىٰ حَقٍّ [٢] ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ ٱلْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ ، وَلاَ تَتَمَنَّ ٱلْمَوْتَ إِلاَّ بِشَرْطٍ وَثِيقٍ[٣] وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ ٱلْمُسْلِمِينَ . وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي ٱلسِّرِّ وَيُسْتَحَىٰ مِنْهُ فِي ٱلْعَلاَنِيَةِ وَٱحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ

---

(١) حائل : زائل .

(٢) اي : لا تحلف به سبحانه الا على الحق تعظيماً له وفي الحديث : « ان عيسى عليه السلام قال : بحق اقول لكم : ان موسى كان يأمركم ان لا تحلفوا بالله كاذبين وانا اقول لكم : لا تحلفوا بالله صادقين ولا كاذبين ولكن قولوا : لا ونعم » .

(٣) قال ابن ابي الحديد : هذه كلمة شريفة عظيمة القدر اي لا تتمن الموت الا وانت واثق من اعمالك الصالحة انها تؤديك إلى الجنة وتنقذك من النار ا هـ .

وفسرها الامام الشيخ محمد عبده بمعنى آخر قال : اي : لا تقدم الموت رغبة فيه الا اذا علمت ان الغاية اشرف من بذل الروح ، والمعنى : لا تخاطر فيما لا يفيد من سفاسف الامور .

صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ ٱعْتَذَرَ مِنْهُ . وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ ٱلْقَوْلِ ، وَلَا تُحَدِّثِ ٱلنَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَى بِذٰلِكَ كَذِباً وَلَا تَرُدَّ عَلَى ٱلنَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذٰلِكَ جَهْلاً ، وَٱكْظِمِ ٱلْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ ٱلْمَقْدُرَةِ . وَٱحْلُمْ عِنْدَ ٱلْغَضَبِ ، وَاصْفَحْ مَعَ ٱلدَّوْلَةِ[1] تَكُنْ لَكَ ٱلْعَاقِبَةُ ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا ٱللّٰهُ عَلَيْكَ ، وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ ٱللّٰهِ عِنْدَكَ ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ ٱللّٰهُ بِهِ عَلَيْكَ .

وَٱعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ[2] وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ ،

---

(١) اي : عندما تكون لك السلطة ، « وهذه كانت شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشيمة علي عليه السلام اما شيمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فظفر بمشركي مكة وعفا عنهم ، واما علي عليه السلام فظفر باصحاب الجمل وقد شقوا عصا الاسلام عليه ، وطعنوا فيه ، وفي خلافته فعفا عنهم مع علمه عليه السلام بأنهم يفسدون عليه امره فيما بعد ، ويصيرون إلى معاوية اما بانفسهم او بآرائهم ومكتوباتهم وهذا اعظم من الصفح عن اهل مكة ، لان اهل مكة لم يبق لهم – لما فتحت – فئة يتحيزون اليها ، ويفسدون الدين عندها » .

ومعنى قوله عليه السلام : « واستصلح كل نعمة » اي استدمها لانه اذا استدامها فقد اصلحها فان بقاءها صلاح لها ، واستدامتها بالشكر ، واضاعة نعمة الله : الغفلة عنها ، والتقصير في شكرها . وظهور اثر النعمة عليه : اظهارها على نفسه وذويه وصرف فاضلها إلى اهل الاستحقاق.

(٢) تقدمة – كتجربة – مصدر قدم – بالتشديد – اي بذلا وانفاقاً والمعنى : ان افضل المؤمنين افضلهم صدقة يقدمها من نفسه باقواله وافعاله وامواله ومن اهله كذلك ، ثم بين له ان ما يقدمه يكون خيره له وما يؤخر يكون خيره لغيره

وَمَا تُؤَخِّرُهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ ،وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ ١ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ ، فَإِنَّ ٱلصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . وَٱسْكُنِ ٱلْأَمْصَارَ ٱلْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ ٱلْمُسْلِمِينَ ، وَٱحْذَرْ مَنَازِلَ ٱلْغَفْلَةِ وَٱلْجَفَاءِ وَقِلَّةَ ٱلْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ ٱللَّهِ ، وَٱقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ ٱلْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ ٱلشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ ٱلْفِتَنِ ٢ ، وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ ٣ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ ٱلشُّكْرِ ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ ٱلصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٤ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ ، وَأَطِعِ ٱللَّهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ ٱللَّهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا ،

---

(١) فال الرأي يفيل اي : ضعف ، وجماع المسلمين : مجمعهم .

(٢) المعاريض : جمع معراض – كمحراب – وهو سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده ، والاسواق كذلك لكثرة ما يمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات .

(٣) اي : إلى من دونك ممن فضلك الله عليه ، ووجه كونه باباً للشكر انه يكون سبباً للدخول اليه منه وكل ما كان من ابواب الشكر فواجب ملازمته .

قال ابن ابي الحديد : وصدق عليه السلام لانك اذا رأيت جاهلا وانت عالم او عالماً وانت اعلم منه ، او فقيراً وانت اغنى منه ، او مبتلى بسقم وانت معافى كان ذلك باعثاً وداعياً إلى الشكر .

(٤) نهاه عن السفر يوم الجمعة لان صلاة الجمعة عظيمة في الدين وهو محل التأهب لها فوضعه للسفر وضع للشيء في غير موضعه ، واستثنى فقال : الا فاصلا : اي خارجاً ذاهباً في سبيل الله اي شاخصاً إلى الجهاد ، قال : او في امر تعذر به اي لضرورة دعتك إلى ذلك ، والمراد بجمل اموره : جميعها .

وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي ٱلْعِبَادَةِ ، وَٱرْفُقْ بِهَا وَلاَ تَقْهَرْهَا ، وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلاَّ مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ ٱلْفَرِيضَةِ ، فَإِنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ ٱلْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا[1] ، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ ٱلْفُسَّاقِ فَإِنَّ ٱلشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ ، وَوَقِّرِ ٱللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ ، وَٱحْذَرِ ٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ ؛ وَالسَّلاَمُ[2] .

قال الشيخ ميثم البحراني في شرحه على (نهج البلاغة) ج ٥ — ٢٢١ بعد فراغه من ايراد ما رواه الرضي من هذا الكتاب : « اقول : وهذا الفصل من كتاب طويل اليه ، وقد امره فيه بأوامره وزجره بزواجره ، مدارها على تعليم مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب » وفي قوله (رحمه الله) : (من كتاب طويل) برهان على انه رآه في مكان آخر ولكنه لم يشر اليه ، هذا وقد نثر الآمدي هذا الكتاب في مواضعه من كتاب (غرر الحكم) وفيما رواه فقرات لم ترو في (نهج البلاغة) مع مغايرة في بعض الالفاظ وفي ذلك برهان آخر على ان له مصدراً غير (النهج) وسنشير إلى بعض هذه الزيادات والمغايرات فيما يأتي بوضعها بين قوسين :

١ — تمسك بحبل القرآن (وانتصحه)[3] وحلل حلاله ، وحرم حرامه

---

(١) الآبق : العبد الهارب من سيده .

(٢) حذره من الغضب ونفره منه بوصفه من جنود ابليس لعنه الله لان الغضب يوجب الاضطراب في ميزان العقل ، ويدفع صاحبه للتورط فيما لا يرضي الله وهذا اكبر عون لابليس على اضلاله .

(٣) رواية النهج : (استنصحه) .

« واعمل بعزائمه واحكامه » [1] : ص ١٥٦

٢ — احذر «مصاحبة» كل من «يقبل» [2] رأيه ، وينكر عمله . (الغرر)

٣ — اقصر «همك على» [3] ما لا يلزمك ولا تخض فيما لا يعنيك» (الغرر ٦١)

٤ — إياك ومقاعد الاسواق فانها « معارض [4] الفتن ومحاضر الشيطان » (الغرر — ٧٦) فلاحظ .

٧٠ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى سهل بن حنيف الانصاري [5] وهو عامله على المدينة في معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالاً مِمَّنْ قِبَلَكَ [6] يَتَسَلَّلُونَ

---

(١) خلت رواية الشريف الرضي من هذا الجملة .

(٢) في (النهج) احذر صحابة من يفيل وقد ذكرنا معناها ، اما معنى رواية الآمدي : ان يحذر صحبة من تعرف آراؤه وتنكر افعاله اي يفعل المنكر مع انه يرى انه منكراً والعياذ بالله.

(٣) ما رواه الرضي : « اقصر رأيك على ما يعنيك » .

(٤) في (نهج البلاغة) : « فانها محاضر الشيطان ومعاريض الفتن » .

(٥) سهل بن حنيف — بالحاء المهملة المضمومة — الانصاري ، من خيار الصحابة شهد بدراً ، وابلى يوم احد بلاء حسناً ، ولازم امير المؤمنين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، واستخلفه على المدينة لما خرج عليه السلام لحرب اصحاب الجمل ، ثم شهد معه صفين وتوفي بالكوفة سنة ٣٨ بعد رجوع امير المؤمنين عليه السلام من صفين فوجد عليه وجداً كثيراً وكان من احب الناس اليه عليه السلام وقال : « لو احبني جبل لتهافت » وهذه الكلمة من كلمه القصار وقد رواها الشريف الرضي في الباب الثالث من أبواب (نهج البلاغة) كما سيأتي ذلك ان شاء الله تعالى برقم (١١١) ج ٤ ص ١٠٣ .

وصلى عليه امير المؤمنين عليه السلام وكبر عليه خمساً ثم ادركه بعض من لم يصل عليه من الناس فوضعه، فصلى عليه وهكذا حتى كبر عليه خمساً وعشرين تكبيرة في خمس صلوات .

(٦) قبلك — بكسر ففتح — اي في جهتك ، ويتسللون ، يخرجون واحداً بعد واحد في خفية واستتار .

إلَى مُعَاوِيَةَ ، فَلاَ تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ ، وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ ، فَكَفَى لَهُمْ غَيّاً وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِياً[1] . فِرَارُهُمْ مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلْحَقِّ ، وَإيضَاعُهُمْ إلَى ٱلْعَمَى وَٱلْجَهْلِ[2] ، وَإنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا ، وَمُهْطِعُونَ إلَيْهَا[3] ، وَقَدْ عَرَفُوا ٱلْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ ، وَعَلِمُوا أَنَّ ٱلنَّاسَ عِنْدَنَا فِي ٱلْحَقِّ أُسْوَةٌ ، فَهَرَبُوا إلَى الأَثَرَةِ[4] ، فَبُعْداً لَهُمْ وَسُحْقاً .

إنَّهُمْ - وَٱللهِ - لَمْ يَفِرُّوا مِنْ جَوْرٍ ، وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ ، وَإنَّا لَنَطْمَعُ فِي هٰذَا ٱلأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ ٱللهُ لَنَا صَعْبَهُ ، وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ[5] إنْ شَاءَ ٱللهُ ، وَالسَّلاَمُ .

روى هذا الكتاب قبل الرضي البلاذري في « أنساب الاشراف » ص ١٥٧ ط الاعلمي في ترجمة علي عليه السلام كما روى بعضه ابن واضح في تاريخه ج٢ ص ١٩٢ .

---

(١) الغي : الضلال .

(٢) الايضاع : الاسراع من وضع البعير اذا اسرع ، والعمى : الضلال .

(٣) اهطع : اسرع .

(٤) الاثرة - بالتحريك - اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها والسحق - بضم السين - البعد .

(٥) الحزن : ما غلظ من الارض وضده السهل ، والمراد به هنا الامر الصعب .

٧١ - ومن كتاب له عليه السلام

إلى المنذر بن الجارود العبدي[١] وقد خان في بعض ما ولاه من اعماله

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ صَلاَحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ ، وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ[٢] ، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا

---

(١) هو المنذر بن الجارود العبدي ، واسم الجارود بشر بن خنيس ، وانما سمي الجارود لما قاله بعض الشعراء فيه ، «كما جرد الجارود بكر بن وائل» ووفد الجارود على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سنة ٩ او ١٠ في جماعة من عبد القيس وكان نصرانياً فاسلم وحسن اسلامه ، وسكن الجارود البصرة وقتل بفارس في احد البعوث الاسلامية سنة ٢١ وكان رجلا صالحاً ووصف امير المؤمنين له في كتابه إلى المنذر يدل على ايمانه وصلاحه ، وفيه يقول عمر بن الخطاب : لولا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ان هذا الامر لا يكون الا في قريش لما عدلت بالخلافة عن الجارود ولا تخالجني في ذلك الامور» اما ولده المنذر فقد ولد في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وشهد مع علي عليه السلام واقعة الجمل وولاه اصطخر كما في المتن - ثم عزله عنها ، وولاه عبيد الله بن زياد الهند في إمرة يزيد بن معاوية فمات في آخر سنة ٦١ ، وكان المنذر متهماً في دينه وصفات امير المؤمنين عليه السلام له تعطينا صورة من ايمانه ، ومن شنيع اعماله : ان الحسين عليه السلام كتب اليه يدعوه إلى نصرته وارسل الكتاب مع مولى له يقال له سليمان ويكنى ابا رزين فقبض على الرسول وسلمه إلى ابن زياد فصلبه فكان اول رسول صلب في الاسلام ، وكان عبيد الله يومئذ يريد التوجه إلى الكوفة للقبض على مسلم بن عقيل رضوان الله عليه ، وقال من اعتذر عن المنذر . انه خاف ان يكون الكتاب دسيساً من ابن زياد ، والله اعلم . وان كان لا يبعد ان المنذر دفعه الى ابن زياد تقرباً اليه ، والا فما ضره لو اغلظ للرسول ومزق الكتاب ، فان كان الرسول دسيساً فسيبلغ ابن زياد وان لم يكن كذلك نجا وكتم المنذر الخبر . ومن عرف المنذر حق المعرفة ، وقرأ تفاصيل احواله ، فسيوافقني على هذا الرأي خصوصاً وان ابن زياد كان قد تزوج ابنة المنذر في تلك الايام ، والى الله ترجع الامور .

(٢) الهدى - بفتح فسكون - الطريقة والسيرة .

رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ[1] لاَ تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً ، وَلاَ تُبْقِي لآخِرَتِكَ عَتَاداً[2] ، تَعمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ. وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ ، وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ[3] ، وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ ، أَوْ يَنْفُذَ بِهِ أَمْرٌ ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ ، أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ ، أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى جِبَايَةٍ[4] فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ .

قال الرضي والمنذر هذا هو الذي قال فيه امير المؤمنين عليه السلام : « إنه لنظار في عطفيه ، مختال في برديه[5] ، تفال في شراكيه» .

كان المنذر بن الجارود والياً لامير المؤمنين عليه السلام على اصطخر فبلغه عليه السلام عنه الامور التي ذكرها في هذا الكتاب ، فلما اقبل المنذر عزله أمير المؤمنين عليه السلام وأغرمه ثلاثين الفاً ثم تركها لصعصعة بن

---

(١) رقي إلي : اي فيما رفع إلي .

(٢) العتاد : العدة .

(٣) كانت العرب تضرب المثل بالجمل في الذلة والهوان والجهل وكذلك ضربوا المثل بالذلة بشسع النعل : وهو سير تشد به .

(٤) جباية : هي تحصيل اموال الخراج ونحوه .

(٥) العطف – بالكسر – : الجانب ، البردان ، تثنية برد – بالضم وهو الثوب .

صوحان العبدي [1] ، بعد أن أحلفه عليها فحلف وذلك أن علياً عليه السلام دخل على صعصعة يعوده فلما رآه علي عليه السلام قال : « إنك ما علمت حسن المعونة ، خفيف المؤونة » فقال صعصعة : وانت والله يا امير المؤمنين عليم ، وإن الله في صدرك عظيم ، فقال له علي عليه السلام : « لا تجعلها أبهة على قومك إن عادك إمامك » قال : لا يا امير المؤمنين ولكنه منٌ من الله على ان عادني اهل البيت [2] وابن عم رسول رب العالمين .

ثم قال له صعصعة : يا امير المؤمنين هذه ابنة الجارود تعصر عينيها كل يوم لحبسك اخاها المنذر ، فأخرجه وانا ضامن ما عليه من اعطيات ربيعة ، فقال له علي عليه السلام : « ولم تضمنها وزعم لنا انه لم يأخذها ؟ فليحلف ونخرجه » فقال له صعصعة : اراه والله سيحلف قال : « وانا اظن ذلك »

روى ذلك ابن واضح في (التاريخ) ج ٢ ص ١٩٢ و ١٩٣ وذكر الكتاب الذي ذكره الرضي في هذا الموضع كما روى ذلك البلاذري في (انساب الاشراف) ص ٣ ١ ط . الاعلمي وزاد على ذلك فقال : فلم يشكر المنذر في امره لصعصعة ما صنع فقال الاعور الشني :

هلا سألت بني الجارود اي فتى ... عند الشفاعة والثار ابن صوحانا

---

(١) كان صعصعة من سادات عبد القيس وكان خطيباً فصيحاً لسناً ، وقد وصفه امير المؤمنين عليه السلام بقوله : « هذا الخطيب الشحشح » اي الماهر في الخطبة الماضي بها وكفاه فخراً ان يشهد له مثل امير المؤمنين بالمهارة وفصاحة اللسان ، وكان ديناً فاضلا جليل القدر في اصحاب علي عليه السلام . وروي عن الصادق عليه السلام انه قال : « ما كان مع امير المؤمنين من يعرف حقه الا صعصعة واصحابه » وكان له مواقف خطابية مشهورة في مجلس عثمان ، وبين يدي امير المؤمنين عليه السلام وعندما دفن امير المؤمنين ، وفي الشام في محضر معاوية يضيق المجال باستعراضها . توفي رحمه الله ايام معاوية .

(٢) لعل الاصل سيد اهل البيت او ما في معنى ذلك او انه كان مع امير المؤمنين عليه السلام بعض ولده او قرابته عند عيادته له .

هل كان الا كام أرضعت ولداً عقت فلم تجز بالاحسان احسانا
لا تأمنن على سوء فتى ذمراً يجزي المودة من ذي الود كفرانا

اما الكلمات التي رواها الرضي عنه عليه السلام في المنذر : « أنه نظار في برديه ... » الخ فقد رواها ابن واضح والبلاذري ايضاً في الكتابين المذكورين وكلاهما سابق للرضي

٧٢- ومن كتاب له عليه السّلام

إلى عبد الله بن العباس

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ ، وَلاَ مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ ، وَٱعْلَمْ بِأَنَّ ٱلدَّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ . وَأَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ[1] ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ .

سيأتي القول في مصادر هذا الكتاب في الحكمة (٣٩٦) إن شاء الله تعالى.

٧٣ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى معاويــة

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ ، وَالاسْتِمَاعِ

---

(١) جمع دولة — بضم الدال — ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد إلى يد .

إِلَى كِتَابِكَ لَمُوَهَّنُ رَأْيِي ، وَمُخْطِىءُ فِرَاسَتِي[1] ، وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي ٱلْأُمُورَ[2] وَتُرَاجِعُنِي ٱلسُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ ٱلنَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ ، أَوِ ٱلْمُتَحَيِّرِ ٱلْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ ؛ لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ ، وَلَسْتَ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ ، وَأُقْسِمُ بِاللهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ ٱلِاسْتِبْقَاءِ[3] لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ : تَقْرَعُ ٱلْعَظْمَ ، وَتَهْلِسُ ٱللَّحْمَ ! وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ[4] ، وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ ، وَٱلسَّلَامُ لِأَهْلِهِ .

رواه الامام اليماني في (الطراز) ج ٢ ص ٢٩٤ في (فصل الاستدراجات) بتفاوت مع رواية الرضي مثل : « ولست به غير انه كل شبيه » و « مثال نصيحتك » ، والمخالفة في الرواية تدل على الاختلاف في المصدر .

---

(١) التردد إلى الشيء : الرجوع اليه مرة بعد اخرى ، وموهن – بالتشديد – : مضعف ، والفراسة – بالكسر – صدق الظن .

(٢) حاول الامر : طلبه ورامه ، ويبهظه : يثقله .

(٣) الاستبقاء : الابقاء ، والقوارع : الدواهي ، وتقرع العظم : تصدمه فتكسره ، وتهلس اللحم : تذيبه وتنهكه وتروي بتقديم اللام فتكون بمعنى تلتحس ابدلت الحاء هاء وهو من لحست كذا بلساني الحسه ، اي تأتي على اللحم حتى تلحسه لحساً ، وتروى تنهش – بالمهملة والمعجمة والمعنى بالمهملة : اخذ اللحم باطراف الاسنان ، وبالمعجمة الاخذ بجميعها .

(٤) اي : اقعدك عن مراجعة احسن الامور لك وهو الطاعة ، وتأذن – هنا – تسمع .

٧٤ ـ وَمِنْ حِلْفٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ [١]

كتبه بين ربيعة واليمن ، ونقل من خط هشام ابن الكلبي [٢]

هٰذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا [٣] أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ : يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ ، وَيُجِيبُونَ مَنْ دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ لاَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَلاَ يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلاً ، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنَّهُمْ أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ ، لاَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ ، وَلاَ لِغَضَبِ غَاضِبٍ ، وَلاَ لِاسْتِذْلاَلِ قَوْمٍ قَوْماً وَلاَ

---

(١) الحلف : العهد ، وقول الرضي : ومن حلف له عليه السلام تقدير ومن كتاب حلف فحذف المضاف .

(٢) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي نسابة ابن نسابة عالم بايام العرب واخبارها ، توفي سنة ٢٠٥ او ٢٠٦ وهو احد الجامعين لكلام امير المؤمنين وخطبه كما تقدم في الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٥٨ .

(٣) الحاضر : ساكن المدينة ، والبادي المتردد في البادية ، واللفظ لفظ المفرد والمعنى الجمع .

لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً !(1) عَلَى ذَلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَجَاهِلُهُمْ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ عَهْدَ ٱللهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ ٱللهِ كَانَ مَسْؤُولاً، وَكَتَبَ عَلِيُّ ٱبْنُ أَبِي طَالِبٍ:

قد كفانا الرضي قدس الله روحه مهمة التنقيب عن مصدر هذا الحلف إذ ذكر أنه نقل من خط هشام بن الكلبي.

قال ابن ابي الحديد: «واعلم انه قد ورد في الحديث عن النبي ﷺ «كل حلف كان في الجاهلية فلا يزيده الاسلام الا شدة ولا حلف في الاسلام» لكن فعل امير المؤمنين عليه السلام اولى بالاتباع من خبر الواحد وقد تحالفت العرب في الاسلام مراراً ومن اراد الوقوف على ذلك فليطلبه من كتب التواريخ».

٧٥ — ومن كتاب له عليه السلام

إلى معاوية في أول ما بويع له

ذكره الواقدي في كتاب الجمل

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ:

(1) المعتبة: الغيظ: والعاتب: المغتاظ، والمعنى: لا يؤثر في هذا العهد الحلف ولا ينقضه ان يعتب احدهم منهم على بعضهم لانه استجداه فلم يجده، او طلب منه امراً فلم يقم به، ولا لان احداً منهم غضب من امر صدر من صاحبه، ولا لان عزيزاً منهم استذل ذليلا منهم، ولا لان انساناً منهم سب او هجا بعضهم، فان مثل هذه الامر يتعذر ارتفاعها بين الناس، ولو كانت تنقض الحلف لما كان حلف اصلا

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إعْذَارِي فِيكُمْ[1] وَإعْرَاضِي عَنْكُمْ ، حَتَّى كَانَ مَا لاَ بُدَّ مِنْهُ وَلاَ دَفْعَ لَهُ ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَالْكَلاَمُ كَثِيرٌ ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ وَأَقْبِلْ إلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ

نقل الرضي رحمه الله هذا الكتاب من كتاب (الجمل) لمحمد بن عمر ابن واقد المدائني الواقدي المتوفى سنة ٢٠٧ وقد تعرضنا لكتاب الواقدي هذا في الجزء الاول من هذا الكتاب : ص ٤١ ومما هو جدير بالذكر ان الواقدي من جملة من جمعوا كلام امير المؤمنين عليه السلام وخطبه[2].

٧٦ـ ومن كتاب له عليه السلام

لعبد الله بن العباس ، عند استخلافه إياه على البصرة

سَعِ النَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ[3] ، وَإيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ[4] ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ .

اول هذه الوصية « اوصيك بتقوى الله عز وجل ، والعدل على من ولاك

---

(١) الاعذار : الاقامة على العذر

(٢) انظر ج ١ ص ٥٧ من هذا الكتاب

(٣) روي : وحلمك .

(٤) طيرة من الشيطان ـ بفتح الطاء وسكون الياء ـ اي خفة وطيش .

الله امره ، سع الناس بوجهك ... الخ » .

روى ذلك قبل الرضي ابن قتيبة في (الامامة والسياسة) ج ١ ص ٨٥ والمفيد في الجمل ص ٢٠٨ . ورواها السيد في (الطراز) : ج ٢ ص ٢٩٣ بوجه يغاير بعض ما في « النهج » مثل (وحلمك) بدل (حكمك) و (بعدك) مكان (يباعدك) وفي آخرها(والسلام) ويتضح من هذا أن له مصدراً آخر .

٧٧ - ومن وصيّة له عليه السّلام

لعبد الله بن العباس ، لما بعثه للاحتجاج إلى الخوارج

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِالْقُرْآنِ فَإِنَّ الْقُرْآنَ حَمَّالٌ[١] ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ ، وَلٰكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً[٢] .

هذا الكلام مشهور النسبة اليه عليه السلام .

قال ابن الاثير في (النهاية) : ١ - ٤٤٤ وفي حديث علي « لا تناظروهم بالقرآن فانه حمال ذو وجوه » قال : اي يحمل عليه كل تأويل فيحتمله ، وذو وجوه : اي ذو معان مختلفة ورواه الزمخشري في الجزء الثاني من « ربيع الابرار » في باب الجوابات المسكتة وجاء في روايته : (ولكن خاصمهم) بدل (حاججهم) . والاختلاف في الالفاظ يشعرنا انهما لم ينقلا ذلك عن (نهج البلاغة) .

---

(١) قال ابن ابي الحديد : هذا الكلام لا نظير له في شرفه وعلو معناه .

(٢) المحيص : المهرب .

٧٨ - ومن كتاب له عليه السّلام

إلى أبي موسى الأشعري[١] جواباً في امر الحكمين

ذكره سعيد بن يحيى الاموي في كتاب المغازي

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ[٢] ، فَمَالُوا مَعَ ٱلدُّنْيَا ، وَنَطَقُوا بِالْهَوَى ، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ مَنْزِلاً مُعْجِباً[٣] ٱجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحاً أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقاً[٤] وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَٱعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ، صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وآلِهِ ، وَأُلْفَتِهَا مِنِّي[٥] أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ ٱلثَّوَابِ وَكَرَمَ ٱلْمَآبِ[٦] . وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي[٧] ، وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ[٨] ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ

---

(١) راجع ص ٤٤٩ من هذا الجزء .

(٢) اي : حظ السعادة الابدية بنصرة الحق .

(٣) معجباً - بكسر الجيم - يعجب من رآه اي : يجعله متعجباً منه .

(٤) العلق - بالتحريك - : الدم الغليظ الجامد .

(٥) « احرص » خبر « ليس » وجملة « فاعلم » معترضة .

(٦) المآب : المرجع إلى الله .

(٧) وأيت : اي وعدت واخذت على نفسي .

(٨) اي : اذا انقلبت عن الرأي الصالح الذي تفارقنا عليه ، وهو الاخذ بالحذر والوقوف عند الحق الصريح فانك تكون شقياً ، لان الشقي من حرمه الله نفع التجربة فأخذه الناس بالخديعة .

مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلتَّجْرِبَةِ ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ[١] . وَإِنْ أُفْسِدَ أَمْراً قَدْ أَصْلَحَهُ ٱللهُ : فَدَعْ مَا لَا تَعْرِفُ[٢] ، فَإِنَّ شِرَارَ ٱلنَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ ٱلسُّوءِ ، وَٱلسَّلَامُ .

قد ذكر الرضي — رضوان الله عليه — انه نقل هذا الكتاب عن (المغازي) لابي عثمان سعيد بن يحيى بن ابان بن سعيد بن العاص بن احيحة الاموي البغدادي المتوفى سنة ٢٤٩ ﮪ وكتاب (المغازي) معروف النسبة اليه [٣] .

٧٩ — ومن كتاب له عليه السلام

لما استخلف ، إلى أمراء الأجناد

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا ٱلنَّاسَ ٱلْحَقَّ فَٱشْتَرَوْهُ[٤] ، وَأَخَذُوهُمْ بِٱلْبَاطِلِ فَٱقْتَدَوْهُ[٥] .

رواه ابن عبد البر في (بهجة المجالس) ١/ ٢٣١ بمغايرة قليلة ، وقال : (انه اول كتاب كتبه)

انتهى الجزء الثالث والحمد لله

---

(١) اعبد : اي : آنف ، من عبد — بالكسر — اي : انف ، وفسروا قوله تعالى : « وانا اول العابدين » بذلك .

(٢) اي : ما فيه الريبة والشبهة فاتركه .

(٣) انظر « كشف الظنون » : م ٣ ص ١٧٤٧ و « تاريخ بغداد » للخطيب البغدادي ج ٩ ص ٩ .

(٤) اي : حجبوا الناس عن حقهم فاضطر الناس لشراء الحق منهم بالرشوة فانقلبت الدولة عن اولئك المانعين فهلكوا ، و « انهم منعوا » فاعل اهلك .

(٥) اي : كلفوهم باتيان الباطل فاتوه وصار قدوة يتبعها الابناء بعد الآباء .

الفهرس

باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليه السلام

ملاحظة

تجد فهارس الأعلام في آخر الجزء الرابع من الكتاب

وَٱللهُ وليُّ التَّوفيق

كلمة

في « نهج البلاغة » [1]

للدكتور زكي نجيب محفوظ

« ... عرفت (بنهج البلاغة) في صدر الصبا . . . وبقيت نغمات في الأذن ، ثم أخذت أسمع بعد ذلك – كلّما لمع خطيب على منابر السياسة – قول الناس تعليقاً على بلاغة الخطيب : لقد قرأ (نهج البلاغة) وامتلأ بفصاحته وها أنا أعيد القراءة هذه الأيام فإذا البلاغة قد ازدادت في الأذنين حلاوة ، وإذا العبارات كأنما أضافت طلاوة إلى طلاوة . .. لست أعني زخرف الكلام ... بل أعني طريقه في اختيار اللفظ الصلب العنيد ، الذي

ملاحظة : نبهني على هذه الكلمة العلاّمة الكبير الشيخ محمد جواد مغنية فأقتطفتها من كتاب الدكتور محفوظ (المعقول واللامعقول) بين الصفحات ٣١ – ٥٧ وحيث قد فاتني إثباتها في موضعها من كتابي هذا آثرت أن اقتطف فقرات منها أودعها في هذا البياض عساها تعود إلى محلّها عند اعادة الطبع للمرة الثالثة ان شاء الله ، كما فاتني ايضاً ان اشير لكتاب العلاّمة مغنية في (ظلال نهج البلاغة) عند عرض شروح النهج فللأخ (الجواد) الشكر ، واستميحه قبول العذر .

لا يقوى على تشكيله إلاّ ازميل تحركه يدٌ صَنّاع ، وكان يمكن للمعنى نفسه أن يساق في لفظ أيسر منالاً ، فصنعة الفنان هنا شبيهةٌ بصنعة المثال في الحضارة المصرية القديمة يتخيّر لتماثيله صم الجلاميد ، فكأنما الكاتب هنا كالنحّاة أراد عملاً أقوى من الدهر دواماً وخلوداً .

... فقلّب معي الصفحات الرائعة الأدبيّة من (نهج البلاغة) وقل لي : أين ينتهي الأديب ليبدأ الفيلسوف ، وأين ينتهي الفيلسوف ليبدأ الفارس ، ثم أين ينتهي هذا ليبدأ السياسي ؟ إنّه لا فواصل ولا فوارق ، ففي هذه المختارات خطب ورسائل وأحكام ، وحجاج وشواهد امتزج فيها الأدب بالحكمة ، والحكمة بالأريحيّة وهاتان بما نسميه اليوم سياسة يسوس بها الحاكم شعبه ، أو يداور بها المفاوض خصمه

وإنّ النصوص ليطول بنا نقلها إلى القارىء ما طال (نهج البلاغة) فخير للقارىء آن يرجع إليه ليطالع نفساً قد اجتمع فيها ما يصور عصرها من حيث الركون في إدراك حقائق الأمور إلى سلامة السليقة ، وحضور البديهة، وصدق البصيرة بغير حاجة إلى تحليلات العقل وتعليلاته ، ولا إلى طريقة المناطقة في جمع الشواهد وترتيب الشواهد على المقدمات »